عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف عبد الرحمن يعقوب

البيان في أركان الإيمان

* صفات الله والأشاعرة.
* صفات الله والشيخ حسن البنا.
معية الشرعية.
* صفات الله وأنصار السنة.
......
* العلمانية......
الحكم بما أنزل الله.
* الجنة والنار، والقضاء والقدر.

عبد الرحمن يعقوب

البيان في أركان الإيمان

* صفات الله والأشاعرة .
* صفات الله والشيخ حسن البنا .
* صفات الله والجمعية الشرعية .
* صفات الله وأنصار السنة .
* الشرك ووسائله . . . .
* العلمانية . . . . . .
* الولاء والبراء، والحكم بما أنزل الله .
* الجنة والنار، والقضاء والقدر .

«مقدمة الكتاب»

بسم الله، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :

* فما منح الله عباده منحةً أثمن وأغلى من دين الإسلام،

* إنه الدين، الذى نسبه الله تعالى إلى نفسه، فقال : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [آل عمران : ١٩] .

* وارتضاه لصفوة عباده، فقال : ﴿ **وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] .

* واختار له خَاصَّةَ خلقه، فقال : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

* *

* ولو علم الناس ما فى الإسلام من الخير، لآمنوا به حق الإيمان، ولَعَضُّوا عليه بالنواجذ، ولبذلوا فى سبيله النفس والأهل والمال وكل شيء، حينئذ يتحقق لهم فضل الله ورضوانه، وولايته ونصره، قال تعالي : ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ﴾ [الحج : ٧٨] .

* *

* بالإسلام أرسل الله رسله، وأنزل كتبه، وأشرقت الأرض بنوره، وعاش الناس أزمانًا طويلة فى ظلاله .

* ثم ارتدت البشرية إلى جاهلية وفوضى، وظلت على ذلك ما شاء الله، ثم قضى سبحانه أن يعود الإسلام من جديد على يد النبى الكريم محمد بن عبد الله ﷺ، وأن تكون هذه العودة نهاية المطاف، وأن يبقى محفوظًا إلى يوم القيامة، وأن تظل أنواره

ساطعة فى كل زمان ومكان.

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾ [المائدة].

* *

* **حقًا**، لقد كان الناس فى ظلمات بعضها فوق بعض.

* **فمن جهة العقيدة**، لم يكن هناك من يؤمن بالله، أو كان هناك من يؤمن، لكنه إيمان غير صحيح، لأن الرسالات السابقة كانت قد حُرِّفت وبُدِّلت وَغُيِّرت، فكان الكفر والشرك والظلام، قال الله تعالى فى اليهود والنصارى:

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [**آل عمران**: ٧٨].

* والآيات فى هذا المعنى كثيرة، وكلها تدل على تغييرهم وتحريفهم لكلمات الله التى أنزلها على أنبيائهم!

* ورغم التحريف والتبديل فى آيات الله والكفر به، فقد أراد الله سبحانه أن يبقى فى الأرض من يعبده ويوحده ولا يشرك به شيئًا، إلا أنهم كانوا قليلاً، كما قال تعالى فى الحديث القدسى: «**وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فحولتهم عن دينهم، وحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لهم، وأَمَرَتْهم أن يشركوا بى ما لم أُنَزِّلْ به سلطانًا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فَمَقَتَهُم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**»(١).

---

(١) رواه مسلم.

* هذه البقايا ظلت على الدين الصحيح الذى جاءت به الرسل بلا تحريف أو تبديل، حتى تحقق عبادة الله فى الأرض ولو من نفر قليل.

* *

* **ومن جهة العمل،** فإن عقائد الناس لَمّاَ كانت تقوم على غير دين، أو كانت تقوم على دين غير صحيح، فقد تبع ذلك فسادُ الأحوال، فى النِّيأت، والأعمال، والأقوال، وَمِنْ ثَمَّ كان الضلال المبين فى شتى صوره وأشكاله، هو دستور الحياة عند أهل الأرض، إلا من رحم الله، وهم بقايا أهل الكتاب الذين ذكرهم ﷺ.

* *

* فى هذه الأجواء المظلمة أرسل الله محمداً ﷺ برسالة الإسلام، فدعا إليها أصدق دعوة، وجاهد فى الله حق جهاده، ولم يلحق عليه الصلاة والسلام بربه، إلا بعد أن بلغ الرسالة أحسن بلاغ، وأداها خير أداء، وباتت الأمة على طريق واضحة، لا يزيغ عنها إلا ضال، ولا يحيد عنها إلا هالك، ولا يفارقها إلا محروم من رحمة الله.

* *

وإذا ذُكر الرسول ﷺ فى هذا المقام، ذُكر أصحابُه المجاهدون الصادقون الصابرون المحتسبون، الذين رضى الله عنهم وأرضاهم، وأعد لهم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبدا وذلك الفوز العظيم.

* *

* وقد نهض أهل الحق منذ ذلك التاريخ إلى الدعوة لدين الله قولاً وعملاً، فانتشر الإسلام، وأشرقت الأرض بنوره، ثم أخذوا فى الكتابة عنه لا يَزِيدُون ولا يَنْقُصُون عما جاء به رسول الله ﷺ، وَمَا أُثِرَ عن الصحابة الكرام، ومن تبعهم بإحسان، ثم تسلل أهل الباطل إلى هذا الميدان، فافتروا – ولا يزالون يفترون – على الله الكذب، كما لا يزال أهل الحق يكتبون ويتحدثون عن دين الله عقيدة وعملاً، رادِّين افتراء المفترين، وغُلُوَّ الغالين، وكيد الخائنين.

* ورأى الناس على مَرِّ العصور آلافًا من الكتب التى تتحدث عن الإسلام، منها ما هو حق، ومنها ما هو باطل، ومنها ما يجمع بين الحق والباطل.

* **فمن رجع إلى الإسلام فى مصادره الأولى**، ووقف على فهم السلف الصالح، وهم أعلم الناس بدين الله، وأصدقهم مع الله، وأخوفهم من الله، وآمنهم على ما جاء به رسول الله ﷺ، من رجع إلى هؤلاء، فكانوا مصادره التى يرجع إليها، وموارده التى ينهل منها، وأسوته وقدوته فيما يكتب عن الإسلام-لاسيما فى مجال العقيدة- فقد أصاب الحق، وبلغ الغاية، وأحسن إلى نفسه وإلى الناس، وكان أجره على الله، والله يجزى المحسنين.

* ولا جرم(١)، فإن هذ الصنف من أهل الحق، قد وُجِدَ ولا يزال موجوداً بحمد الله فى كل زمان ومكان، وقد بَشَّرَ به النبى ﷺ بقوله: «**ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى**»(٢).

* ومن أعرض عن هذه المصادر الشريفة، أو تهاون فيها، أو استخف بها، ورجع إلى ما كتبه أهل الأهواء والبدع، وما كتبه الضالون من الفلاسفة، أو الجائرون من الرافضة، أو المارقون من الخوارج، أو المُخَرِّفون من المتصوفة، أو العلمانيون الملحدون، أو الذين يُسمَّوْن بدعاة التنوير، أو المجترئون على الله الذين يأخذون دينه بالعقل والهوى، أو من يُخضعونه لأعراف الناس وعاداتهم وتقاليدهم، أو دعاة الاجتهاد دُونَ وَرَعٍ أو تقوى، أو خوف من الله، فيحلون الحرام، ويحرمون الحلال!

* مَنْ فعل هذا، فقد أخطأ الهدف، وضل السبيل، وأضل العباد، وكان وبالاً على نفسه، وشؤماعلى غيره، وكان عليه وزره، ووزر من ضلَّ به إلى يوم القيامة، ﴿**يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾ [غافر: ٥٢].

* ومن خلط بين الأمرين، فأخذ الحق والباطل، والهدى والضلال، وجمع بين حقائق الدين، وأوهام الواهمين وضلال الضالين، وبِدع المبتدعين، دون أن يَمِيزَ الخبيثَ من

---

(١) أى حقًا وهى بمعنى القسم.

(٢) رواه مسلم.

الطيب، ودون أن يدور مع الحق وينتصر له، فقد أساء ولم يحسن، وأفسد ولم يصلح، وضل وأضل، وكان عليه وِزْره وَوِزْر من ضل به إلى يوم القيامة.

* *

* على أى حال، فإن الناس بحمد الله لم يَعْدِمُوا إذا أرادوا فى أى وقت علمًا نافعًا، يقرأونه عن الإسلام، لا سيما فى هذه السنين، التى يشهد فيها الكتاب الإسلامى طفرة كبرى، منه ما كان لله، ومنه ما كان لغير الله، «**وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»(١).

* *

* والحق، أن الأولين من علماء السلف، لم يتركوا من حقائق الإسلام شيئًا إلا وتحدثوا عنه،وكتبوا فيه، بكل ما هو حق وخير وهدى، وأن الآخرين لم يضيفوا - ولا يمكن لهم أن يضيفوا - إلى أسلافهم الكرام شيئًا فى هذا الباب، إلا من حيثُ الأسلوبُ والتبويب، وطريقة العرض، بما يتناسب وطبيعة العصر، وسنة التطور، وهذا شئ لا حرج فيه، بل هو أمر مهم جداً حين يساعد على فهم دين الله عز وجل.

* **أما المضمون**، فهو هو، لا يمكن لمسلم أن يغيره، أو يحرفه، أو يضيف إليه، أو ينقص منه، أو يبتدع فيه، وإلا كان من الأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

* وأمثال هؤلاء، لا سيما العقلانيون والعلمانيون والمبتدعون، مفضوحون بحمد الله، مردود كيدهم إلى نحورهم، ولو ظنوا أن العصر عصرهم، فإن الله قد تكفل بحفظ دينه، وإعلاء كلمته، مهما طال الزمن، ومهما اشتد الخطب، فهم إلى زوال، ودين الله هو الباقى، ورجاله هم الرجال، قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [**الحجر**: ٩].

---

(١) رواه البخارى.

* **ومن حاول أن** يخرج عن فهم السلف، وإجماع الأمة، بدعوى التجديد، أو بدعوى المعاصرة، أو بدعوى التنوير، أو بدعوى جواز تَغَيُّرِ الفتوى بِتَغَيُّرِ الزمان أو المكان أو الأشخاص، أو بغير ذلك من الدعاوى، دون أن يكون له من شرع الله سند، فهو من الخاطئين.

* *

* إنه لا سبيل لمعرفة الإسلام معرفة صحيحة، إلا من كتاب الله تعالى، وسنة الرسول ﷺ، وبفهم السلف الصالح رضى الله عنهم.

* فمن شاء أن يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا، وأن يعرفه معرفة حقة، وأن ينجو من كل بدعة فى العقيدة والعمل، فليس أمامه سوى القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، وما نقل عن الصحابة والتابعين، ومن نهج نهجهم، من الأئمة المجتهدين، والعلماء العاملين من أهل السنة والجماعة، المشهود لهم بصحة العقيدة، وسلامة التَّوَجُّه، والانتصار للحق، وتصفية الدين مما ألحقه به الأعداء والأدعياءمن خرافات وأباطيل، واجتهادات وتقريرات ليست من الحق فى شئ.

* وعلى هذا الأساس، وضعت هذا الكتاب في العقيدة الصحيحة التى هى أساس الملة، وأصْل الدين،وسميته:

﴿ البيان فى أركان الإيمان ﴾

* وعلى ضوء ما تقدم، فإننى أعلن لمن بلغه هذا الكتاب، أننى ملتزم فيه غاية الالتزام بمنهج السلف الصالح، فهو المنهج الحق، وكل ما سواه محاط بمحاذير وأخطاء وأخطار، لا طاقة لى بتحمل آثارها يوم لقاء الله.

* أمَّا سوى ذلك، خاصة ما اخْتُلِفَ فيه، ويجوز فيه الخلاف، فسأدور فيه مع الدليل الراجح، فإذا تساوت الأدلة، فسأكون مع الأسهل والأيسر إن شاء الله، « **فما خُيِّرَ** ﷺ

بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا »[1] .

* *

* ثم إن مضمون هذا الكتاب ليس بجديد،

* فهو إما قرآن كريم، أو سنة صحيحة[2]، وإما فهم سليم سبقنى إليه الراسخون فى العلم، ممن وفقهم الله، وألهمهم الرشد، ورفعهم فوق زَيْفِ الماديات، وإغراء المناصب، وأدران الشهوات، واستمسكوا بالحق وحده، فنفع الله بهم البلاد والعباد، وحسبى أن أسير على نهجهم، وأنهل من مواردهم،

* وليس لى وراء ذلك، سوى منهجى فى التناول، وأسلوبى فى الأداء، وطريقتى فى العرض.

* *

* وإذا لمس القارئ الكريم مدى الجهد الذى بذلته فى هذا الشأن، فأسأله صالح الدعاء.

* وما كان فى هذا الكتاب من صواب، فبتوفيق من الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمنى، فما أنا إلا بشر أخطئ وأصيب، والكل يؤخذ منه ويرد عليه، إلا الرسول الأكرم ﷺ .

* *

* وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الدنيا والآخرة وأن يغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

* رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين.

---

(١) رواه البخارى، ومسلم.

(٢) ولو من حيث المعنى.

* ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً .

* والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

عبد الرحمن عبد السلام يعقوب

مدينة نصر/ القاهرة

١٤١٦هـ / ١٩٩٦م

« لايصلح الناس إلا بدين »

* خلق الله الإنسان وركبه من مادة وروح، ففيه الخير والشر، والفجور والتقوى.

كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨].

* *

* ومن الناس من يغلب عليه الشر، فيكون أحط من البهائم فى الشهوة، وأضرى من الوحوش فى العدوان، وأقوى من الشيطان فى الكيد!

ولو قامت جماعة من البشر تنظم نفسها بقانون تستحدثه، لما أدى ذلك إلى الإصلاح المنشود، والأمل المقصود، لأن واضعى القوانين بشر، يجرى عليهم النقص، والجهل، والخطأ، والميل، والهوى، وغير ذلك، وإن قوانينهم تأتى وفق طباعهم وأخلاقهم فلا يتحقق بها المراد.

* ثم إن الإنسان يستطيع أن يحتال على هذه القوانين، وإذا أمكنه أن يخالفها من أجا مصلحته فعل.

* *

* فالقوانين مهما كانت صارمة فإنها لا تنفع كما ينفع الدين، لأن الدين من عند الله الذى يعلم من خلق، وقد أنزله سبحانه لإصلاح الفرد والجماعة، وهو – أى الدين – يخلق الضمير الحى الذى يصحب الإنسان فى السر والعلن، والذى يملأ قلبه بالخوف من الله إذَا هُوَ خَالَفَه، فيدفعه ذلك فى الغالب إلى صوالح الأقوال والأعمال؛ بينما القوانين لا تُراعى من معظم الناس، إلا إذا خافوا من الوقوع في يد السلطة، فإذا وجدوا فرصة أَمِنُوا فيها على أنفسهم، هتكوا حرمة القانون، وخرجوا عليه، دون أن يبالوا من أحد، فمن المستحيل أن تؤدى القوانين الوضعية إلى استقرار المجتمع وأمنه كما ينبغى.

* ففى ظل الدين وتطبيقه تقل الجرائم إلى أبعد حدٍّ، وهذا ليس ضربا من الخيال، لأن ذلك قد وقع، يوم أن كان للشريعة حكمٌ ورايةٌ وكلمة.

* كذلك: فإن الإنسان مفطور على التطلع إلى مصدر قوى يتعلق به، يحسب حسابه، ويرجو ثوابه، ويخشى عقابه.

ولا يوجد هذا المصدر حقيقة إلا فى الدين.

• ولكن: أى دين يصلح به الناس؟

* توجد فى الأرض أديان كثيرة كلها تزعم أنها على الحق، وليس الأمر كذلك.

* فالدين الحق، هو الذى لا يقوم على عبادة بشر أو حجر أو بقر، أو غير ذلك.

* إن الدين الحق هو الذى يقوم على عبادة إله واحدٍ، أحدٍ فردٍ صمدٍ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

* إن الدين الحق، هو الذى يُوجِد الفردَ الصالح، والأسرةَ الفاضلة، والمجتمع الرحيم، والدولة الرشيدة، والحضارة الراقية، بما تضمنه من أحكام، وبما سنه من قوانين، وبما أطلقه من فكرٍ ونظرٍ وعملٍ فى الكون وفى الطبيعة.

وهذا الدين هو :

«دين الإسلام»

* تلك حقيقة لا ريب فيها، نقولها ونحن مطمئنون إليها غاية الطمئنان.

* لأنه الدين الصحيح، ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ [البقرة: ٢].

* ولأنه الدين الذى وضحت معالمه، وثبت مصادره، وحفظت من التحريف والتغيير، والتبديل والتعديل، وحملته أمة بأكملها جيلاً بعد جيل، وقبيلاً تِلْوَ قبيل، ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت: ٤٢].

* والذى تكفل بحفظه هو رب العالمين ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

* *

* وهذا الدين، كفيل بأن يحقق للإنسان ما ينشده من ارتقاء، وما يرجوه من كمال، وما يأمله من أمان، ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾ [المائدة].

* *

* والإسلام دستور كامل، استهدف إقامة حياة سليمة، يتحرر فيها العقل والضمير، وتستقل فيها الإرادة والتفكير، ويشعر فيها كل فردٍ بأنه لا سلطان لشئ عليه إلا ما قرره الخالق العظيم.

* والإسلام هو الذى أوجب على الناس أن يفتحوا عقولهم ليعرفوا آيات الله فى الكون، وسننه فى الخلق، وحكمته فى الطبيعة، ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

* واعتبر تعطيل الحواس، وعدم الانتفاع بها، تقصيراً يُسْأل عنه الإنسان، ويحاسب عليه يوم القيامة: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦].

* *

* إلى جانب هذا، حارب الإسلام الظلم والبغى، حتى لا تهدر كرامَةُ أحد، ولا تنتهك حرمة إنسان، ولا يشعر ضعيف بهوان، ولا يَحُس فقير بضياع، ولا يؤخذ مال بغير حق.

﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) ﴾ [الشورى].

* *

* لقد أوجد الله عز وجل بالإسلام، أصلح عقيدة، وأطهر حياة، وأنظف وجود على ظهر الأرض.

* حياة لا شريك فيها ولا وثنية، بل إيمان بالله وتوحيد له.

* حياة لا ظلم فيها ولا استبداد، بل عدل وأخوة وتسامح.

* حياة لا تسلط فيها ولا عبودية، بل شورى ومساواة وتناصح.

* حياة لا بغى فيها ولا قهر، بل رحمة وَرِقَّةٌ ويُسر.

* حياة لا جوع فيها ولا ضياع، بل كفاية ورعاية وتعاون.

* حياة لا جهل فيها ولا أمية، بل علم ومعرفة وحكمة.

* حياة لا رَفَثَ فيها ولا فسوق، بل طهارة ونظافة وعفة.

* حياة لا خمر فيها ولا ربا ولا قمار، بل كدح وعمل وطلب لما أحل الله.

* حياة لا حسد فيها ولا حقد، بل محبة ومودة وألفة.

* حياة لا سرف فيها ولا ترف، بل قصد وكرم وإيثار(١).

* *

* والخلاصة أن الإسلام قد استهدف تهذيب الفرد، وإصلاح الجماعة، وإيجاد حكم أساسه الشورى، وغايته حراسة الدين، وسياسة الدنيا.

* *

* هذا هو الإسلام الذى نقدمه للبشرية الضالة، والإنسانية الحائرة، ونجزم بأنه لا سعادة لها، ولا راحة، إلا باعتناقه، واتباعه، والعمل به.

* *

---

(١) المعنى من (إسلامنا).

* ويشهد التاريخ بأن المسلمين يوم أخذوا بالإسلام كانوا سادة وقادة، وكانوا يعيشون ومعهم الدنيا كلها فى راحة وأمان، ويوم أن تخلوا عنه تخلى، الله عنهم، وَوَكَلَهُم إلى أنفسهم، فصاروا إلى ما صاروا إليه من تبعية وهوان!

* *

* **وإذا أردنا أن نقنع العالم بالإسلام**، فلنقنعه، أولا بأن معظم المسلمين اليوم، لا يأخذون من دينهم إلا القليل، الذى لاينفعهم فى دنياهم وأخراهم، بل إن بعضهم لا يأخذ به أصلاً، بل إن بعضهم يناهض الإسلام، ثم يدعون أنهم مسلمون!

* *

* **الإسلام حجة الله البالغة.**

* وليس هؤلاء، وغيرهم حجة على الإسلام، بل لله الحجة البالغة، وللإسلام الحجة الدامغة، فها هى مصادره الشريفة، من كتاب وسنة نفتحها، وندعو الدنيا كلها لقراءتها، ونحن واثقون بأنهم سيسلمون لله، إذا تجردوا من قيود السلطة، وأغلال الهوى، والتبعية للأفكار الضالة، والأديان الباطلة، والسياسات الكاذبة.

* إن من يقرأ كتاب الله عز وجل، وأحاديث النبى ﷺ لا يجد إلا خيراً يؤمر به، أو شرًا ينهى عنه، أو حكما شرعيًا، يحل الطيبات، ويحرم الخبائث، أو قضاء يقضيه الله ليمنع به الفساد بين العباد.

* من ثم كان.

* **الإسلام هو الدين الحق**

الذى لابد منه لكل الناس إذا أرادوا صلاحًا وفلاحًا.

* أما غيره من الأديان فليست بشئ، فقد حُرِّفَتْ أصولها، وضاعت معالمها، واضطرب أمرها، وأصبحت ضلالا وظلامًا.

* *

* جاء النبى ﷺ فى وقت كان الناس فيه على مذاهب شتى من الضلال.

* **فالعرب**، أفسدوا ملة إبراهيم عليه السلام، وتحولوا من عبادة الله إلى عبادة الأصنام، وزعموا أنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله، فأكذبهم سبحانه وأكفرهم بقوله: ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾ [الزمر: ٣].

* **واليهود**، أفسدوا الدين الذى جاء به موسى عليه السلام، حين قالوا: «عزير ابن الله»، وحين «اتخذوا العجل إلها من دون الله»، فبين الله كفرهم وضلالهم بقوله سبحانه: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ**﴾ [التوبة: ٣٠] وبقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ**﴾ [الأعراف: ١٥٢].

* **والنصارى**، أفسدوا الدين الذى جاء به عيسى عليه السلام، حين اتخذوا من دون الله آلهة، فمنهم من قال: إن الله هو المسيح عيسى ابن مريم! ومنهم من قال: إنه ابن الله! ومنهم من قال: إن الله ثالث ثلاثة! ثم اتخذوا رهبانهم أربابًا من دون الله كما فعل اليهود مع أحبارهم، فكفروا بذلك، وقال الله تعالى فى شأنهم: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ [المائدة: ٧٢] وقال سبحانه: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**﴾ [المائدة: ٧٣].

* قال بتلر، وهو مستشرق نصرانى فى كتابه فتح العرب لمصر(١)، وهو يبين كيف تحول الموحدون من النصارى إلى الوثنية والشرك: «لم تكن المسيحية فى يوم من الأيام من التفصيل ومعالجة الإنسان، بحيث تقوم عليها حضارة، أو تسير فى ضوئها دولة، ولكن كان فيها أثارة من تعاليم المسيح، وعليها مسحة من دين التوحيد، فجاء بولس فطمس نورها، وَطعَّمَهَا بخرافات الجاهلية التى انتقل منها، والوثنية التى نشأ عليها،

---

(١) الصحيح أن يقال (الفتح الإسلامى) فقد فتح العرب البلاد باسم الإسلام وتحت لوائه ولم يكونوا قَبْلَهُ شيئًا مذكورًا وهذه من الكلمات التى يقصدها ويتعمدها أعداء الإسلام، فَتَنَبَّه وَاحْذَر.

هذه النسبة خطأ شائعث والصحيح أنها «النصرانية».

وقضى قسطنطين على البقية الباقية، حتى أصبحت النصرانية مزيجًا من الخرافات اليونانية، والوثنية والرومية، والإفلاطونية المصرية، واضمحلت[1] فى جنب الرهبانية التعاليم المسيحية، وأصبحت أليافا جَافَّةً من معتقدات لا تغذى الروح، ولا تمدّ العقل، ولا تشعل العاطفة، ولا تَحُل مُعضِلات الحياة، ولا تُنير السبيل، وأصبحت على تعاقب العصور ديانة وثنية، وأسرف المسيحيون فى عبادة القديسين، والصور المسيحية، حتى فاقوا فى ذلك الوثنيين»[2].

* *

* كان هذا – ولا يزال – حال من يزعمون أنهم أهل دين سماوى!

* لقد حولوه من توحيد إلى شرك، ومن إيمان إلى كفر

* أما غيرهم من الوثنيين فحدث ولا حرج.

* إنهم كانوا – ولا يزالون – أصنافا وأشكالا.

* **منهم** من يعبد الأبقار، والأحجار، والأشخاص، **ومنهم** من يعبد الشمس والقمر والنجوم والكواكب، وغير ذلك!

* إنهم يعبدون أى شىء، إلا الله، سبحانه وتعالى عما يشركون.

* **هذا من جهة العقيدة**، إنها تقوم عندهم على الكفر بالله والشرك به!

* **أمّا من جهة العمل**، فقد كان عملاً فاسداً، تبعا لفساد العقيدة.

* **فاليهود**، أحلوا لأنفسهم ظلم غير اليهودى، فى النفس، والمال، والعرض، وكل شىء، وزعموا أن ذلك دين قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٧٥]. وقال سبحانه: ﴿ **وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [النساء: ١٦١].

---

(١) ذهبت.

(٢) يوم الإسلام.

* وكثير من **النصارى**، أباحوا الخمر، والربا، والتبرج، والانحلال، والفاحشة، وقد حرمها الله جميعًا.

* *

* **ولا شك**، أن الأديان التي تقوم على هذه الخبائث، فضلاً عن الكفر بالله تعالى، أديان باطلة.

* **أمّا الدين** الذى يقوم على قول الله تعالى: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)** ﴾ [الأنعام].

* وعلى قوله جل شأنه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النحل: ٩٠].

* وعلى قوله سبحانه: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الممتحنة: ٨].

* وعلى قول النبى ﷺ: « **المسلم أخو المسلم لا يَظْلمه ولا يُسْلمه، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرّج عن مسلمٍ كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة** »(١). وعلى قوله: « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** »(٢)، وقوله « **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم،**

---

(١) رواه البخارى ومسلم، ويُسْلمه أى إلى عدوه.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(١). وقوله: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»**(٢).

* **إن الدين** الذى يقوم على هذه الأصول، وعلى غيرها من مكارم الأخلاق فى النيات، والأعمال، والأقوال، هو **الدين الحق**. وهو الدين الذى تحتاجه البشرية كلها.

* **ولهذا**، كانت الدعوة إليه بكل سبيل فرضًا على الأمة الإسلامية أفرادًا وجماعات، قال تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال سبحانه: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)** ﴾ [يوسف]. وقال النبى ﷺ «**بلِّغوا عنى ولو آية**»(٣).

* وكان الجهاد فى سبيله بالنفس والمال، والقول، وكل شئ فرضًا على كل مسلم ومسلمة.

* ونحن – بتوفيق الله – نجاهد بسلاح لا نملك غيره، هو سلاح الكلمة، وما أمضاه من سلاح لاَ سِيما إذا كان مُسْتَمَدًّا من كتاب الله تعالى، الذى جاهد به النبى ﷺ الكافرين جهادًا كبيرًا كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا (٥٠) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا (٥١) فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)** ﴾ [الفرقان].

* * *

(١، ٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخارى.

لا دين إلا الإسلام ولا نجاة إلا به

* فقد قضى الله سبحانه أن الإيمان بالإسلام فرض على كل مكلف بلغته الدعوة فى أىّ زمان وفى كل مكان.

* قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [**الأعراف**: ١٥٨].

* ومن لم يؤمن بهذا الدين فهو كافر ضال، مأواه جهنم وبئس المصير.

قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [**آل عمران**: ٨٥].

* وفرض الله عز وجل على كل مكلف أن يَعْرِف من أمور دينه، مَا تَصِحّ به عقيدته، وما يَصْلُح به عمله، وما يستقيم به تَصُوُّره لهذا الدين، ولهذا كان « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** »(١).

* والمراد بالعلم فى هذا الحديث، العلم الشرعى، الذى يُعْرَف به الحلال والحرام، والحق والباطل.. الخ.

* وهو فريضة على الرجل والمرأة معًا، أما العلوم الأخرى اللازمة للأمة، كعلوم الصناعة، والزراعة، والتجارة، وغيرها، فهى فرض كفاية على المجتمع المسلم، **وفرض الكفاية**، هو ما كان فى عنق الأمة أو الجماعة، فإذا قام به فرد أو أفراد، وتحقق به المقصود، سقط هذا الفرض عنهم جميعا، وإن لم يقوموا به أَثِمُوا جَميعًا.

---

(١) رواه البخارى.

* كيف يُعرف الإسلام؟

* إنه لا سبيل للتعرف على الإسلام، إلا من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه محمد ﷺ، وبفهم السلف الصالح، ومن نهج نهجهم من علماء الأمة، من أهل الفقه فى دين الله، تفسيراً لِكتابه، وإيضاحًا لِسُنّة نبيه، واجتهاداً قائمًا على الدليل الصحيح، بهدف الوصول إلى الحق.

فإلى ساحة هؤلاء نتعرف منهم على: « دين الإسلام »

* ونبدأ ببيان هذه الجُملة العظيمة، التى نسبها الله إلى نفسه، وأرسل بها كافة رسله، وأنزل من أجلها كتبه.

* **الدِّين**، بكسر الدال، يأتى لمعان:

الطاعة، والانقياد، والجزاء، والشريعة.

قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ**﴾ [يوسف: ٧٦].

وقال سبحانه: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ④﴾ [الفاتحة] أى يوم الجزاء، وهو يوم القيامة.

وقال جل شأنه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ**﴾ [البقرة: ١٣٢].

* **فالدين**، هو: الشريعة، وعبادة الله، وطاعته.

* والدين الذى اختاره الله لعباده وشمل كل هذه المعانى هو: دين الإسلام.

* الإسلام

* الإسلام فى اللغة الخضوع، والانقياد الظاهرى، يقال: أسلم فلان لفلان، أى خضع، وانقاد، واستسلم.

* أما الإسلام فى عرف الشرع فهو: الخضوع، والاستسلام، والانقياد الاختيارى لله تعالى، ويشمل الاعتراف باللسان، والعمل بالجوارح، والوقوف عند الحدود، والرضا والقبول بما أُمِرَ به، ونُهِيَ عنه، بلا قيد أو شرط.

* ونقول: الخضوع الاختيارى، لأن الخضوع القهرى لله تعالى، أمر عام بالنسبة لجميع المخلوقات ولا ثواب عليه ولا عقاب.

* قال تعالى: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ [آل عمران: ٨٣] فكل مخلوقٍ خاضع لله ولسننه، فى وجوده وبقائه وفنائه ورزقه، وغير ذلك، والإنسان كغيره من المخلوقات فى هذا الخضوع القهرى.

* أما الخضوع الاختيارى فهو: جوهر الإسلام، المطالب به الإنسان، وعليه يكون الثواب والعقاب.

* *

* **والإسلام بهذا المعنى**، أرسل الله به الرسل، وأنزل به الكتب، وشرعه للناس، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [آل عمران: ١٩] وهو معنى ما جاء على ألسنة الرسل الكرام بأنهم مسلمون.

* ثم صار الإسلام عَلَمًا على الدين الذى جاء به محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿**وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣] وصار أتباعه هم المسلمون(١).

* **وعلى هذا يُعَرَّف الإسلام فى صورته الأخيرة بأنه**: «دين الله الذى أوحى به إلى رسوله محمد ﷺ، وأمره بتبليغه للناس كافة.

* **ومظهره**، الخضوع الاختيارى لله، والانقياد لشرعه، ومتابعة النبى ﷺ فيما جاء به من ربه،

* قال تعالى: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥].

* *

---

(١) المختار من كنوز السنة، وأصول الدعوة ومعجم ألفاظ القرآن الكريم.

* ولا بد لمن يتحدث عن الإسلام أن يتحدث عن الإيمان، وما بينهما من صلة، فنقول:

* **الإيمان** فى اللغة التصديق، قال تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام: ﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا**﴾ [**يوسف**: ١٧] أى بمصدق لنا.

* **والإيمان فى الشرع**، التصديق الباطنى الجازم بما جاء به محمد ﷺ من ربه، مع الرضا، والمحبة، والارتياح النفسى لهذه العقيدة كما فى آية النساء السابقة.

* *

«لا فرق بين الإيمان والإسلام»

* لم يُنقل عن السلف الصالح رضى الله عنهم، أنهم فرقوا بين الإيمان والإسلام، فقد كانا عندهم بمعنى واحدٍ، فإذا ذكر الإيمان شمل الإسلام، وإذا ذكر الإسلام شمل الإيمان.

* جاء فى جامع العلوم والحكم فى شرح حديث جبريل عليه السلام: «والمشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلها داخلة فى مسمى الإيمان، وحَكَى الشافعى رحمه الله على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومَنْ بَعْدَهم ممَّن أدركهم، وأنكر السلف على من أخرج الأعمال من الإيمان إنكاراً شديداً، قال الأوزاعى رحمه الله: وكان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان».

* **وهذا القول تشهد له الأدلة من الكتاب والسنة.**

* **فمن الكتاب**، قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا (٤)**﴾ [الأنفال]. وقوله سبحانه: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥)**﴾ [المؤمنون].

* **ومن** السنة قوله ﷺ : « **الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان** »[١] .

* وقوله ﷺ : « **الإسلام أن تُسْلِمَ قلبك لله وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك** »[٢] .

* وقال معاوية بن حيدة رضى الله عنه، للنبى ﷺ : « **يا رسول الله بالذى بعثلك بالحق، ما الذى بعثك الله به؟ قال : الإسلام، قال : وما الإسلام؟ قال : أن يَسْلم قلبك لله، وأن توجه وجهك لله، وأن تصلى الصلاة المكتوبة، وتؤتى الزكاة المفروضة** »[٣] .

* وجاء فى سنن الترمذى « باب ما جاء فى إضافة الفرائض إلى الإيمان » وذكر حديث النبى ﷺ لوقد عبد القيس : « **آمركم بأربع، الإيمان بالله، ثم فسرها لهم، شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، واقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم** » .

* *

* **فهذه النصوص من الكتاب والسنة** أدخلت أعمال القلوب وأعمال الجوارح تحت مسمى الإيمان والإسلام معًا .

* **وأما حديث جبريل عليه السلام الذى سأل فيه النبى** ﷺ عن الإيمان فقال : **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسأله عن الإسلام فقال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**، فقد جاء فى شرح صحيح مسلم للإمام النووى عن الإمام البغوى أنه قال : « **جعل النبى ﷺ الإسلام إسما لها ظهر من الأعمال، وجعل الإيمان اسْمًا لِمَا بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان، والتصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة واحدة هى كلها شئٌ واحد، وجماعها الدين، ولذلك قال ﷺ : ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم** » .

---

(١) رواه مسلم. (٢) رواه أحمد.

(٣) رواه أحمد.

* **والتصديق** والعمل يتناولان اسم الإيمان والإسلام جميعًا، يدل عليه قوله سبحانه: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ﴾ ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾** أ.هـ.

* وبهذا يفهم قوله تعالى: **﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦)﴾** [الذاريات].

* **قال القرطبي** رحمه الله عند هذه الآية: «**والمؤمنون والمسلمون ههنا سواء**».

* وقال عند قوله تعالى **﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)﴾** [البقرة: ١٢٨]: والإسلام فى هذا الموضع هو الإيمان والأعمال جميعًا. ومنه قوله تعالى: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾** ففى هذا دليل لمن قال: إن الإيمان والإسلام شئ واحد، وعَضَّدُوا هذا بقوله تعالى فى الآية الأخرى: **﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾**ا.هـ.

* **وأما قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [**الحجرات**: ١٤] ففيها أقوال، منها: **ما جاء فى ابن كثير، قالوا**: «نزلت فى أعراب ادَّعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يحصل لهم بعد فَأُدِّبوا وأُعْلِموا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد، وإنما قيل لهم تأديبًا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا، أى لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد، ولكن قولوا أسلمنا أى استسلمنا.

* **وفى أضواء البيان**، وقيل: نزلت فى أعراب منافقين، نفى الله عنهم الإيمان الشرعى الصحيح، وأثبت لهم الإسلام اللغوى، الذى هو الاستسلام، والانقياد الظاهرى، دون القلب، وإنما ساغ ذلك، لأن الشرع الكريم جاء باعتبار الظاهر، وأن أمر السرائر إلى الله، فالانقياد الظاهرى يكتفى به شرعًا، وإن كان القلب مطويًا على الكفر، ولهذا ساغ إرادة الحقيقة اللغوية، فكل انقياد واستسلام، وإذعان، يسمى إسلامًا».

* وقد يكون المراد نفى كمال الإيمان، إذا كانوا مسلمين.

* ومسمى الإيمان الشرعى الصحيح، والإسلام الشرعى الصحيح، هو: استسلام القلب بالاعتقاد، واللسان بالإقرار، والجوارح بالعمل، فمؤداهما واحد، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين** ﴾ الآية.

* **قال القرطبى**: وبالجملة فالآية خاصة لبعض الأعراب لأن منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر.

* *

* **وقد وفق بعض أهل العلم** بين هذه الآراء، فجاء فى كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إذا ذكر الإسلام وحده، فإنه يشمل الإيمان، وإذا ذكر الإيمان وحده، فإنه يشمل الإسلام، وإذا ذكرا معًا، فالمراد بالإسلام، الأعمال الظاهرة، والمراد بالإيمان الأعمال الباطنة».

* **وهذا اجتهاد طيب ومشكور**، وتبقى الأمة بخير ما بقى فيها المجتهدون الصالحون، لَكِن مَا كَانَ عليه سلف الأمة من عدم التفرقة بين الإيمان والإسلام فى كل الأحوال هو الراجح لقوة أدلته، ولأنهم السلف الصالح وكفى.

* * *

* الإسلام هو العقيدة وهو الشريعة

* يقول البعض: إن الإسلام عقيدة وشريعة

ويقصدون بالعقيدة أعمال الباطن، وبالشريعة أعمال الظاهر، وهذا اجتهاد في غير موضعه

والصحيح أن يقال: « **الإسلام إيمان وعمل** » إيمان صحيح، وعمل صالح، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ [الكهف: ١٠٧]، وكل ذلك شريعة، لأن **الشريعة**: ما شرع الله لعباده من الدين[١] كما قال تعالى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾ [الشورى: ١٣] وكما قال سبحانه: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الجاثية: ١٨] : فالإسلام هو الشريعة، والشريعة هى الإسلام.

* *

* وليس فى الدين باطن ولا خفى

* يزعم بعض الناس أن للشريعة ظاهرا وباطنا، وأن للقرآن ظاهرا وباطنا، **والظاهر**: ما يفهمه العامة، **والباطن** ما يُلْهَمُه الخاصة من شيوخهم وعلمائهم! وهذا باطل، فإن الله تعالي، أكمل الدين ووضحه، وأتم الملة وبينها، ويسر القرآن للذكر والفهم، وترك النبى ﷺ أمته على أوضح طريق، وقيض الله سبحانه للإسلام علماء ألهمهم الفهم والرشد، ووفقهم إلى أن يبينوا للناس ما ورثوه عن رسول الله ﷺ، من علم نافع ظاهر وواضح فى الكتاب والسنة، ولا يتكلفون فيما سواه.

---

(١) مختار الصحاح

قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

وقال ﷺ: « **تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها** »(١).

* فما زعمته هذه الطوائف من أن للإسلام ظاهرا وباطنا، وأن الإسلام فيه إشارة وعبارة، فهو من الباطل، لأنه لا دليل عليه من الكتاب الكريم، والسنة الصحيحة، بل الدليل يخالف ما زعموه..

* وإنما قال هؤلاء بهذه البدعة، لِيُلَبِّسُوا على الناس، بأن لهم فهمًا غير فهم البشر، وإلهامًا غير إلهام الخلق، حتى يُشَرِّعُوا لهم ما لم يأذن به الله، وقد فعلوا، فضلوا وأضلوا.

* *

(١) رواه ابن ماجه.

* كيف يتحقق الدين؟

* يتحقق بالاعتقاد، والقول، والعمل، اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان. هذا هو المطلوب من المكلف ليكون مقيما لدين الله سبحانه.

* إلا أن هذه الأمور ليست متساوية.

* فأعظمها شأنا هو **الاعتقاد** القلبى، لأنه إذا عدم، عدمت حقيقة الإيمان.

والاعتقاد هو: الإيمان الجازم بكل ما ثبت بالضرورة أن رسول الله ﷺ قد جاء به من ربه، مع الرضا به، والارتياح له، قال ﷺ: « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به** »(١).

ﷺ وبهذا الجزء يتحقق أساس الإيمان، ولا يُخَلَّدُ صاحبه فى النار إذا مات على ذلك، ما لم يأت بناقضة من نواقض الإسلام.

* ويلى الاعتقاد، **إعلان هذه العقيدة** بالقول أو بغيره من الأدلة الظاهرة، كالصلاة والزكاة والصوم ونحوها، مما يؤدى معنى الاعتراف بالإسلام.

* وبهذه الجزء يتعارف المؤمنون، ويتناصرون، ويتزاوجون، ويكون حماية لصاحبه، وعصمة لدمه وماله، إلا لسبب آخر يقرره الدين فى عقوباته وأحكامه، كقتل قاتل النفس بغير حق، والتارك لدينه، المفارق للجماعة.

* وهذا كله من أصول الإسلام، لأن الحكم على الناس لا يكون إلا بما ظهر من أعمالهم وأقوالهم، أما القلوب فأمرها إلى الله.

* وأخيرا يأتى **العمل بموجب هذه العقيدة**، وذلك بأن يفعل ما أمر الله به، ويترك ما نهى الله عنه.

* وهذا الجزء تتفاوت مراتبه تفاوتًا كبيرا.

---

(١) الحديث رقم ٤١ فى جامع العلوم والحكم ومعناه صحيح.

* فمن وفَّاهُ حقه ما استطاع كان من الناجين.

* ومن أدى الفرائض، واجتنب الكبائر، ولكنه أتى شيئًا من الصغائر، أو قصَّر فى النوافل عفا الله عنه –إن شاء– ما ارتكبه من سيئات، وأدخله الجنة بغير عذاب.

قال الله تعالى: ﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا** ﴾ [النساء: ٣١].

* ومن ترك فريضة، أو فعل كبيرة وتدارك أمره بالتوبة قبل أن يحضره الموت، كان حقا على الله أن يتوب عليه، ويدخله الجنة بغير عذاب. كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء: ١٧].

* ومن أصَرَّ على ما فعل حتى مات على ذلك، لم يكن حقا على الله أن يتوب عليه، كما قال سبحانه: ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [النساء: ١٨].

أى ليست التوبة حقا له، بل يبقى الفصل فى عقوبته مُفَوَّضًا إلى الله، إن شاء عفا عنه بفضله، وإن شاء عذبه بذنبه، ثم أخرجه إلى الجنة ولو بعد حين.

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه **أنهم بايعوا النبى ﷺ على أن لا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يعصوا، فقال لهم ﷺ: فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن فعل شيئًا من ذلك فعوقب به فى الدنيا، فهو كفارته، ومن فعل ولم يعاقب فهو إلى الله تعالى، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه»**(١).

* **وعلى هذا فإن:**

المؤمن لا يكفر بالمعاصى

* وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، على خلاف ما ذهبت إليه بعض الفرق من أن

(١) رواه مسلم، وراجع المختار من كنوز السنة.

مرتكب الكبيرة مخلد فى النار ما لم يتب منها[1]، وحجتهم فى ذلك:

* أن الله تعالى وصف عباده المؤمنين بأنهم ﴿ **لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠)** ﴾ [الفرقان] .

* وأن الله سبحانه جعل الناس يوم القيامة فريقين: فريقًا فى الجنة، وفريقًا فى السعير، وليس هناك فريق ثالث، فمن دخل النار ولو بذنب فلا يخرج منها أبدا!

* وأن النبى ﷺ صرح فى أحاديث كثيرة، بأن أهل المعاصى لا يدخلون الجنة، إذا ماتوا على معاصيهم، من ذلك قوله: « **لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن** »[2]. وغير ذلك من الأحاديث.

* *

* **وهذا** رأى غير صحيح .

* لما سبق تقريره من الأدلة الصحيحة، ومنها حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه.

* ولقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء:١١٦].

* ولقوله ﷺ: « **يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير** »[3].

* ولقوله: « **حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرجوا مَنْ كان**

---

(١) ومنها الخوارج والشيعة والمعتزلة، إلا أنهم قالوا: إنه فى منزلة بين منزلتى الإيمان والكفر، فلا يدخل الجنة ولا النار! وعلى النقيض من ذلك، قالت المرجئة: لا تضر مع الإيمان معصية، ولا تنفع مع الكفر طاعة، فما دام الإنسان مؤمنًا، فيدخل الجنة قطعا، ولو ارتكب كل السيئات، ولن يدخل النار بأى ذنب، وهذا القول باطل مطلقا، وسيأتى فى بحث القدر إن شاء الله.

(٢) رواه البخارى.

(٣) رواه البخارى.

يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود»(١).

* وأما المراد بالخلود فى قوله تعالى: «**ويخلد فيه مهانا**» فهو المكث الطويل، فالخلود يطلق ويراد به الخلود الأبدى، ولا ريب أنه للكافر، ويطلق ويُراد به طول المدة، وهو للمؤمن المعذب بِذنوبه، وهذا ما تؤكده، وتقرره، وتجمع عليه الأدلة الصحيحة.

* ولا شك أنه ليس فى الآخرة سوى الجنة والنار، فمن دخل الجنة فلا يخرج منها، ومن دخل النار، فهو إما مخلد فيها لكفره، وإما معذب فيها بذنبه، ومصيره إلى الجنة بفضل الله ورحمته.

* *

* وأما ما استدلوا به من الأحاديث التى تَنْفِى الإيمان عن بعض العصاة، فإن الكبائر ليست محصورة فى الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والقتل، بل هى كثيرة جدا، ولم يأت ذكرها بهذا المعنى فى أحاديث أخرى، وقد أجمع أهل الحق على أن المراد نفىُ كمال الإيمان لا نفىُ حقيقته، أى لا يكون من فعل هذا كامل الإيمان، بل هو مؤمن لكن إيمانه ناقص بهذه الكبائر وغيرها..

* وقد يكون المراد، نفى الإيمان، وذلك إذا ارتكب الكبيرة مُسْتَحِلاًّ لها، مع علمه بتحريم الشرع لها، فيكون كافرا كفرا مطلقا..

* فمن المعلوم أن من استحل شيئا حرمه الله ورسوله، أو حرم شيئًا أحله الله ورسوله، مع علمه به، فهو كافر خارج عن الإسلام.

* *

* الإيمان يزيد وينقص

* **يزيد الإيمان بالطاعة وينقص بالمعصية**، ويتفاضل المسلمون بذلك، فأكثرهم إيمانًا، أعظمهم فضلاً، وأقلهم إيمانًا أقلهم فضلا، والأدلة على ذلك كثيرة.

---

(١) رواه البخارى.

* فمماً يدل على زيادة الإيمان، قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]. وقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢].

* ومما يدل على نقصانه نفس الآيات السابقة، فما دام الإيمان يزيد، فهو ينقص.

* ثم ما قاله ﷺ: لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن.. الحديث،

فهذا الحديث وأمثاله تدل على نقصان الإيمان بالمعاصى لا سيما الكبائر.

* فمن قرأ هذه النصوص المحكمة الواضحة التى لا تقبل تأويلا ولا تحريفا، فلا يملك إلا القول بأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهذا هو الحق الذى كان عليه السابقون الأولون، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* *

«أصول العقيدة وأركان الإيمان»

* **قلنا** : إن الإسلام يتحقق بالاعتقاد، والقول، والعمل.

* **والاعتقاد هو** : الإيمان الصحيح بما جاء به رسول الله ﷺ، بحيث ينعقد عليه قلب المسلم ولا يتحول أبدا.

* **هذه العقيدة**، هى أصل الإسلام، وأساس الملة، ولا تُقبل الأعمال والأقوال، إلا إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، وإذا فسدت العقيدة، فسدت كل من العبادات وحبطت كل الأعمال، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [الزمر : ٦٥].

* *

* وتقوم العقيدة الصحيحة على أركان الإيمان، وهى :

* **الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره، وشره.**

قال تعالى : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ [البقرة : ٢٨٥].

* وقال جل شأنه : ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾ [النساء : ١٣٦].

* وفى حديث جبريل أنه سأل النبى ﷺ عن الإيمان، قال : «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**»[١].

**

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

* ويتفرع عن هذه الأركان الستة ما يجب على المسلم اعتقاده فى الله سبحانه، وأمور الغيب التى جاءت فى الكتاب والسنة(١).

* والإيمان بالغيب من علامات الهداية والتوفيق.

قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ (٣)** ﴾ [**البقرة**].

* والغيب، ما غاب أمره عن العباد مما ورد ذكره فى القرآن والسنة، ومنه هذه الأصول، وما يتعلق بها من بعث وسؤال وحساب وجنة ونار وجن، وغير ذلك مما يُعدّ الإيمان به أفضل الإيمان.

* ذكر ابن كثير عند هذه الآية أن أصحاب عبد الله بن مسعود كانوا جلوسًا عنده، فذكروا أصحاب النبى ﷺ، وما سبقوهم به، فقال عبد الله: إن أَمْر محمد ﷺ كان بينا لمن رآه، والذى لا إله غيره ما آمن أحد قط، أفضل من إيمان بغيب».

* وذكر أن أبا عبيدة الجراح قال: «**يا رسول الله، هل أحد خير منا؟ أسلمنا معك، وجاهدنا معك، قال: نعم، قوم من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى**»(٢).

***

(١) وتتضمنها بالضرورة أركان الإسلام فالمسلم حين يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله فهو يشهد بأنه مؤمن بهذه الأركان التى جاءت من عند الله وبلغها رسول الله ﷺ.

(٢) رواه أحمد.

* ونبدأ بالذى هو خير :

الإيمان بالله

* هذا هو الركن الرئيس ،

* إنه رأس الأمر وعموده وذروة سنامه.

* من أجله خلق الله الملائكة والجن والإنس ، قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦].

بل خلق الله من أجله سائر الكائنات، وهداها إلى معرفته، وإلى التسبيح بحمده.

قال تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)﴾ [الإسراء : ٤٤].

* ومن أجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الجهاد، وخلق الجنة والنار.

قال سبحانه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء : ٢٥].

قال ابن عباس وغيره : «عبادة الله تعنى توحيده سبحانه وتعالى».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : «العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال، الظاهرة والباطنة»(١).

* ولا ريب أن فى مقدمة هذه الأقوال والأفعال، الإيمان بالله إيمانا صحيحا، وبدون الإيمان الصحيح، لا يكون إسلام ولا دين، ولا شئ سوى الكفر والضلال والخلود فى النار.

قال تعالى : ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢)﴾ [المائدة].

(١) مجموع الفتاوى.

الله حق لا ريب فيه

* إن من يقرأ القرآن الكريم يجد **أنَّ الله تعالى ساق كل الأدلة** والبراهين العقلية والكونية والقلبية لإثبات وجوده الذى لا يقبل الشك أبداً .

* **ثم أخذ يوجه** الذين آمنوا بوجوده[1] إلى حقيقة هذا الإله الحق، وذلك من خلال أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، حتى يعبدوه سبحانه على معرفة وبصيرة ، فإن من يعبد من لا يعرف فكأنما يعبد عَدَمًا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

* **ثم أخذ يوجههم** بعد ذلك إلى عبادته عبادة صحيحة ، وذلك بتوحيده ربًا وتوحيده إلهًا .

* *

* **فبالنسبة لوجود الله**، فقد ثبت فعلاً وقطعًا، أن الله موجود، وأنه حق لا ريب فيه والأدلة على ذلك كثيرة.

منهــا : * **دليل الفطرة**

* **ودليل التفكر فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء.**

* **ودليل النظر فى سنة الأولين.**

وإليك بيانها،

* **أمَّا الفطرة**: فهى الخلقة التى خلق الله الناس عليها،

وقد خلقهم على الإيمان به سبحانه،

قال تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الروم: ٣٠].

---

(١) لَمْ ترد صفة الموجود في صفات الله المشهورة إلا أن وجوده معلوم من الدين بالضرورة، وهو صفة بإجماع المسلمين فليس الوجود أسمًا بل صفة من فتوي رقم ٦٢٤٥ هيئة كبار العلماء بالسعودية .

أى : لا تبديل لدين الله .

* فالله عز وجل فطر عباده على معرفته والإيمان به[1] .

* وإنما تثبت هذه الفطرة، أو تتحول، عن طريق البيئة والتنشئة، فإن كانت بيئة مؤمنة موحدة، كان الناشئ فيها مؤمنًا موحدًا، وإن كانت غير ذلك، كان على ما عليه قومه وأهله، فإن كانوا يهودا صار يهوديًا، وإن كانوا نصارى، صار نصرانيًا، وإن كانوا مجوسًا صار مجوسيًا، وهكذا، إلا من رحم الله عز وجل، قال رسول الله ﷺ : «**ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[2] . وقال : «**كل مولود يولد على الفطرة حتى يُعرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، قيل : يارسول الله، أرأيت من يموت صغيراً؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين**»[3] .

* **والحنيفية من الفطرة :**

وهى الميل إلى فعل الخير، والاستقامة على الحق ، وقد خلق الله عباده على ذلك، ولم يحولهم عنها سوى الشياطين كما قال تعالى فى الحديث القدسى : ﴿ **وإنى خلقت عبادى كلهم حنفاء، وإنهم أتتهم الشياطين، فأضلتهم عن دينهم، وحَرَّمتْ عليهم ما أحْلَلْتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزِّلْ به سلطانًا** ﴾[4] .

* **ومن الفطرة** . إحساس كل فردٍ بأنه ينقصه شيء أو أشياء، حتى ولو ظن أنه قد اكتملت له عناصر السعادة، فلابد أن تأتيه أوقات يشعر فيها أنه فى حاجة إلى شئ مًّا ، فى حاجة –مثلاً– للراحة النفسية، أو للراحة البدنية، فى حاجة لمن يعاونه، ويرشده، ويأخذ بيده، خاصة عند الشدائد .

---

(١) لكن الفطرة لا تغني عن إرسال الرسل، وإنزال الكتب لتعريف الناس بالله وبما عليهم له سبحانه ، وبما لهم عنده إن آمنوا أو كفروا فإيمان الفطرة يعني الإيمان إجمالاً بأن للكون إلهًا . .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه أحمد والترمذى .

(٤) رواه مسلم .

* ولو تحقق له كل هذا، لوجد نفسه فى حاجة إلى شئ آخر، قد لا يكون فى حسبانه، وهكذا...

* ولو أن ملوك الأرض اجتمعوا وعملوا على أن يساعدوه، ويساندوه، فإنه لا يزال يشعر بالنقص والحاجة .

* هذا الذى يحتاجه الخلق، ويتطلعون إليه، ويتعلقون به -بفطرتهم- هو الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

**

* ويظهر هذا الأمر واضحًا حين تنزل بإنسان نازلة، أو تحيط به ضائقة، إنه لا يجد فى هذه الحالة إلا قوة القوى، وعَوْنَ المعين.

﴿ **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣]

إن الذين يفتقدون الفطرة السليمة ، والإيمان الحق، هم الذين يفتقدون كل راحة، وكل بهجة وكل نعيم، ولو كانوا ملوكًا. ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ [طه: ١٢٤] .

**

أما المؤمنون الصالحون، الصابرون، فهم السعداء، وإن ظن الناس أنهم أشقياء، وهم الأغنياء، وإن بدا للناس أنهم فقراء، وهم الأقوياء، وإن ظهر للناس أنهم ضعفاء ﴿ **وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [التغابن: ١١]

**

* **وأما التفكر فى ملكوت السموات والأرض :**

فهو من أظهر الأدلة على وجود الله سبحانه، وقد حث الله ورسوله على إعمال العقل والنظر والتدبر فى الكون وما فيه من عجائب وغرائب،

قال تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ** ﴾ [**الأعراف**: ١٨٥] .

* وقال ﷺ لعائشة رضى الله عنها : لقد أنزلت علىّ الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتدبر فيها : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾(١) [**آل عمران**: ١٩٠، ١٩١] .

* **والإعراض** عن هذا الدليل، يجعل المرء فى مستوى الأنعام بل أضل، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٧٩] * **ويلحق** بهذا الأمر، تقليد الآباء والأجداد والأسياد فيما هم عليه من أمور لا يقرها دين قويم، ولا عقل سليم.

* وقد نعى الله على المقلدين فى الباطل، وقبح أمرهم، وألحقهم بالأحجار التى لا تسمع، ولا تبصر، ولا تعقل.

قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ** ﴾ [**البقرة**: ١٧٠] .

* أما الذين يطرحون التقليد ، ويستمعون القول فيتبعون أحسنه، هؤلاء لهم البشرى

---

(١) الحديث فى ابن كثير عند هذه الآية .

الطيبة، ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨] .

* والآيات فى هذا المعنى كثيرة، وهى شاهدة على صدق هذا الكتاب الكريم، الذى يجعل من النظر، والتأمل، والتفكر، والتحرر من الجمود الفكرى، سبيلاً للوصول إلى معرفة الله والإيمان به، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ولا يلومن إلا نفسه.

**

* **ثم انظر أيها الإنسان** إلى القرآن الكريم مرة أخرى، فستجد فيه مئات الآيات التى تدعو إلى التفكر، والتدبر، والنظر، وإنها لتوقظ العقول، وتحرك القلوب، وتدل على فاطر السموات والأرض.

* **أقرأ فى كتاب الله وفكر ثم أجب :**

* من الذى جعل الأرض فراشًا، والسماء بناءً، وأنزل من السماء ماءً، فأخرج به من الثمرات رزقًا للعباد؟

* من الذى يملك الملك، يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء؟

* من الذى يولج الليل فى النهار، ويولج النهار فى الليل، ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى، ويرزق من يشاء بغير حساب؟

* من الذى جعل النجوم علامات يَهْتَدِى بها الخلق فى ظلمات البر والبحر ؟

* من الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، فلا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار، وكل فى فلك يسبحون ؟

* من الذى جعل فى الأرض قطعًا متجاورات وجنات من أعناب وزرعًا ونخيلاً صنوانًا وغير صنوان يسقى بماء واحد، وفضَّلَ بعضها على بعض فى الأكل ؟

* من الذى خلق السموات والأرض، وأنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع فى الأرض، فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره، وسخر لكم الأنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، وسخر لكم الليل والنهار، وآتاكم من كل ما سألتموه ؟

* من الذى خلق الأنعام فيها دفء ومنافع، ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون، وتحمل أثقالكم، وتحرث أرضكم، وتسقى زرعكم، ومن الذى يُخْرِج من بطونها من بين فرث ودم، لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين ؟

* من الذى أوحى إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتًا، ومن الشجر ومما يعرشون، ومن الذى أخرج من بطونها شرابًا مختلفًا ألوانه فيه شفاء للناس ؟

* من الذى أخرج الناس من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ؟

* من الذى جعل الأرض هامدة، حتى إذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج ؟

* من الذي خلق كل دابة من ماء، فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين، ومنهم من يمشي على أربع، ومنها الطير المسخرات في جو السماء، ومن يمسكهن في هذا الفضاء البعيد عن أيدي الإنسان والحيوان ؟

* من الذي خلق فسوي، وقدر فهدي، وأطعم وسقى، وأمرض وشفي، وأسعد وأشقي، وأمات وأحيا ؟

* من الذي جعل البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه، وهذا ملح أجاج، ومن كل تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حلية تلبسونها ؟

* من الذي خالف الألوان، والأشكال، واللغات، في الإنسان، والدواب، والجبال، والنبات، وكل المخلوقات، فالحيوانات مختلف ألوانها، والنباتات مختلف ألوانها،

والثمرات مختلف ألوانها، والجبال مختلف الوانها، والرمال مختلف ألوانها، والمياه مختلف ألوانها، والألسنة مختلفة لغتها وكلامها ؟

* من الذي صب الماء صبًا، ثم شق الأرض شقًا، فأنبت فيها حبًّا، وعنبًا وقضبًا، وزيتونًا ونخلاً، وحدائق غلبًا، وفاكهة وأبًا، متعاً لكم ولأنعامكم ؟

*** من الذى خلق هذا وغيره ؟**

* لو اجتمع الإنس والجن وكل الخلق في صعيد واحد، فلا يمكن لهم أو لبعضهم أن يقولوا: «نحن الذين خلقنا، وأوجدنا، ورزقنا» .

* **إذًا** فمن الذي خلق ؟ ومن الذي أوجد ؟ ومن الذي رزق ؟

إن الذي قال ذلك، وفعل ذلك هو :

*** « الله رب العالمين »**

* **وهذا** الذي ذكرناه قليل من كثير، مما جاء في كتاب الله عز وجل، فإذا قرأه العاقل، وتدبره الغافل، تعرف علي الله تعالي، وعلي صفات كماله، ونعوت جلاله، ومظاهر عظمته، ونفوذ قدرته، وبالغ حكمته، وتفرده بالخلق والإبداع، ولا يردها أو يرد شيئًا منها، إلا من في عقله خلل، أو، في قلبه مرض، وعليه من الله غضب، وله اللعنة وله سوء الدار .

* *

* قد يقول قائل : لقد فكرت في الله، وبحثتُ عنه فلم أجده، لأني لم أحسه، ولم أره، فأين هو ؟

* ونقول له : إن الله الذي فرض عليك التفكر والنظر، طلب منك أن لا تُحَمِّل عقلك مالا يطيق، حتي لا يضل أو يشقي، فحظر عليك التفكر في ذاته، لأن عقلك لا يستطيع ذلك، إنه عضو كسائر أعضاء الجسد، له وظيفته، التي تقف عند حدٍّ لا يمكن له أن يتخطاه، فهو إذًا لا يمكن أن يصل إلي ذات الله لأنها فوق الإدارك، كما

قال تعالى :

﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] .

* ثم نقول لهذا القائل ولأمثاله : بأيِّ شيءٍ تفكرون ؟

* سيقولون : نفكر بعقولنا .

* نقول لهم : وأين هي عقولكم؟ هل تَحُسُّونَها ؟ هل ترونها ؟ إنكم تفكرون بما لا تحسون وتلمسون.

* فهل يعني هذا أنكم بلا عقول ؟

* يا هؤلاء: إن العجز عن معرفة الأشياء لا ينفي وجودها .

* فالعجز عن معرفة حقيقة العقل، لا ينفي وجوده .

* والعجز عن معرفة ماهية النفس، لا ينفي وجودها .

* والعجز عن معرفة سر الروح، لا ينفي وجودها .

* ثم إن هناك أشياء لم تكن معروفة، ولم تكن محسوسة، بل كانت مستنكرة، ثم ظهرت بتقدم العلوم والمعارف، فهل يعني ذلك أنها كانت عدما؟ ثم إنه لا يزال غائبًا عنا الكثير .

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥] .

* *

* كذلك – ولله المثل الأعلى – الذات الإلهية ، إذا عجز الإنسان عن إدراكها، فهل يعني ذلك أنها عدم ؟ لا والله، إنها أثبت الحقائق وآكدها.

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٢، ٦٣] .

* فعلي الإنسان أن يفكر بعقله فيما خلق الله، وأن ينظر فيه، وأن يتأمله، ويتدبره ،

وسيجد أن الصنعة لابد لها من صانع، وأن الأثر لابد له من مؤثر، وقد يدرك ما أدركه ذلك العربى الذى لم يسمع من رسول ولا نبى، لكنه فكر بعقله، وجال بفكره، فهتف هتاف المؤمنين :

« بعرة تدل على بعير، وقدم يدل على مسير، أرض ذات فجاج، وسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير ؟ » .

* وقد أحسن من قال :

* تبصر حيث كان لك التبصر ... وفى ذات الإله دع التفكر
وإن تُرِدِ المهيمن حين تذكر ... تأمل فى نبات الأرض وانظر
إلى آثار ما صنع المليك
فأنوار المهيمن ساطعات ... وأفكار الخلائق حائرات
ولكن الأدلة واضحات ... أصول من لُجَيْنٍ زاهرات
على أغصانها ذهب سبيك(1)
* شموس فى البرية مشرقات ... نجوم فى الدياجى لامعات
بطول الدهر دومًا سابحات ... إلى ما لست أدرى سائرات
ويعلم ذلك الملك المليك(2)
* رياض مونقات منعشات ... وألوان لعينك مدهشات
وأغصان تسرك ناضرات ... على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك(3)

---

(1) اللجين : الفضة. (2) البرية : الصحراء، والدياجى : الظلمات .
(3) الرياض : الحدائق، والمونقات : الحُلَّة الأنيقة، والقضب الأغصان، والزبرجد : نوع من الجواهر.

* والنظر فى سنة الأولين

من أبرز الأدلة على معرفة الله تعالى،

* فإن القرآن الكريم، والكتب المنزلة من قبله، وإن النبى ﷺ، والرسل الكرام من قبله، نادوا فى الناس منذ آدم عليه السلام، بأن للكون إلهًا واحداً، وربًا شاهدا، وأجمعوا على ذلك، وقدموا المعجزات الباهرة، والأدلة الظاهرة، على صدق دعوتهم، وصحة رسالتهم، وتبعهم ملايين البشر فى أقطار الأرض، وحملوا من بعدهم راية الإيمان، ودعوة التوحيد، وقامت الشواهد على صدق المرسلين وبقاء دعوتهم، وإهلاك أعدائهم، فكانت كلمة الله هى العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

* *

* ولا ينفى هذه الحقيقة، أو يطعن فيها، أن أتباع الرسالات السابقة كاليهود والنصارى، قد حرفوها، وبدلوها، وغيروها، فإن وجودهم حتى الآن رغم التحريف والتزييف، دليل على أن الله أرسل رسلاً، وأنزل كتبا .

* ثم إن ما جاء به محمد ﷺ وما ذكره عن الرسل السابقين، أقوى دليل، وأسطع برهان على صدق ما نقول.

* *

* وإن من يتدبر القرآن الكريم، يجد فيه بعض ما كان من سنة الأولين، خاصة الرسل الكرام، حين كذبهم قومُهم، وكيف أن الله تعالى أهلكهم ودمرهم، وأخذهم أخذ عزيز مقتدرٍ، ولا تزال آثار هذا الهلاك شاهدة عليهم إلى اليوم وإلى أن يشاء الله، وقد دعا الله الناس للنظر فيها حتى يأخذوا العبرة، ويذعنوا للحق.

قال تعالى: ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ﴾ [محمد].

* والآيات في هذا المعنى كثيرة، وقد فصل الله فيها ما كان من أمر المكذبين للرسل تفصيلاً، فلم يترك جل شأنه عذراً لمعتذر، ولا حجة لمحتج، فها هو أمرهم عياناً بياناً، لمن كان عنده نظر، أو ألقى السمع وهو شهيد.

* *

* اقرأ ما شئت في كتاب الله سبحانه، وستجد في معظم سورة عبرة الأمم الماضية والقرون الخالية.

* اقرأ ما شئت، لكن قف طويلا، وتدبر كثيرا، فيما جاء في سورة هود، من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) ﴾ [هود].

إلى قوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) ﴾ [هود].

* وما جاء في سورة الشعراء، من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ (١١) ﴾. إلى قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١) ﴾.

* *

اقرأ وتدبر، فستجد أن ربك حق لا ريب فيه، وأنه أرسل الرسل، وأنزل الكتب للإيمان به وتوحيده، وأنه مع المؤمنين بنصره وتأييده.

وأنه بالمرصاد لكل من ينكر وجوده، ويكفر به، ويعطل شرعه.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ (٨)
وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ (١١)
فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) ﴾
[الفجر].

* *

إذا فلا سبيل لمن أراد الجناة فى الدنيا والآخرة، سوى الإيمان الصحيح بالله سبحانه، وهو ما نبينه فيما يأتى إن شاء الله.

* *

كيف يتحقق الإيمان بالله؟

* **لقد** ثبت بالأدلة القاطعة، أن الله موجود، وأنه حق لاريب فيه، وأنه لذلك يجب الإيمان به، .

* **لكن** الإيمان بوجود «إله» لايقتصر على المسلمين فحسب، فإن أهل الملل الأخرى، يؤمنو ن بوجود إله أيضا، لكنهم مع هذا الإيمان، صاروا من الكافرين لماذا؟

* **لأن** معرفتهم لله، وتصورهم له، تختلف عن المعرفة الصحيحة، والتصور الحق لله تعالى.

* **ثم** إن عبادتهم لله تختلف أيضا عن العبادة الصحيحة التى جاء بها الرسل الكرام.

* *

* أما عن تصورهم غير الصحيح لله تعالى، فإن بعضهم يتصوره فى صورة إنسان[١] وبعضهم يتصوره فى صورة حيوان[٢]! وبعضهم يتصوره نجما ساطعاً أو كوكبا لامعا! وهكذا، فكفروا بذلك كفرا عظيما.

* *

* إن التصور الصحيح للإله الكريم، يكون عن طريق أسمائه وصفاته التى جاءت فى القرآن الكريم، والسنة الصحيحة.

وهو ما يعرف بتوحيد: «**الأسماء والصفات**»

* وهو أحد الأصول الثلاثة التى تقوم عليها العقيدة الصحيحة فى الله تعالى، إذ يقف جنبا إلي جنب مع توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية[٣].

---

(١) كعزيز والمسيح وبوذا (٢) كعبدة الأبقار فى الهند وغيرها

(٣) سيأتى الكلام عليهما إن شاء الله

وقد جاءت هذه الأصول مجملة فى قوله تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾

[الإخلاص: ١ - ٤].

* وقد ضل فى أسماء الله وصفاته كثير من الناس، فمنهم من كفر، ومنهم من فسق، ومنهم من أخطأ، والمعصوم من عمصه الله عز وجل.

* *

* وإنما كانت معرفه الله بأسمائه وصفاته لازمة، ليعرف الإنسان من يَعْبُد، فإن الذى لايعرف من يعبد، فكأنما يعبد عدما، بل هو كذلك.

فإلى: ﴿ أسماء الله وصفاته ﴾

* ولن نحيد فى هذه المسألة العظيمة عن قول السلف الصالح من أهل السنة والجماعة، فهم عرفوا الله كما يجب، فعبدوه على بصيره، وكانوا من الفائزين.

* *

* **الإسم**، وهو مادل على مسمى

* **وأسماء** الله هى الكلمات التى سمى بها نفسه، وأما الصفات فهى ما اشتق من هذه الأسماء[١].

* **وأسماء الله** أحسن الأسماء، وصفاته أكمل الصفات، لأنها متحققة ثابتة له سبحانه وتعالى، لا يشبه أحدا من خلقه فى هذه الأسماء وتلك الصفات.

ولتوضيح ذلك نقول:

«من الناس من يسمى كريما أو حليما أو عزيزا، لكنه قد لايحمل من هذه الصفات إلا القليل، أو قد لايحمل منها شيئاً».

---

(١) سيأتى الفرق بين الإسم والصفة.

* وقد يجتهد من يسمى بهذه الصفة أو تلك، فى أن يكون اسماً على مسمى فى حدود ما يطيق.

* لكن اللله عز وجل، متصف حقيقة بما دلت عليه أسماؤه.

* **فإذا قيل**: إن الله عز وجل كريم، فهو الكرم الذى لا نهاية له ولا حدود، ولا ينقطع أثره فى خلقه أبدا، وهكذا يقال فى سائر الأسماء والصفات.

* *

* **وأسماء الله وصفاته كثيرة جدا**، لايعلم عددها إلا الله، جاء فى الحديث الشريف: «ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن، فقال: «**اللهم إنى عبدك ابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماضٍ فى حكمك، عدل فى قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى، إلا أذهب الله حزنه وهمه، وأبدله فرجاً ومخرجاً، فقيل: يارسول الله، أفلا نتعلمها؟ قال: ينبغى لكل من سمعها أن يتعلمها**[1]».

* **وأما ما ذكره** ﷺ من أن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر[2]».

فالمعنى، أن من أحصى لله من أسمائه الكثيرة تسعة وتسعين اسما دخل الجنة، فالمراد كما قال النووى: الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء[3]».

* وسيأتى معنى الإحصاء إن شاء الله.

* *

* هذا: والأسماء التسعة والستعون، الشائعة بين المسلمين، ليست كلها هى التسعة

---

(١) رواه أحمد..

(٢) رواه مسلم

(٣) شرح صحيح مسلم

والتسعون التى عناها النبى ﷺ، بل منها أسماء داخلة فى التسعة والتسعين، وهناك أسماء غيرها، قد يجرى بعضها - بتوفيق من الله- على ألسنة بعض الناس، وحديث الترمذى الذى شمل هذه الأسماء حديث ضعيف. إلا أن الأسماء التى ذكرها من أسمائه تعالى.

* *

* الفرق بين الأسماء والصفات

* **أسماء الله** هى كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به، مثل: القادر، العليم، الحكيم،و السميع، البصير، فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله، وما قام بها من العلم والحكمة، والسمع والبصر.

* **أما الصفات**: فهى نعوت الكمال القائمة بالذات كالعلم، والحكمة، والسمع، والبصر، فالإسم دل على أمرين، والصفة دلت على أمر واحد.

* **ويقال** الإسم متضمن للصفة، فحين تقول: عليم، فهو متضمن للعلم بالضرورة، والصفة مستلزمة للإسم، فحين تقول حكمة، فلابد لها من الاسم، وهو الحكيم(١)».

* الإيمان بالأسماء والصفات وكيف يتحقق؟

* لايتم إيمان العبد إلا إذا آمن بأسماء الله وصفاته، فمن أنكرها أو أنكر شيئاً منها فقد كفر.

قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)** ﴾ [الأعراف] والدعاء هو العبادة، والإلحاد هو التكذيب.

* *

ويجب الإيمان بها كما جاءت فى الكتاب والسنة على مراد الله تعالى.

* **فإن** الله تعالى أعلم بنفسه، والخلق لايعلمون من أمره شيئاً إلا عن طريق

(١) فتاوى هيئة كبار العلماء بالسعودية.

الوحي الكريم.

* وقد ثبت أن الله تعالى قد سمى نفسه بأسماء حسنى، ووصفها بصفات عليا، فيجب الإيمان بها، وإثباتها لله تعالى، مع تفويض كيفيتها له جل شأنه، إذ لايعلمها إلاهو، ولأنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]

مثـال ذلـك:

(١) وصف الله تعالى نفسه بأن له وجهاً ويداً وعيناً وغير ذلك، فيجب أن نؤمن بأن له هذه الصفات، وهذا هو الإثبات، لكن يجب أن نؤمن بأن هذه الصفات ليست كصفات المخلوقين، ولايعلم حقيقتها إلا الله، لأنه سبحانه ليس كمثله شئ، وهذا هو التفويض.

(٢) وصف الله نفسه، بأنه مستو على عرشه، فيجب أن نؤمن بذلك، ونثبت له الاستواء، لكن يجب أن نؤمن بأنه ليس كاستواء المخلوقين على عروشهم، وجلوسهم علي كراسيهم، بل هو استواء يليق بمقامه ولايعلم حقيقته إلا هو.

* **ويلحق بهذا**، الإيمان بأن الله تعالى فى السماء، وليس كما يقول أهل الحلول، إنه يحل فى خلقه ويتحد بهم، فكفروا بذلك، لأنهم أنكروا آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبى ﷺ، الدالة على أنه تعالى فى السماء، ومنها قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ [الأعراف: ٥٤].

* وقوله جل شأنه: ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧)** ﴾ [الملك]

* **وقوله ﷺ للجارية أين الله؟ قالت فى السماء، قال من أنا؟ قالت: رسول الله، قال لسيدها: أعتقها فإنها مؤمنة[(١)]».**

---

(١) رواه مسلم

* وغير ذلك من الآيات والأحاديث ، الدالة على أن الله تعالى، بائن عن خلقه، مستوٍ على عرشه، استواء يليق بمقامه وجلاله، وهو سبحانه مع عباده بعلمه الشامل الكامل المحيط بالمخلوقات جميعا.

وما من آية فى كتاب الله دلت على أن الله مع عباده، إلا أشارت إلي أنه معهم بعلمه، وارجع إليها فستجد ذلك بينا واضحاً لمن أراد الحق.

* أما الذين فى قلوبهم زيغ، فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وحسبهم ما وصفهم الله به.

* اما أهل الحق فيؤمنون بأنها: معية العلم.

(٣) وصف الله نفسه بأنه يغضب، ويرضى، ويتكلم ويسمع، ويبصر ،و ويحب ، ويكره.

(٤) وأخبر الرسول ﷺ ، «**بأن الله سبحانه يضع قدمه فى جهنم فينزوى بعضها إلى بعض**[١]».

«**وأنه يكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة**[٢]».

«**وأنه ضحك من آخر أهل الجنة دخولاً إليها** [٣]».

« **وأنه عجب من قوم يقادون إلى الجنة فى السلاسل**[٤]».

«**وأنه ينزل إلى السماء الدنيا حتى يبقى الثلث الأخير من الليل** [٥]».

«**وأنه يفرح بتوبة عبده المؤمن التائب** [٦]».

---

(١) رواه البخارى ومسلم
(٢) رواه البخارى ومسلم
(٣) رواه مسلم
(٤) رواه البخارى
(٥) رواه البخارى ومسلم، والمراد بهؤلاء أسرى المسلمين من الكفار، الذين يقيدون بالسلاسل أثناء الأسر، فمن أسلم منهم دخل الجنة، فكأنهم يقادون إليها فى السلاسل.
(٦) رواه البخارى ومسلم.

* إلى غير ذلك مما وصف الله به نفسه،ووصفه به رسولهﷺ، فيجب أن نؤمن بها، . من غير خوض في معانيها، ومن غير تمثيل،ولاتعطيل، ولا تأويل، ولاتحريف ولا تكييف(١) كما ذهبت إلى ذلك جماعات شتى، فمنهم من وقع في الشرك،ومنهم من وقع في الخطأ.

* *

* **ولاشك أن النبي ﷺ قرأ على أصحابه** الآيات والأحاديث التي تضمنت أسماء الله وصفاته، فآمنوا بها كما جاءت، ولم يتعرضوا لها بنفي أو تأويل، ولم يسألوا عن كيفيتها، لأنهم أمنوا بالله إيمان تسليم، فكان إيمانهم بصفاته كذلك إيمان تسليم، لأن الكلام في الصفات، فرع عن الكلام في الذات، يحذو حذوه، ويأخذ حكمه، ولذلك كانوا خيار المؤمنين.

* *

* **وجاء من بعدهم التابعون وتابعوهم**، فآمنوا نفس الإيمان، لأن سلفهم، وهم خير القرون، عاشوا عليه، وماتوا عليه، ولم يتكلموا فيه، لأنهم علموا أنه الحق، وأن غيره الباطل، وأن الخير في اتباعهم، والشر في مخالفتهم.

---

(١) (**التمثيل**) : هو التشبيه، والمراد به في الأسماء والصفات، اعتقاد أن صفات الله مثل صفات المخلوقين وهو مذهب المجسمة وقد كفروا بذلك ، فإن الله ليس كمثله شئ، .
(**والتعطيل**) هو : نفي المعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة، والمراد به هنا : نفي صفات الله عز وجل كنفي المعتزلة وغيرهم صفات اليد والعين والوجه، وغيرها، بحجة أن الصفات هي عين الذات، وهذا باطل.
(**والتأويل**)، هو التفسير، والمراد به هنا، تفسير الأسماء والصفات تفسيرا خاطئاً، كتفسير اليد بالقدرة، والاستواء بالاستيلاء، وهو مذهب الأشاعرة.
(**والتحريف**) هو التبديل، والمراد به، تفسير النصوص بالمعاني الباطلة، وهو في الأسماء والصفات، ينقسم إلى تفسير لفظي، كقولهم في (الرحمن على العرش استوى) استولى بزيادة اللام. وتفسير معنوي،و كتفسير الغضب، بإرادة الانتقام، والرحمة بإرادة الإنعام، وهكذا.
(**والتكييف**) هو اعتقاد أن صفات الله على كيفية كذا، أو أن يسأل عنها بكيف، كأن يقال: كيف استوى؟ كل ذلك باطل ولايجوز في حق الله تعالى..

وكل خير فى اتباع من سلف   وكل شر فى ابتداع من خلف

* وهذا مايجب أن يكون عليه المؤمنون الموحدون..

* *

*** يجب نفى الصفات التى لا تليق بالله تعالى**

* كما أنه يجب علينا أن نثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسول الله ﷺ من أسماء حسنى، وصفات عليا فإنه يجب أن ننفى عن الله سبحانه ما نفاه عن نفسه، من صفات لا تليق به، كالإعياء، والتعب، واللغوب والجهل، والبخل، والظلم، والغفلة، والنسيان، وغير ذلك مما يستحيل على الله تعالى، ومن وصف الله بصفة من هذه الصفات فهو من الكافرين.

* *

***ويجب السكوت عن الصفات التى لم يصف الله بها نفسه.**

كصفة الأنف، والأذن، العنق، والصدر، والرأس، فلا يجوز أن نصف الله بها، ولا بغيرها، مما لم يرد فى القرآن والسنة، ومن فعل هذا، فقد كذب على الله ورسوله..

* *

*** ولايجوز اشتقاق الأسماء من الأفعال.**

* **فقد** وصف الله تعالى نفسه ببعض الأفعال، على سبيل الجزاء والعدل، والمقابلة.

وهى فيما وردت فيه مدح وكمال، لكن لايجوز أن يشتق له منها أسماء، ولا تطلق عليه سبحانه فى غير ما وردت فيه من الآيات، كقوله تعالى ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**﴾ [البقرة: ١٥] وقوله: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**﴾ [النساء: ١٤٢] وقوله ﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٥٤] وقوله: ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾ [التوبة: ٦٧] .

وقوله: ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) ﴾ [التوبة] وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) ﴾ [الطارق] ونحو ذلك.

* **فلايجوز** أن يقال: «الله هازئ أو مستهزئ، أو مخادع أو ماكر أو ناسى أو ساخر أو كياد، أو غير ذلك، مما يتعالى الله عنه علوا كبيرا.

* **وإذا** قيلت، فتقال كما ذكرها الله فى كتابه، أو بمعناها، كأن يقال: الله خادع للمنافقين، الله ينسى الكافرين، وهكذا..

* **ذلك**: أن هذه الأفعال، كما قال ابن القيم رحمه الله. ليست بممدوحة مطلقا، بل تمدح فى موضع، وتذم فى موضع، فلايجوز إطلاق أفعالها على الله تعالى مطلقا[1]».

* *

* **كذلك**: وردت أفعال أخرى، ليس فيها مقابلة،و ومع ذلك لايجوز اشتقاق اسم منها وإطلاقه على الله تعالى، طَالَمَا لَمْ يَرِد هذا الإسم في القرآن والسنة.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦] فلا يقال: «مصل»

وقوله: ﴿ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٦] فلا يقال: «غضبان ولعان».

وقوله: ﴿ سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان: ٢١] فلا يقال «ساق»

وقوله: ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) ﴾ [المدثر] فلايقال «مرهق».

* *

* وليس الله مهندس الكون الأعظم.

كما تعود بعض الناس أن يصفوه بذلك، وبغيره مما لم يصف الله به نفسه، ولم يصفه به

---

(١) معارج القبول.

رسوله ﷺ.

* فهذا خطأ، وتكلف، ولايجوز أن يصدر من مسلم، وحسبه أن يُعَبِّر عن مراده، بما ورد من الأسماء والصفات، وهى في غاية الحسن والكمال، كأن يقول: «أحسن الخالقين» و«بديع السموات والأرض» وهكذا.

* *

* **ولله تعالى أسماء لايجوز إطلاقها على غيره.**

كالإله، والرحمن، والرزاق، والمحى، والمميت، والقدوس ومالك الملك، وملك الملوك، وذى الجلال والإكرام، وأشباهها.

* *

* **ولله تعالى** أسماء تطلق عليه مدحا، وتطلق على غيره ذمًّا كالمتكبر والجبار وهكذا .

* **وينبغى التأدب** مع أسماء الله وصفاته فيما يجوز تسمية المخلوقين به.

* فإذا كان من الجائز أن يسمى شخص ما باسم عزيز أوكريم ، أو رحيم، أو هادى، أو رافع وهكذا، فالأفضل أن يسمى: بعبد العزيز أو عبد الكريم أو عبد الرحيم، أو عبد الهادى أو عبد الرافع وهكذا..

* *

* **كما يكره تسمية المخلوق** بأداة التعريف (الألف واللام)، كأن يقال : العزيز، الكريم، الرحيم ، الهادى، الرافع.

* *

* **ويجب التخلق بالأسماء والصفات**

* **فقد** جاء فى الحديث الشريف : «**إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة، وإن الله وتر يحب الوتر**[1]». والمراد بإحصائها: فَهمُهَا، والإيمان

(١) رواه البخارى ومسلم.

بمقتضاها ، واستحضار معانيها، واستشعار آثارها فى النفس، والعمل بمدلولاتها، **والتخلق بها، بمعنى**: أن يأخذ المسلم حظه من كل اسم وصفة، يجوز له الاقتداء بمعناها، فيتخلق بخلق الرحمة، حيث تجب الرحمة، وبخلق العزة حيث تتعين العزة، وبخلق العدل حيث يتحتم العدل، وبخلق الكرم، حيث يلزم الكرم، وبخلق الصبر، حيث يحسن الصبر، وهكذا..

* *

* **أما الأسماء** التى يختص بها سبحانه، كالجبار والقدوس والمتكبر، والخافض، وغيرها، فعلى العبد الإقرار بها، والخضوع لها، وعدم التخلق بصفة منها.

* *

* **ومن معانيها**: أنه إذا قال: الرزاق، وثق بالرزق ، وعلم أنه من الله وحده، وإذا قال: الحكم، علم أن الحكم له وحده لاشريك له، ولايجوز أن يُحكَّمَ شَرْعٌ غيرُ شرعه، وإذا قال: القدوس ، أيقن أنه منزه عن جميع النقائص.. وهكذا..

* *

* **ومن معانيها: أن الأسماء** التى تحمل معنى الوعيد كالرقيب، والمعيد، والمحصى، والجامع، يقف منها موقف الخشية والرهبة، **والأسماء** التى تحمل معنى الوعد، كالرحيم ، والرؤوف ، والغفور، يقف منها، موقف الأمل والرجاء.

* *

فالحاصل: أن معنى حفظها وإحصائها، هو معرفتها، والقيام بعبوديتها، لا مجرد سردها، فإن حافظ القرآن لاينفعه حفظه إن لم يعمل به »(١).

* *

* **ويحسن الدعاء بها.**

لقوله تعالى :﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [**الأعراف**: ١٨٠]

(١) معارج القبول.

* جاء فی هامش تیسیر الرحمن عند هذه الآیة « «قوله: فادعوه بها» أی ادعو ربکم بأسمائه علي حسب حاجاتکم فإن أردتم الرزق، قولوا: اللهم باسمك الرزاق ارزقنا، وإذا أردتم النصر، قولوا: بأسمك الناصر انصرنا، وهکذا، فإن لکل اسم من أسمائه الحسنی خاصية يدعی بها ويسأل .. والمراد: التوسل إلی الله بأسمائه الحسنی، حسب تنوع الحاجات، هذا هو الظاهر والأرجح فی تفسیر هذه الآیة» .

* *

* ومن الدعاء بها: اللهم أدخلنی برحمتك فی عبادك الصحالين... وهکذا.

* ومنه: «اللهم بأسمائك الحسنی،وصفاتك العليا، اغفر لی، وارحمنی ، أو بغیر ذلك من المطالب والحاجات» .

* ومنه، اللهم ارحمنی برحمتك، وانصرنی بنصرك، وهکذا.

* ومنه، ماجاء فی الحديث السابق. أسألك بکل اسم هو لك سمیت به نفسك، أو أنزلته فی کتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبی .. الحديث..

* *

* لايذكر الله بالإسم المفرد

* إن ما يردده البعض أفراداً وجماعات من الأسماء والصفات المفردة والمجردة من الدعاد ويسمونه ذکرا کقولهم: الله، الله، أو الله حی، الله حی.... أو يارحيم، يا رحيم.. ياكريم، ياكريم.. ونحو ذلك، فليس دعاء ولا ذکرا لأنه لم يرد عن النبی ﷺ ولا عن أصحابه وهم مصدر العلم والشريعة، ولو کان ذکرا أو دعاء لفعلوه، ومالم يفعلوه فهو مردود علی صاحبه، کما جاء في الحديث الشريف.

* وما نقل عن بلال رضی الله عنه، من قوله: أحد ، أحد،.. فليس ذکرا ولا دعاءاً بل هو إقرار للألوهية فی مواجهة المشرکين، ولم يتابعه فيه الصحابة الکرام.

* *

* ليس للأسماء الحسنى خواص معينة

* إن ما ابتدعه بعض الناس ، وما يفعله بعض الجهلة، من جمع أسماء أو صفات معينة لله تعالى، واتخاذها أوراداً، وزعمهم أن لها خواصاً، وأن المواظبة عليها تجلب الرزق، أو تمنع المرض، أو تطرد الشياطين، أو تظهر الخوارق والعجائب، وغير ذلك، فليس له سند من الدين، ولا أصل من الشرع، فهو بدعة وضلالة.

* *

* سؤال الصفة

*بعض الناس يتوجهون بالطلب والدعاء لصفات الله سبحانه ، فيقولون: يا رحمة الله، ويا عفو الله، ويا نصر الله، ويا رضا اللله، وبعضهم يقول: يا رضا الوالدين... إلخ.

* هذا وأمثاله، لم يأت فى الكتاب والسنة مايدل على جوازه، فهو غير مشروع، وينبغى للمؤمن أن يتجنبه، وأن يعدل عنه إلي الدعاء بالأسماء الحسنى والصفات العليا كما سبق بيانه.

اسم الله الأعظم

* بين النبى ﷺ فى رعدّة أحاديث أن لله اسما أعظم ، إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وإليك بعضها:

(١) عن بريدة رضي الله عنه، أن النبى ﷺ سمع رجلاً يدعو وهو يقول: «**اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد» فقال ﷺ والذى نفسى بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى**»(١).

---

(١) رواه أبود داود والترمذى وابن ماجه.

(٢) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبيﷺ دخل المسجد ورجل قد صلى وهو يدعو ويقول فى دعائه: **«اللهم لا إله إلا الله، أنت المنان، بديع السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام، فقال ﷺ: أتدرون بم دعا؟ دعا باسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى[١]»**.

(٣) وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها، أن النبى ﷺ قال: **«اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين: وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، وفاتحه آل عمران: آلم الله لا إله إلاهو الحى القيوم»[٢]**.

(٤) وعن سعد بن مالك رضي الله عنه قال: **«سمعت رسول الله ﷺ يقول: هل أدلكم على اسم الله الأعظم، الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى؟ الدعوة التى دعا بها يونس حيث نادى فى الظلمات الثلاث: لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، فقال رجل: يارسول الله، هل كانت ليونس خاصة؟ أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله ﷺ: ألا تسمع قول الله عز وجل: ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين»[٣]**.

* *

* فاسم الله الأعظم على الراجح دعاء مؤلف من عدة أسماء من أسماء الله سبحانه إذا دعا به الإنسان مع توفر شروط الدعاء المطلوبة شرعاً [٤] استجاب الله له.

* *

* ولعل الحكمة من إخفائه – والله أعلم– أن يجتهد المسلمون في الدعاء بكل أسماء الله، ولا يهملوا منها شيئاً حتى ينالوا الخير من جميع أطرافه، كإخفاء ليلة القدر فى

---

(١) رواه أبو داود والترمذى والنسائى.   (٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

(٣) رواه الحاكم.

(٤) وأهمها صحة العقيدة، ودعاء الله وحده مع الإخلاص، وإقامة أركان الإسلام، وتعاطى الحلال فى المآكل والمشرب والملبس، والأخذ بالأسباب المشروعة.

العشر الأواخر من رمضان، وساعة الإجابة فى يوم الجمعة، للإكثار من عبادة الله والاجتهاد فيها.

* *

* **من هذا يتبين**، أن اسم الله الأعظم ليس سرا من الأسرار، ولا لغزا من الألغاز، يعلمه بعض الناس، فيخرقون به العادات، ويحققون الكرامات! بل إن علمه عند الله، ولا ينبغى أن نزيد شيئاً فى كتاب الله تعالى وفى سنة رسوله ﷺ فمن فعل ذلك كان من الخاطئين.

والحمد لله على نعمة التوحيد

صفات الله والأشاعرة

* ينتشر مذهب الأشاعرة الذى يؤول صفات الله عز وجل فى معظم بلاد المسلمين، وتوجد مؤسسات إسلامية كبرى، ترى أن هذا المذهب من مذهب أهل السنة، وتقوم بتدريسه على هذا الأساس!

* ويوجد فى العالم الإسلامى علماء كبار يميلون لهذا المذهب، بل يعتقدون أنه الحق!

* وقد أسفر هذا عن أعداد هائلة من المسلمين ترى صواب هذا المذهب، أو تراه جائزا! وكنا من هؤلاء، لولا أن مَنَّ الله علينا بمعرفة الحق.

* *

* ولا شك أن هذا الاعتقاد خاطئ، ويجب أن يصحح، وأن يعود الجميع إلي عقيدة السلف الصالح فى أسماء الله وصفاته.

* *

* وإلى أن يَمُنَّ الله على الجميع بالرجوع إلى الحق، وهو ما نرجوه، ونطالب به، فأهيب بالذين يسرفون فى تجريح الأشاعرة، ورميهم بالفسق أو بالكفر أن يتقوا الله، وأن يكفوا عن هذا الأسلوب الذى ليس من الإسلام فى شئ ، وأن يتأدبوا بأدب الإسلام فى النصيحة، وبيان الحق بدليله، فمن ترك الخطأ والتزم الصواب، فالحمد لله، ومن ظل على ما هو عليه فأمره إلى الله(١).

---

(١) وأقدم لهم نموذجا لما عليه أهل الفضل من العلماء العاملين، فى التحدث عن مخالفيهم من أهل العلم، جاء فى كتاب فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة السعودية، فتوى رقم ٥٠٨٢ المجلد الثالث ردًّا على سؤال عن الذين أوَّلوا بعض صفات الله وهل هم من أهل السنة أم لا.
قالت اللجنة: «فيهم من السنة بقدر ما بقى لديهم مما وافقوا فيه الصحابة رضى الله عنهم، وأئمة الهدى من مسائل أصول الإسلام، وفيهم من البدع والخطأ بقدر ما خالفوهم فيه من ذلك قليلا كان أو كثيرا.
* وأقربهم إلى أهل السنة والجماعة، أبو الحسن الأشعرى، ومن تبعه عقيدة واستدلالاً. =

صفات الله والشيخ حسن البنا رحمه الله

* قال البعض : «إن الشيخ حسن البنا رحمه الله يؤول الصفات»

فرجعنا إلى ماكتبه هذا الإمام المجاهد، فوجدنا أن ما نسبوه إليه ليس صحيحا.

فقد قال رحمه الله فى كتابه «مجموعة الرسائل»، بعد أن فصل الأقوال فى هذه المسألة: «ونحن نعتقد أن رأى السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعانى إلى الله تبارك وتعالى أولى، حسما لمادة التأويل والتعطيل[(١)] فإن كنت ممن أسعده الله بطمأنينة الإيمان، وأثلج صدره ببرد اليقين، فلا تعدل به بديلاً».

* وقد وقف الذين يتصيدون العثرات لأهل الفضل عند كلمة السكوت وقالوا: إنها مخالفة لمذهب السلف، لأنها بدل عن التعبير الصحيح، وهو : الإثبات[(٢)]، واتهموا بهذه الكلمة الرجل فى عقيدته [(٣)] وكان الأولى بهم أن يتأدبوا بأدب الإسلام، فيحسنوا الظن فى رجل جاهد فى الله حتى أتاه اليقين، وأفضى إلى ربه وأهو أعلم به، ونسأله أن ينزله منازل الشهداء والصالحين.

* *

* والحاصل أن الإمام البنا رحمه الله كان بحمد الله، على مذهب السلف فى صفات الله تعالى، فمن قال غير ذلك، فقد جانب الصواب، ومن انتسب إلى مدرسة هذا

= * وجاء فيه عن علماء الأشاعرة، كالبيهقى وابن الجوزى وابن حجر وغيرهم ممن تأولوا بعض صفات الله أو فوَّضوا فى أصل معناها «أنهم فى نظرنا من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله بهم فرحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم عنا خيرا الجزاء، وأنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه الصحابة رضى الله عنهم وأئمة السلف فى القرون الثلاثة التى شهد لها النبى ﷺ بالخير، وأنهم أخطأوا فيما تأولوه من نصوص الصفات وخالفوا فيه سلف الأمة وأئمتهم».

رئيس اللجنة — عبد العزيز بن باز

نائب الرئيس — عبد الرزاق

(١) راجع معانى هذه الكلمات فى ص ٥٥.

(٢) راجع معنى الإثبات فى ص ٥٣.

(٣) كما فى كتاب القطبية للعدنانى.

الإمام، ولايعتقد عقيدة السلف فى هذه المسألة ، فنسبه إليها غير صحيح(١).

* صفات الله والجمعية الشرعية

من باب الإنصاف أيضا نشير، إلى أن الجمعية الشرعية بمصر كانت تتساهل فى مسألة الصفات، إلى حد ترجيح التأويل، لكنها بفضل الله، ثم بجهود علمائها، الذين عرفوا الحق والتزموه، رجعت إلى منهج السلف فى صفات الله عز وجل، وقد أصدرت فى ذلك

---

(١) وقد شهد كبار علماء السلف، للشيخ البنا شهادة طيبة، فقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز إمام السلفيين فى هذا الزمان ولا ينكر شهادته إلا مغرض، حين سئل عن حسن البنا وجماعة الإخوان فقال: «حسن البنا» له أعمال طيبة وجهود مشكورة، وهو كغيره من العلماء يخطئ ويصيب، والواجب على الإخوان المسلمين وغيرهم أن يأخذوا الحق من حسن البنا وغيره، وأن يدعوا الباطل من حسن البنا وغيره.

أعظم من ذلك الأئمة الأربعة ، وأعظم منهم الصحابة، يؤخذ منهم الحق، ويترك الباطل، وليس لأحد حق أن يؤخذ باطله، إنما يؤخذ الحق فقط، ولا معصوم سوى الرسول ﷺ فيما يبلغ عن ربه، وكل إنسان قد يخطئ سواء كان صحابياً أو تابعيا، أو إماما متبعاً ، أو غير ذلك، حسن البنا من باب أولى وجماعة الإخوان المسلمين من باب أولى، أن يخطئوا ويغلطوا، فيؤخذ منهم الصواب ويترك الخطأ، وهكذا غيرهم: أنصار السنة وجماعة التليغ، والسلفيون، كل جماعة وكل جمعية تنتسب للإسلام غير معصومة، فما أصابت فيه فلها أجران، وما أخطأت فيه فلها أجر، إن كان قصدها الخير، واجتهدت فى طلب الحق، ولايجوز التعصب لأحد أبدا ولو للصحابة بل يجب إتباع الحق» وأضاف سماحته: فما تنازع فيه الناس يعرض على الكتاب والسنة، ويدرسه أهل العلم وينظرون فيه، ويبينون الصواب ويدعون الخطأ مع الكلام الطيب، والترضى على أهل العلم، وعذرهم بما بينه الله من الأعذار.

* كما أجابت اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة السعودية، على سؤال عن الجماعة التى تطبق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بقولها:

«أقرب الجماعات الإسلامية إلى الحق وأحرصها على تطبيقه، أهل السنة، وهم أهل الحديث، وجماعة أنصار السنة، ثم الإخوان المسلمون.

وبالجملة فكل فرقة من هؤلاء فيها خطأ وصواب، فعليك بالتعاون معها فيما عندها من الصواب، واجتناب ما وقعت فيه من أخطاء مع التناصح، والتعاون على البر والتقوى.

فتوى رقم ٦٢٥٠ مجلد (٢).

رئيس اللجنة	نائب الرئيس
عبد العزيز بن باز	عبد الرزاق

عدة كتب منها: هذه دعوتنا للشيخ عبد اللطيف مشتهرى رئيس الجمعية رحمه الله، ومنها: سعادة الأمة فى العمل بالقرآن والسنة، وقد كتب فيه الشيخ محمود عبد الوهاب فايد رئيس الجمعية الحالى بحثا عن أسماء الله وصفاته، أكد فيه بما لايدع مجالاً للشك أن: مذهب السلف الصالح فى أسماء الله وصفاته هو الحق الذى لا ريب فيه، وهو الذى عليه الجمعية الشرعية.

* وللجمعية جهود واسعة ومشكورة فى الدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة.

* *

* صفات الله وأنصار السنة

* من باب التذكير فقط نقول: إن جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر والعالم الإسلامى، أسست بفضل الله لمناهضة البدعة فى العقيدة والعمل، ومن ثم فقد، عملت – ولا تزال تعمل– علي الدعوة إلى منهج السلف، فى توحيد الله عزَّ وجل، فى أسمائه وصفاته وربوبيته وإلهيته، كما جاءت فى الكتاب والسنة، وبفهم السلف الصالح رضي الله عنهم.. بالإضافة إلى العمل على إحياء سنة النبيﷺ فى سائر العبادات والمعاملات،

والدعوة لتحكيم شريعة الله فى كل مجال.

* *

من أسماء الله الحسني ومعانيها

* **إتماما للفائدة** نذكر بعض أسماء الله الحسنى، وبعض ما تحمله من معانى، حتى يعيشها القارئ الكريم، حفظا وفهما، فيزداد خيرا إن شاء الله.

* **وقد اجتهد العلماء فى تعيين هذه الأسماء**، واختلفوا فيها اختلافاً يسيرا وإليك ما اشتهر منها(١):

الله لفظ الجلالة، علم على الذات الإلهية المقدسة الواجبة الوجود، المستحقة لجميع المحامد.

الرحمن الذى يرحم جميع المخلوقات بما ينعم عليهم بنعم كثيرة.

الرحيم لعباده، خاصة المؤمنون منهم فى الآخرة، إذ يدخلهم الجنة برحمته.

الملك المتصرف فى ملكه كما يشاء.

القدوس المنزه عما لايليق بجلاله وكماله.

السلام الذى سلم من جميع العيوب والنقائص لكماله فى ذاته وصفاته وأفعاله، وهو أيضا: الأمان لخلقه، فهو الذى يؤمنهم من الخوف.

المؤمن المصدق لرسله بإظهار المعجزات على أيديهم، والمصدق لنفسه بما أقام من الآيات فى الأنفس والآفاق.

المهيمن المسيطر على كونه كله، القائم على خلقه جميعا.

العزيز القوى الغالب، الذى لايغلبه غالب، ولايفوته هارب.

الجبار الذى إذا أراد شيئاً فعله، لايستطيع أن يمنعه مانع، ولا يدفعه دافع.

المتكبر المتعالى عن صفات المخلوقين، المتفرد بصفات العظمة.

الخالق الموجد للمخلوقات من العدم على غير مثال سابق.

---

(١) وهى التى ذكرها الترمذى فى حديث ضعيف.

البـــــارئ الذى خلق جميع مخلوقاته في غاية الإتقان والإحكام.

المصـــــور الذى أعطى مخلوقاته الصور المناسبة لها، والتى تميزها عن بعضها، فلا تجد مخلوقاً مثل مخلوق من جنسه.

الغفـــــار كثير المغفرة لخلقه، الساتر لذنوب عباده، المتجاوز عن خطاياهم.

القـــــهار الغالب لكل شئ، الباسط سلطانه على كل مخلوق، ولايفلت من قبضته جبار.

الوهـــــاب كثير النعم، دائم العطايا، يوهب من يشاء، ما يشاء بغير ثمن ولا عوض.

الـــــرزاق خالق الأرزاق ، وخالق أسبابها، وميسرها لجميع الخلائق.

الفـــــتاح الذى يفتح خزائن رحمته لعباده، والذى يفتح على رسله وأوليائه المجاهدين بالنصر المبين، والذى يفتح على من شاء من عباده بالعلوم والمعارف.

الـعـلـيـم المحيط بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، فلا يغيب عن علمه شئ فى الأرض ولا فى السماء.

القابـــــض قابض الأرواح، أو مضيق الرزق على من يشاء من عباده.

الباســـــط الذى يوسع الرزق على من يشاء من خلقه.

الخافـــــض الذى يخفض من يستحق الخفض بالخزى والذل والعذاب، بعد أن كان رفيعا عزيزا.

الرافـــــع الذى يرفع من يستحق الرفعة بعد أن كان خفيضا، والذى رفع السماء بغير عمد.

المـــــعـز الذى يعز من استمسك بدينه وبنصره.

المـــــذل الذى يذل أعداءه وأعداء أوليائه.

السـمـيـع المحيط بالأصوات مهما تكن مصادرها، ومهما تكن أوصافها، وبالألفاظ ومدلولاتها ، وبالكلمات ومعانيها، وبالحروف ومخارجها،

وبما تهتف به الضمائر، وبما تتناجى به السرائر،وبما يجول في الأفكار والخواطر.

البصير الذى تنكشف له الأشياء كلها ظاهرها وباطنها، فى كمال نعوتها، وتمام أوصافها، وجميع هيئاتها وألوانها، وأشكالها وأبعادها.

الحكم بمعنى الحاكم، الذى يقضى بين الناس ويعطى كل ذى حق حقه، سواء فى الدنيا بما أنزل فيهم من كتب تقضى بينهم بالحق، أو فى الآخرة، حين يضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئاً.

العدل الذى يحكم بين عباده بأدق مايكون العدل، وأكمل ما يكون الإنصاف، فلا يظلم مثقال ذرة، وإن تلك حسنة يضاعفها.

اللطيف العالم بخفايا الأمور، أو كثير اللطف بالغ الرأفة بعباده.

الخبير العليم ببواطن الأمور وحقائقها ماكان منها ومايكون وما هو كائن، المحيط بأخبارها وأسرارها.

الحليم الذى لايستفزه غضب، ولايبادر بالعقوبة ، ولايتعجل لِعُجْلَةِ أحد.

العظيم الذى بلغ أقصى مراتب العظمية، ومع ذلك فلا تدركه العقول، ولا تحيط بذاته، ولا تعلم حقائق صفاته، ولا تقف على أسرار أفعاله.

الغفور كثير الستر لذنوب عباده المؤمنين، عظيم التجاوز عنها.

الشكور الذى يعطى الجزيل على العمل القليل.

العلى الرفيع القدر الذى يعلو أن يحيط به وصف الواصفين، وعلم العالمين.

الكبير العظيم الذى له الكبرياء فى السموات والأرض، المتعالى عن صفات الخلق،الذى له السلطان المطلق على كل موجود، والتصرف التام في كل كائن، والحكم النافذ على كل مخلوق.

الحفيظ الذى يحفظ الأشياء من الخلل والاضطراب، ويحفظ أعمال العباد فلا يضيع منها شئ.

المقيت الذى يقيت عباده بما يخلق لهم من غذاء مادى وروحى، ويأتى بمعنى الحافظ لكل ما فى السموات والأرض، ويأتى بمعنى الشاهد لكل شئ المطلع على الظواهر والبواطن فلا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

الحسيب الذى يكفى عباده والذى يحاسبهم يوم القيامة ، فهو حسيب فى الأرض وفى السماء، بغير إجراء عملية حسابية كما يفعل البشر، وبغير احتياج إلى صحيفة ولا أداة يستعين بها على مايحسب.

الجليل الذى جمع صفات الكمال والجلال، وتنزه عن شوائب النقص، وتعالى عن الشبيه والنظير.

الكريم المعطى من غير سؤال ولا عوض عما أعطى.

الرقيب الحافظ الذى لايغيب عنه شئ. ولا يضيع منه شئ ولا تشغله رقابة شئ عن شئ، ولا حفظ شيء عن شيء.

المجيب الذى يستجيب للداعى إذا دعاه،و لايشغله داع عن آخر، فهو يسمعهم فى لحظة واحدة، ويجيبهم إذا شاء، وكيفما يشاء.

الواسع الذى وسع كل شئ رحمة وعلما، فوسع الخلائق بما قام به وجودها وحياتها، وبما يكون به ملاك أمرها، ووسعت هدايته كل طلاب الهداية، ووسعت شريعته مصالح العباد فى معاشهم ومعادهم.

الحكيم الذى يحكم الناس فيمنعهم من الفساد بما أنزل من شرع، والحاكم الذى يقضى بين الناس ويعطى كل ذى حق حقه، والمحكم الذى أتقن صنعته.

الودود الذى يحب الخير لخلقه، ويحسن إليهم فى كل الأحوال.

المجيد الشريف، الغنى، الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما الذى لايفتقر إلى غيره وغيره مفتقر إليه.

الباعث باعث الرسل إلى العباد، وباعث الهمم فى القلوب، وباعث من فى القبور.

الشهيد — العالم بكل مخلوق الذى لايغيب عنه شيء فى الأرض ولا فى السماء، المشاهد للكائنات جميعا، الشاهد على عباده يوم القيامة، الشاهد لنفسه بالوحدانية.

الحق — الثابت الذى لايتغير

الوكيل — القائم بأمور عباده، المتولى بنفسه أمر الخلق، وشئون العباد.

القوى — صاحب القوة البالغة التى بسط بها نفوذه وإرادته فى الخلق، وأهلك بها الجبابرة.

المتين — القوى الذى لايستعصى عليه فعل، ولا يَعْياً بمراد، ولا تلحقه فى أفعاله مشقة ولا كلفة، ولا يناله في تدبيره سأم ولا ملل، ولايستمد قوته من غذاء ولا رياضة.

الولى — القائم برعاية العالم وتدبيره وحفظه، والمتولى أمر خلقه، من إحياء ورزق وإماته.

الحميد — الذى يحمد من يستحق الحمد من عباده، ويثنى عليهم وعلى أعمالهم الصالحة، ويأتى بمعنى المحمود، أى المستحق للحمد والثناء.

المحصى — الذى يحصى أفعال العباد، ولايترك منها مثقال ذرة.

المبدئ — المظهر للأشياء من العدم

المعيد — الذى يعيدها بعد موتها.

المحيي — خالق الحياة فى كل حى.

المميت — الذى يسلب الحياة من الأحياء فيموتوا حين يشاء.

الحى — الذى لايموت، ولايفنى ولا يبيد.

القيوم — القائم بنفسه، والمقيم لغيره، والذى قامت به السموات والأرض.

الواجد — الذى يوجد كل ما يريد، ويجد جميع ما أراد، فلا يحتاج إلى شئ لأنه الواجد لكل شئ.

الماجد — الغنى الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما، الذى لا يفتقر إلى

غيره، والكل مفتقر إليه، الذي غمر كل المخلوقات بفضله وإحسانه وكثرة نعمه.

الـــواحـــــد الأحد، الذى لا نظير له، ولا شريك له، ولاند له، ولا كفء له، ولا شبيه له، ولا مثيل له.

الصـــمـــــد المقصود وحده فى الحوائج والمسائل، وفسره ابن عباس رضى الله عنهما بأنه السيد الذى قد كمل فى سؤوده، والشريف الذى قد كمل فى شرفه، والعظيم الذى قد كمل فى عظمته، والحليم الذى قد كمل فى حلمه، والعليم الذى قد كمل فى علمه، والحكيم الذى قد كمل فى حكمته.. إلخ.

القادر المقتدر الفعال لما يريد، الذى لايعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء.

المقـــــــدم الذى يقدم الأشياء بعضها على بعض في الوجود وفي الشرف، وفى الزمان والمكان.

المؤخـــــــر الذى يؤخر الأشياء بعضها على بعض فى الوجود وفي الشرف، وفى الزمان والمكان.

الأول القديم السابق على كل شئ، ولم يسبقه أى شئ.

الآخـــــــر الباقى بعد فناء خلقه.

الظاهـــــر الذى أظهر وجوده بآياته ومخلوقاته وعجائب صنعته، فى الكون والإنسان وكل المخلوقات .

البـــاطـــــن الذى أخفى ذاته عن خلقه فلا يعلمها إلا هو.

الـــوالـــــى بمعنى الولى، وقد سبق، ويقال فيه أيضا: الذى تولى الأشياء وَمَلَكَهَا.

المتـــعـــالى المنزه عن النقائص والمعايب.

البـــــــر كثير البر عظيم الإحسان

التـــــواب الذى يوفق العصاة للتوبة ويقبلها منهم.

المنتـــقـــم	المعاقب لمن يستحق العقوبة.
العفـــــو	الماحى لسيئات من يتوب عليه.
الـــرؤوف	عظيم الرأفة والرحمة إذ يبدل السيئات حسنات، ويزيد من يشاء من فضله.
مـالك الملك	الذى تجرى الأمور فى السموات والأرض وفق مشيئته وإرادته، ولا أحد من ملوك الأرض وملائكة السماء يملك من الأمور شيئا.
ذو الجـــلال والإكــــرام	صاحب الشرف العالى،والمقام الرفيع، ومسبغ النعم، ومفيض الكرم.
المقـــســـط	العادل الذى ينصف الظالمين من المظلومين.
الجــــامع	الذى يجمع بين من يشاء فى الدنيا، ويجمع الناس ليوم لا ريب فيه.
الـغـنـــى	المستغنى بذاته عن كل ما عداه، والمفتقر إليه كل من سواه.
المغـــنـــى	المتفضل بإغناء من شاء من خلقه، فما من إنسان أوتى شيئا من الغنى المادى أو النفسى إلا وهو من الله.
المانــــع	الذى يمنع إن شاء أسباب الهلاك عن المخلوقين.
الضـــار	الذى ينزل عقابه بأعدائه وأعداء أوليائه.
النـــافـــع	الذى عم خيره البلاد والعباد والأرض والسماء، فما من نعمة سيقت لمخلوق إلا كانت من الله سبحانه.
النـــور	الظاهر بنفسه، والمظهر لغيره منور السماوات والأرض، بما خلق ودبر ووهب من أنوار حسية ومعنوية، وبما هدى وأرشد، وأوحى وألهم.
الهـــادى	الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هداه إلى مايحفظ وجوده، وينظم حياته.
البـديـــع	الذى خلق كل شئ على غير مثال سابق.
البـاقـــى	الدائم الوجود، الذى لايفنى ولايبيد.

الــــــوارث المالك لكل شئ، الوارث للأرض ومن عليها، لايعارضه معارض، ولا ينازعه منازع.

الرشـــــيد المرشد لعباده، والذى تجرى تصاريفه لغايتها بمنتهى الحكمة والسداد.

الصـــــبور الذى لايتعجل بالعقوبة ، ولا بشئ قبل أوانه.

*

سبحانه وتعالى عما يشركون.

* *

توحيد الله

* بعد هذا التصور الصحيح لله تعالى، يجب أن يعبد عبادة صحيحة، وذلك بتوحيده ربًّا، وتوحيده إلها.

كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ (٢١) ﴾ [البقرة]. وكما قال: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا (٣٦) ﴾ [النساء].

* وتوحيد الله ربًّا يُعرف **بتوحيد الربوبية**.

* وتوحيده إلهًا يعرف **بتوحيد الألوهية**(١).

* ولا يتم إيمان العبد إلا بهما، وبأسمائه وصفاته كما سبق بيانه.

---

(١) لسنا مع المعترضين على تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية بل وإلى أسماء وصفات، بحجة أن كلمة التوحيد تعني ذلك كله، فهذا التقسيم في نظرنا مقبول:

* **لأنه** اجتهاد يفهم من آيات القرآن الكريم التي جاء الأمر فيها بعبادة الرب تارة والإله تارة أخرى،
* **وكذلك** أحاديث النبي ﷺ.
* **ولأن** الذين قالوا به من المجتهدين الراسخين في العلم.
* **ولأن** كثيرا من علماء الأمة تلقوه بالقبول.
* **ولأنه** لا يصادم أصلاً من الأصول الشرعية.
* **وليس** معنى أن يقال: إن كفار مكة لما كانوا يؤمنون بربوبية الله، فهم موحدون بموجب هذا التقسيم، هذا لم يقله أحد، ولا ينبغي أن يفهم لأن كفرهم معلوم، فمن آمن بربوبية الله وأنكر ألوهية فهو كافر مطلقا، والعكس كذلك.
* **ونظير** هذا فيما يظهر لي والله أعلم، أن الله عز وجل قال: «فويل للمصلين الذين عن صلاتهم ساهون». فهو سبحانه سماهم مصلين، مع أنهم لم يُصَلُّوا كفرا أو جحودا أو غير ذلك، فهل وصفهم بالصلاة ينفي عنهم الكفر لا وألف لا، كذلك الأمر بالنسبة لمن وصفوا بتوحيد الربوبية، ولم يوصفوا بتوحيد الألوهية، إنهم كافرون في كل الأحوال.
* **وأما القول** بتوحيد الأسماء والصفات، فلقوله تعالى: «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها» وأما تقسيم صفات الله سبحانه إلى صفات سلبية، وصفات ثبوتية وغير ذلك، فلم ينقل عن السلف الصالح، فصفات الله كلها سواء كانت صفات ذات كاليد والعين، أو صفات معاني كالقدرة والإرادة، كلها ثابتة لله سبحانه على الحقيقة ولا يجوز تقسيمها، ومن فعل هذا فقد أتى ببدعة، لكنه لا يكفر ولا يفسق بها، بل ينبه إلى خطئه والله أعلم.

* وكما ضل كثير من الناس فى أسماء الله وصفاته، فقد ضل منهم خلق كثير فى توحيده ربا، وتوحيده إلها، وذلك حين عبدوا الله عبادة غير صحيحة، وحين توجهوا ببعض العبادات لغير الله، فضلوا بذلك ضلالا بعيدا.

**

* والعبادة الصحيحة لا تكون إلا عن طريق الوحى الكريم، وقد أسل الله بها الرسل، وأنزل الكتب، وكانت فى التوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب السماوية السابقة قبل أن تحرف، كما فى القرآن الكريم، والسنة الشريفة.

* *

فمن أراد الإيمان الصحيح، والتوحيد الخالص، فعليه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبفهم السلف الصالح، ومن هذا المصدر وحده يتبين بفضل الله، **توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية**.

* *

توحيد الربوبية

* **ما من** مخلوق، إلا وقلبه يتعلق بمن يسدى إليه خيرا، أو يصنع فيه معروفا.

* **هذه** قاعدة فطرية لا يشذ عنها إلا ماكر لئيم.

**

* **والإنسان** حين يتأمل أمر نفسه، يجد أنه خلق من عدم، وأعطى السمع والبصر، وسائر النعم، فالواجب عليه، أن يسأل نفسه، من الذى خلقنى ورزقنى؟ ومن الذى أعطانى ومنحنى؟ ومن الذى آوانى وحفظنى؟ ومن الذى أنعم على بنعم لا تعد ولا تحصى؟ ومن الذى أحيانى ثم يميتنى؟

**

* **لا يمكن لعاقل** أن يقول: إن الذى فعل ذلك إنسان مثلى، يجرى عليه ما يجرى علىَّ من صحة ومرض، وغنى وفقر، وسعادة وشقاوة، وعلم وجهل، وإحياء وإماتة، وغير ذلك.

* **ولا يمكن لعاقل** أن يقول: إن الذى فعل ذلك جماد، أو نبات، أو حيوان، لا عقل له، ولا تصرف، ولا إرادة، ولا تدبير، ولا أى شىء.

**

* **إذا فلابد** أن يكون الذى خلقه، خالق لم يخلقه أحد، والذى رزقه رزاق لم يرزقه أحد، والذى أعطاه معط لم يعطه أحد، والذى أسعده وأشقاه، هو وحده الذى يُسعد ويشقى، والذى أحياه وأماته، حى لا يموت، وهو على كل شىء قدير، وإليه المصير.

* **إنه الله ربُّ العالمين**

* من هنا وجب على كل مخلوق أن يؤمن بالربوبية المطلقة لله تعالى.

**

* والرب يطلق على المالك، والسيد، والمنعم، فيصح أن يطلق على من ملك شيئا، أو ساد قوما، أو أنعم على أحد بنعمة.

* فيقال لصاحب البيت: رب البيت، ويقال لرئيس الدولة رب الدولة، ويقال لصاحب المال رب المال، أما مالك الأملاك، وسيد الأكوان، ورب كل شيء، ومليك كل شيء، والمنعم على أهل السماء والأرض، فهو رب العالمين.

* ولا يستعمل الرب مفردا لغير الله بل بالإضافة كما سبق في رب البيت، ورب المال، وغير ذلك، وأما الرب فلا يقال إلا لله.

**

* **فتوحيد الربوبية إذا: هو إفراد الله تعالى بأفعاله.**

* فما من تصرف في الكون، وما من تدبير في السماء والأرض، إلا من الله. فهو سبحانه، خالق الخلق، ومانح الرزق، ومدبر الأمر، بيده النفع والضر، والخير والشر، والحياة والموت، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، والعز والذل، والصحة والمرض، له مقاليد السموات والأرض.

**

* وارجع إلى ما سبق ذكره عن الرب العظيم الكريم، وإلى غيره وهو كثير كثير، فستعلم علم اليقين، أن المربي لعباده على الحقيقة، هو الله سبحانه: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** (٥٣) ﴾ [النحل].

**

* وإذا حصل لإنسان خير، أو دفع عنه شر، على يد مخلوقٍ من المخلوقين، فليعلم أن هذا المخلوق سبب، ويستحق الشكر والدعاء، لكن ليعلم علم اليقين، أن الله عز وجل، هو

الذى منح، وهو الذى منع، فهو الفعال لما يريد، ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا (٥١) ﴾ [التوبة].

* فمن اعتقد أن أحداً غير الله تعالى يملك من دون الله، أو مع الله شيئًا من الأمر، كان كافراً برب العالمين.

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) ﴾ [آل عمران].

* أثر توحيد الربوبية فى حياة المسلمين

* إن توحيد الربوبية له أعظم الأثر فى حياة الفرد والجماعة والأمة، فهو يملأ القلوب أمنا وثقة وقوة وشجاعة، ويقينا وتوكلا على الله، حيث يعلم الموحدون أن كل شىء من الله وإليه، وأن الأمور بقبضته وتحت مشيئته، فيدفعهم ذلك إلى فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه.

* فيجاهدون فى الله حق جهاده، لأنهم يعلمون أن الآجال بيده.

* ولا يحددون النسل خوف الفقر، لأن أرزاقهم -مع الأخذ بالأسباب- من عنده.

* ولا يخضعون لغير حكم الله، لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

* ويقولون الحق ولو كان مرا، ولا يخشون فى الله لومة لائم.

* ويتصدون للباطل، ويحاربون الظلم.

* ويعملون على رفع راية الإسلام، لا يبالون بما يصيبهم، لأنه فى سبيل الله.

* ولا يقفون على أعتاب ولى، أو غنى، أو شيخ، أو ضريح، أو سلطان، يطلبون منه المال، والجاه، والمدد، لأنهم يؤمنون أن ذلك كله، بتقدير العزيز العليم، وأن له أسبابه

التي شرعها الله تعالى.

* وإذا كان هذا حالهم، فإنهم يسعدون به، وتسعد بهم أمتهم.

* فانظر كيف يصنع توحيد الربوبية الأمة القوية الناهضة.

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١) ﴾ [آل عمران].

* *

تنبيـــه

توحيد الألوهية

* **قبل أن نتكلم عن توحيد الألوهية**، نتكلم عن كلمتى **الكفر والشرك**.

اللتين ستردان كثيرا فى هذا الباب، فنبين أنهما ليستا على إطلاقهما فى كل الأحوال.

فقد يكون المراد بهما، الخروج من الملة، وهو الكفر الأكبر، والشرك الأكبر، إذا كان القلب متعلقا بغير الله عبادة ونية وقولاً وعملاً وتعظيمًا.

* وقد يكون المراد، الكبيرة العظيمة، والمعصية الشديدة، إذا لم يكن القلب متعلقا بغير الله، وهو ما يعبر عنه العلماء، بكفر دون كفر، وشرك دون شرك.

* ويعبرون عنه كذلك، بالكفر الأصغر، والشرك الأصغر، كقوله ﷺ «من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك»(١). فهذا كفر دون كفر، وشرك دون شرك، أو هو كفر أو شرك أصغر، لا يُخْرِج من الإسلام، بل هو من المعاصى العظيمة، وإن معصية سماها الله شركا، أعظم من معصية لم يسمها شركا.

وسنبين المراد فى محله إن شاء الله

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

توحيد الألوهية

من المعلوم أن النفوس الطيبة، تميل بفطرتها، إلى من يُحسن إليها، ويؤتيها من فضله؛ وما دام رب العالمين، هو واهب النعم، ومصدر الجود والكرم، فيجب على الناس أن يعبدوه ويوحدوه، ويحبوه، خاصة وقد خلقهم لهذه الغاية، فقال تعالى:

﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ⁽٥٦⁾ ﴾ [الذاريات].

* وكما علمنا أنه لابد من توحيده ربًّا، فمن الضرورة (**توحيده إلها**).

* وذلك **بإفراده بالعبادة**، وهو هو «توحيد الألوهية».

* وشعاره «**لا إله إلا الله**». أى: «لا معبود بحق إلا الله».

* وهذا التوحيد، أساس الملة، وعمود الدين، أنزل الله من أجله الكتب، وأرسل به الرسل، من لدن آدن عليه السلام إلى محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ⁽٢٥⁾ ﴾ [الأنبياء].

* *

(**والعبادة**) هى **التوحيد**، كما قال ابن عباس وغيره، أو هى كما قال ابن تيمية اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة»[١].

* **ولا تكون** العبادة مقبولة إلا إذا كانت خالصة لله تعالى، وموافقة لما جاء به النبى ﷺ.

* فإن صدرت عن نية فاسدة، فهى باطلة، كما قال تعالى: ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ** ⁽٢⁾ **أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ⁽٣⁾ ﴾ [الزمر]. وكما جاء فى الحديث الشريف: «**إن الله**

---

(١) مجموع الفتاوى.

لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه»[1].

* وإن وقعت مخالفة لما جاء النبى ﷺ، فهى مردودة عى صاحبها، كما قال النبى ﷺ: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**[2]. يعنى مردود عليه.

**

* وقد وسع الله على المسلمين أبواب العبادات رحمة بهم، وتفضلاً عليهم، وجعل منها ما يتعلق بالقلب، ومنها ما يتعلق بالجوارح، وكلها فى ميزان الإسلام سواء.

* **فمن العبادات التى تتعلق بالقلب:**

الحب، والرجاء، والخوف، والخشية، والرهبة، والرغبة، والخشوع، والذلة، والإنابة، والتوكل، وغير ذلك.

* **ومن العبادات التى تتلق بالجوارح:**

* الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والركوع، والسجود، والطواف، والدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، والاستعاذة، والنذر، والذبح، والولاء، والبراء، والحكم، وما يتبع ذلك من وسائل قد تؤدى إلى الشرك الأكبر.

**

* وقد نادى الرسل الكرام فى الناس، ولا يزال نداؤهم مدويا:

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف].

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء].

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل].

* **والطاغوت**: كل ما عبد من دون الله وهو راض بذلك، وكل ما احتكم إليه دون شرع الله: كما قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن**

(١) رواه النسائى.

(٢) رواه مسلم.

قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النساء].

* فمن عبد غير الله، أو احتكم إلى غير شرعه، فهو من الخاسرين.

* *

* إن توحيد الألوهية يتضمن هذه الأصول، وما يتفرع عنها، وهو معنى (لا إله إلا الله) وحقها، فهو قطب الرحى فى العقيدة الإسلامية، ولم يرخص فيه ربُّ العزة أبدا ﴿ **إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴿١٠٦﴾** ﴾ [النحل].

*** وإليك بيان هذه العبادات:**

* أولا: ما يتعلق بالقلب

* **الحب**: هو «ميل النفس إلى ما تراه أو تظنه خيرا»(١).

* وحب العبد لربه، تعظيمه سبحانه، وطلب الزلفى لديه، والتقرب إليه بطاعته.

وحب الله على هذا النحو عبادة مشروعة بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴿٥٤﴾** ﴾ [المائدة].

* فالواجب على المسلمين أن يحبوا ربهم لأنه أنعم عليهم بنعم كثيرة، أهمها نعمة الإسلام، وكفى بها من نعمة.

* فمن أحب شيئًا أكثر من حب الله، أو حبًّا مساوٍ لحب الله فقد أشرك شركا أكبر.

قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴿١٦٥﴾** ﴾ [البقرة].

* وعلامة هذا الحب، طاعة الله ورسوله، واتباعه ﷺ فيما جاء به من ربه، قال تعالى:

﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴿٣١﴾** ﴾ [آل عمران]، وهذا كله يختلف عن الحب الفطرى الذى جبلت عليه المخلوقات، كحب الأولاد، والأصدقاء، والزوجة،

---

(١) هذا التعريف وغيره مما يأتى يراجع فيه معجم ألفاظ القرآن الكريم.

والصالحين، كل ذلك جائز، بل هو مطلوب ومشروع.

**

* **الرجاء**: هو «الأمل فى جلب خير أو دفع ضر».

* وقد جعله الله من العبادات بقوله تعالى للمؤمنين المجاهدين: ﴿**وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ (١٠٤)**﴾ [النساء:١٠٤].

* فيجب على المسلم أن لا يرجو إلا الله، ولا يأمل إلا فيه، فمن توجه إلى غير الله برجاء لا يملكه إلا الله، كان من المشركين.

* وإذا رجا مخلوقا فى شىء يقدر عليه فحقق رجاءه، فليوقن أن الفاعل حقيقة هو الله سبحانه، وأن هذا المخلوق كان سببا، ويُشْكَر على ذلك، مع اعتقاد أنه لا يملك نفعا ولا ضرا، بل ذلك من فضل الله تعالى.

* *

* الخوف والخشية والرهبة

* **الخوف**، **والرهبة**، **والرعب**، هى الفزع لتوقع مكروه.

* **والخشية**: هى الْخوفِ مع تعظيم المخُوف منه، أو الشعور بخطره.

* وكلها من العبادات التى يجب أن لا تكون إلا لله تعالى.

قال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥)**﴾ [آل عمران].

وقال جل شانه: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩)**﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿**فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١)**﴾ [النحل].

* فالخوف والخشية والرهبة وما فى معناها عبادة يجب أن لا تنصرف إلا الله، لأنه القادر

على كل شىء، ولا يقدر غيره على فعل شىء، فمن خاف أو خشى أو رهب من مخلوقٍ، فيما لا يقدر عليه إلا الله كان مشركا بالله.

* ولا حرج من الخوف من مخلوق ما، ما دام الخائف يشعر بأن الله فوقه، وأنه لو أراد منعه لمنعه، مع الأخذ بالأسباب المشروعة للتخلص من الخوف وأسبابه.

* قال تعالى للرسول ﷺ عن أهل الكهف: ﴿**لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا** (١٨)﴾ [الكهف].

* وقال عن موسى عليه السلام ﴿**فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ** (٢١)﴾ [الشعراء]. هذا الخوف وأمثاله لا حرج فيه، ما دام الخائف يعلم أن الأمر كله لله، وأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

* *

* **الرغبة**: هى إرادة الشىء والحرص عليه، كما أنها التوجه المصحوب بالضراعة والسؤال. وهى من العبادات. كما قال تعالى: ﴿**وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب** (٨)﴾ [الشرح] أى توجه إليه ضارعًا سائلا.

* وكما قال: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا** (٩٠)﴾ [الأنبياء] أى رجاء وخوفا.

* فمن رغب فيما عند الناس، فيما لا يقدر عليه إلا الله، متعلقا قلبه بهم، فقد أشرك بالله.

* أما إن رغب فيما يقدرون عليه، مع الإيمان بأن كل شىء بقضاء الله وقدره فلا حرج فى ذلك.

**

* **الخشوع**: هو غاية الخضوع والتذلل، وغاية الضراعة والسكون.

* وهو بهذه الصفة عبادة لا تكون إلا لله وحده، فمن خشع أو تذلل لغير الله معتقدا أنه ينفع أو يضر دون أمر الله فقد كفر.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (٣٥) ﴾ [الأحزاب].

**

* **الذلة**: وهى الهوان والخضوع عن قهر.

* فهى بهذه الصفة عبادة لا تكون إلا لله تعالى، كما تكون للمؤمنين محبة وتواضعا، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٤) ﴾ [المائدة].

* وتكون للوالدين رحمةً وبرًا، كما قال سبحانه: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ (٢٤) ﴾ [الإسراء].

**

* وما سوى ذلك، فيجب على المسلم أن يكون قويا عزيزا، لا يذل نفسه لمخلوق، وإلا كان من الخاسرين، فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

**

* **الإنابة**: هى الرجوع إلى الله، مأخوذ من النوبة، كأن العبد برجوعه إلى الله تعالى قد دخل فى نوبة الخير والحق.

* وتعنى كذلك، الاعتماد على الله فى الأمور كلها، كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (٧٥) ﴾ [هود] يعنى معتمدا على الله فى كل أحواله.

**

* وفيها معنى التوبة، وهى العودة إلى الله بترك المعاصى، وفعل الطاعات، ورد المظالم.

* فهى إذًا عبادة وقربى لا تكون إلا لله وحده، كما قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الزمر].

وكما قال سبحانه: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور].

* فمن توجه بالإنابة والتوبة لغير الله كان من المشركين.

**

* **وللأسف**: فإن بعض العصاة إذا أرادوا أن يتوبوا ذهبوا إلى بعض شيوخ الطرق، وأسلموا أنفسهم لهم، فوجهوهم إلى البدع والخرافات، والقبور والأضرحة، فإذا بهم يخرجون من المعاصى إلى الشرك الأصغر أو الأكبر، ولو أنصفوا لذهبوا إلى العلماء الصالحين، الذين يدلون على صراط الله المستقيم.

**

* **التوكل**: هو تفويض الأمر إلى الغير، والاعتماد عليه فيه، والاكتفاء به.

* فهو عبادة فيما لا يقدر عليه إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن].

* فمن توكل على غير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، كان من المشركين.

قال تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يونس].

**

* هذا، وتفويض إنسان فيما يقدر عليه من أمور دينية يجوز فيها التفويض، أو أمور دنيوية، مع التعلق بالله، والتسليم له، شيء لا حرج فيه، ولا بأس به، بل قد يكون واجبا فى بعض الأحوال تحقيقا لمصالح الفرد والجماعة والأمة.

**

ثانيا : ما يتعلق بالجوارح

* **الصلاة والزكاة والصوم والحج** من أبرز العبادات فى الإسلام بعد توحيد الله، ومن خصائص رب العزة سبحانه وتعالى.

* **والحمد لله**، فإن التوجه بهذه العبادات لغير الله سبحانه ليس موجوداً بين المسلمين فيما نعلم- لكن بعض ما يتعلق بها أو يشبهها، كالركوع، والسجود، والطواف، والدعاء، والنذر، والذبح، ابتلى بعض الجهلة من المنسوبين للإسلام فصاروا إلى الشرك والضلال، وإليك البيان :

**

* **الركوع** هو : طأطأة الرأس وانحناؤها.

فانحناء الرأس فى موطن التكريم والتعظيم، والتحية، ركوع وعبادة، لا تكون إلا لله وحده، كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ** (٧٧) ﴾ [الحج].

* فمن أحنى رأسه وجسده، لغير الله تعظيما وإجلالاً فهو من المشركين.

* ومن أحناها تحية كما يحدث للمدربين فى بعض الألعاب الرياضية، فقد أتى بوسيلة من وسائل الشرك لأنه يتنافى مع كمال التوحيد، ولأنه متابعة ومضاهاة لغير المسلمين، فى عاداتهم القائمة على الشرك.

**

* **السجود** : هو وضع الجبهة على الأرض.

وهو من أظهر العبادات التى خص الله بها نفسه، وألزم به خلقه، قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** (٣٧) ﴾ [فصلت].

* فمن سجد لغير الله طائعا مختارا فقد كفر، وخسر الدنيا والآخرة.

* وبالرغم من أن كل مسلم يعلم أن الركوع والسجود لغير الله شرك أكبر، وكفر أعظم، فإنه بعض الملوك والرؤساء المحسوبين على الإسلام يسمحون لبعض أتباعهم، بل يأمرونهم أحيانا بالركوع لهم»(١).

وفى بعض الأحيان بالسجود، وهذا كفر من المتبوع والتابع إذا لم يكن مُكرها على ذلك، وكلاهما من أشد الناس عذابا يوم القيامة، كما قال تعالى:

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) ﴾ [الأحزاب].

**

* **الطواف**: هو الدوران حول الشىء، وقد جعله الله بالكعبة المشرفة عبادةً للمسلمين.

قال تعالى: **﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ﴾** [الحج].

* ولا يجوز الطواف بأى شىء آخر على وجه العبادة والتعظيم، فمن ذلك فقد خسر.

* **فما بال أقوام** ينتسبون للإسلام **ويطوفون بأضرحة الهلكى، وقبور الموتى** من الأنبياء والأولياء وغيرهم؟ إنهم يفعلون ما حرم الله ورسوله، ويقعون فيما قد يؤدى إلى الشرك الأكبر بالله سبحانه!

**

* **الدعاء**: هو العبادة، وهو النداء والطلب، وهو السؤال لكشف ضر، أو جلب خير، كل ذلك وما فى معناه يأتى بمعنى الدعاء.

---

(١) وشاهدنا ذلك فى وسائل الإعلام.

* فهو من العبادات التى شرعها الله للمسلمين.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) ﴾ [غافر].

والمراد بالعبادة فى الآية (الدعاء)

* وقال سبحانه: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (٦٥) ﴾ [غافر].

**

* فالدعاء فيما لايقدر عليه إلا الله، من خصائصه سبحانه وتعالى، فمن دعا غير الله فى دفع شر، أو جلب خير، لا يقدر عليه إلا هو، كان من المشركين.

* قال تعالى: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) ﴾ [فاطر].

**

* **ومن المؤسف** أن نرى بعد ذلك، فريقا من المنسوبين للإسلام يدعون غير الله فيما لا يقدر عليه إلا هو.

* منهم من يدعون الأنبياء!

* ومنهم من يدعون الأولياء!

* ومنهم من يدعون الملائكة!

* بل منهم من يدعون الجن!

* ومنهم من يدعون أى شيء!

* يطلبون من الأحياء والأموات، والجمادات، ما لا يطلب إلا من الله!

* يطلبون منهم المال والولد والعافية!

* يطلبون كشف الضر وجلب الخير!

* يطلبون المدد والنظرة من النبى والولى، ومن السيد والسيدة، ومن غيرهم، ممن لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا.

* وهذا كله شرك وضلال.

قال تعالى: ﴿ **وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)** ﴾ [يونس].

**

* وإذا وقع هذا من الجهلة والعوام، وهو لا يجوز، ولا يُعذرون بجهلهم، لأن دعوة الإسلام قد بلغتهم، فكيف يقع من بعض المنسوبين للدعوة إلى الله، لاسيما إذا استدلوا على باطلهم بما تشابه من القرآن، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وسنرد افتراءهم فى التنبيه الآتى إن شاء الله.

* *

* وما يقال فى الدعاء يقال فى:

الاستعانة والاستغاثة والاستعاذة

* **فهى من العبادات** التى لا يجوز لمسلم أن يتوجه بها لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا هو.

* **والاستعانة**: طلب المعونة، قال تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)** ﴾ [الفاتحة].

* وقال ﷺ : «إذا استعنت فاستعن بالله»(١).

* **والاستغاثة**: طلب الغوث، قال جل شأنه: ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ** ﴾ [الأنفال].

وقال ﷺ : «**إنما يستغاث بالله**»(٢).

* **والاستعاذة**، طلب العوذ ليكون ملجأ لهم يعوذون به، قال سبحانه: ﴿ **فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [غافر].

* وقد كان أهل الجاهلية يستعيذون بالجن ليحموهم ويحفظوهم فَسَخِرَ الله منهم بقوله: ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ [الجن].

* *

* فمن دعا أو استعانَ أو استغاث أو استعاذ بأحد من الأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو بأحد من الأموات، حتى فيما يقدرون عليه لو كانوا أحياءً، فقد أشرك شركا أكبر، وكان من الخاسرين.

* *

* وإنما قلنا -فيما لا يقدر عليه إلا الله- لأن الاستعانة وما فى معناها، تجوز فيما يقدر عليه الأحياء من الناس، فيجوز نداؤهم وطلبهم، والاستعانة بهم، فيما يستطيعونه، ويقدرون عليه، بل قد يكون واجبًا فى بعض الأحيان، لإنقاذ غريق، أو إطفاء حريق، أو دفع عدو، أو غير ذلك، قال تعالى: ﴿ **فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ** ﴾ [القصص].

* وقد ثبت أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أرسل إلى والى مصر عمرو

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه الطبرانى ومعناه صحيح.

ابن العاص فى عام الرمادة يقوله له: المستغاث، المستغاث، فهو قد طلب منه أن يغيث الناس فى جزيرة العرب بالأقوات والأرزاق، وأجابه عمرو رضى الله عنه إلى طلبه، ونفع الله بهذه الاستغاثة خلقا كثيرا.

* النذر والذبح .

* **النذر**، هو ما أوجبه الإنسان على نفسه، ولا يكون مشروعًا إلى فى الطاعة، لقوله ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصه فلا يعصه»[1]، وهو من العبادات، لقوله تعالى: ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا** (٧) ﴾ [الإنسان].

* **الذبح**: ويسمى النسك، وهو التقرب إلى الله بذبح ما يؤكل لحمه، فهو أيضا من العبادات التى لا تجوز إلا لله.

قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** (١٦٢) **لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** (١٦٣) ﴾ [**الأنعام**: ١٦٢، ١٦٣].

* *

* **والنحر** ويختص بالإبل -بمعنى الذبح، وبمعنى النسك، فهو عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

لقوله سبحانه: ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** (٢) ﴾ [الكوثر]. أى اجعل صلاتك ونحرك لله وحده لا شريك له.

* *

* إذًا فالذين ينذرون ويذبحون لغير الله، يشركون بالله!

* يشركون حين يفعلون ذلك لنبى أو ولى أو ملك أو جن، أو حى أو ميت!

* حتى لو قالوا: إنهم ينذرون ويذبحون لله عن طريقهم!

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

* وحتى لو قالوا: هذا لله، وهذا لهم!

* وحتى لو قالوا: إنَّ الفقراء يَطْعَمُونه فى ساحاتهم!

* كل ذلك باطل وضلال. لقوله ﷺ: «**قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه**»(١). ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»(٢).

* **وما دام الأمر بهذه الخطورة.**

* فإننا ندعو الذين ينذرون ويذبحون للحسين وللسيد وللسيدة ولغيرهم من المشايخ، أو حتى لرسول الله ﷺ، ندعوهم وندعو الذين يُفْتُون بجواز ذلك، أن يتوبوا إلى الله ويستغفروه، وإلا فإن عليهم وزرهم ووزر من صنع صنيعهم، وعمل بفتاواهم إلى يوم القيامة.

* *

* تنبيه مهم على فتوى باطلة

جاء فى مجلة التصوف الإسلامى وغيرها، وجاء على لسان كثير من الصوفيين(٣)، وغيرهم، «إن الذين يدعون غير الله، والذين ينذرون ويذبخون وينحرون للأولياء، والذين يطلبون المدد والولد والتوفيق من الأحياء والأموات، والذين يتوسلون بالأنبياء والصالحين وغيرهم، لا يقصدونهم فى الحقيقة، بل يقصدون الله أولاً، لكنهم يتبركون بهم، ويتخذونهم وسائل بين يدى حاجتهم، فعملهم جائز!»

---

(١) رواه مسلم. (٢) رواه مسلم.

(٣) الصوفية هى تلك الطائفة من الزهاد والنساك الذين ظهروا فى القرن الثالث الهجرى واعتزل بعضهم الناس ولبسوا الصوف مبالغة فى الزهد، وَسُمُّو لذلك بالصوفية، وكان منهم علماء وأخيار ومجاهدون، ثم انحرفت هذه الطائفة بمرور الزمن إلى ما نراه اليوم من ممارستهم للبدع فى العقيدة والعمل وتقديس الأشخاص والآثار، ودعاء غير الله والاستغاثة بهم، وإقامة الموالد والتوسل بكل شيء حتى بالأحجار والأشجار، ودفن الموتى فى المساجد والطواف بقبورهم وذكر الله بالطبول والدفوف والمزامير، منهم من يفعل هذا كله، ومنهم من يفعل بعضه، وكله من الباطل.

* وهيهات أن تجد الآن طريقة صوفية تلزم الكتاب والسنة.

* ونقول لهؤلاء: «إن كفار مكة كانوا يعلمون، أن الفعال لما يريد هو الله سبحانه، لكنهم كانوا يتخذون الأصنام وسائط لتقربهم إلى الله.

قال تعالى: ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)** ﴾ [الزمر].

* قد يقول هؤلاء:

«هذا فى الأصنام، وليس فى الأنبياء والأولياء».

* فتقول لهم:

«إن بعض أصحاب رسول الله ﷺ، وهم أعظم الناس إيمانا بالله، ومعرفة له، وأعلمهم بدينه، كانوا يتعرضون للأذى من منافق، فقالوا: «**قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال لهم: إنه لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله**»(١).

* فلو كان ما قاله هؤلاء الصحابة جائزا لما نهاهم عنه الله ﷺ.

* **ويوم**: قال بعضهم للنبى ﷺ: ما شاء الله وشئت، نهاهم عن ذلك، وقال: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، بل قولوا: ما شاء الله، ثم شاء فلان**»(٢).

* **ثم نقول** لهم ما قاله الله تعالى للنبى الكريم: ﴿ **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨)** ﴾ [الأعراف].

﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ (١٢٨)** ﴾ [آل عمران].

﴿ **قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ (١٥٤)** ﴾ [آل عمران].

* ونقول لهم كذلك: إن الولى إما أن يكون حيا أو ميتا.

فإن كان حيا، فهو لا يملك لنفسه شيئًا، فاسلكوا معه الوسائل المشروعة، كطلب

(١) رواه الطبرانى. (٢) رواه أحمد.

الدعاء منه، واستشارته فيما يحسنه من الأمور وهكذا.

وإن كان ميتا، فقد أفضى إلى ربه، ولا يعلم مصيره إلا الله، وهو فى حاجة إلى دعاء الأحياء له، وترحمهم عليه.

ثم نذكر بهذه الآية الجامعة المانعة

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ [البقرة].

* فليعلم هؤلاء وغيرهم، أن العقيدة لا رخصة فيها أبدا، فإما توحيد لا تشوبه شائبة وإمَّا شرك أكبر أو أصغر، ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ [الكهف].

**

*** علم الغيب**

* من عقيدة التوحيد، الإيمان بأن الله وحده.

﴿ عِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ (٥٩) ﴾ [الأنعام].

وأنه: ﴿ لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ (٦٥) ﴾ [النمل]

فالغيب، لا يعلمه ملَكٌ مقرب، ولا نبى مرسل، ولا جن ولا إنس، لا يعلمه إلا علام الغيوب.

**

* **والغيب** ما غاب علمه عن الإنسان.

ومنه ما يمكن التوصل إليه بالوسائل المختلفة، كالمسروق يعرف بالبحث عنه، والمجهول يعرف بالتعلم، وهكذا.

ومنه ما لا يمكن التوصل إلى معرفته بالوسائل العادية، بل لابد فيه من خبر صادق، كأحوال الآخرة التى يجب أن نؤمن بها، لو رودها فى القرآن والسنة.

* **والإيمان** باختصاص الله بعلم مفاتيح الغيب واجب بدليل الحصر فى قوله تعالى: « لا يعلمها إلا هو » فمن ادعى عدم اختصاصه بذلك فقد كفر.

* ومن حاول معرفة هذه المفاتيح ليشارك الله فيها كفر أيضا.

* أما من يحوم حولها، مؤمنا بأنه لن يصل إلى العلم اليقينى بها فلا يكفر، ومعلوماته التى يصل إليها من وراء هذه المحاولة معلومات ظنية لا يقينية.

**

* والفرق بين علم الله تعالى ومعارف البشر يتركز فى نقطتين أساستين.

أولاهما: أن علم الله عن أى شىء شامل لجميع ما يتصل بهذا الشىء.

والثانية: أن علمه سبحانه يقينى لا ظنى.

* أما علم غيره من البشر فلن يجمع الأمرين معًا.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** (٨٥) ﴾ [الإسراء].

وقال: ﴿ **وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** (٢٨) ﴾ [النجم].

* *

* وقد حاول الإنسان أن يبحث عن المجهول والمستقبل منذ خلقه الله، وبذل فى ذلك جهودا كبيرة، واتخذ وسائل متعددة، وكان من هذه الوسائل ما عرف باسم: الكهانة، والتنجيم، والعرافة والطِّيَرة، والطَّرق، وضرب الرمل، وقراءة الفنجان، والكف[1] والسَّمل، وغير ذلك.

وفيما يلى بيانها لأنها تلحق بعلم الغيب.

* **الكهانة**: هى ادعاء علم الغيب بالإخبار عما يضمره الإنسان، أو عن المغيبات فى مستقبل الزمان، بأية وسيلة من الوسائل، وقد تختص بما كان فيه اتصال بالجن.

* **التنجيم**: هو الاستدلال بالنجوم فى مواقعها وتحركاتها على ما سيكون فى المستقبل من

(١) راجع صحيح مسلم بشرح النووى وبيان للناس.

صحة أو مرض أو حياة أو موت، وغير ذلك.

وهو يختلف عن علم النجوم أو الفلك.

* فالتنجيم: تخمين واستنباط لا يقوم على أسس علمية صحيحة بل يقوم على الدجل، وغالبا ما يتدخل فيه الجن للإضلال.

* أما علم النجوم أو الفلك، فهو علامات جعلها الله ليهتدى بها الناس فى ظلمات البر والبحر، ولمعرفة هبوب الرياح واتجاهها، والأمطار ونزولها، والقبلة وحدودها، وأوقات الصلاة، وغير ذلك مما يقوم على أسس علمية إلا نادرا.

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (16)﴾ [النحل].

**

ويلحق بالتنجيم: **الأنواء**: وهى منازل القمر، ومراتب النجوم، واعتقاد نسبة السقيا ومجىء المطر إليها من السماء. جاء فى الحديث الشريف، **أن النبى ﷺ صلى صلاة الصبح بالحديبية على أثر مطر نزل بالليل فلما أتم صلاته قال للناس: أتدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء**(٣) **كذا وكذا، فهو كَافِرٌ بى مؤمن بالكواكب**(٤).

**

العرافة: هى ادعاء معرفة الأمور بمقدمات وأسباب يُستدل بها على مواقعها، كالمسروق أين هو ومن سرقه؟ والضالة، أين مكانها؟ وقيل هو السحر.

**

* **الطيرة**: تأتى بمعنى التشاؤم بالشىء، وتأتى بمعنى الاستدلال من رؤية شىء، أو سماع صوت، أو طيران طائر، على ما سيحصل للإنسان.

---

(١) راجع بيان للناس.

(٢) يراجع معظمها فى شرح النووى وبيان للناس.

(٣) النوء: الكوكب.

(٤) رواه البخارى ومسلم.

* سميت بذلك، لأن العرب فى الجاهلية كانوا إذا أرادوا فعل شيء زجروا الطير من أماكنها، فإن طارت يمينا استبشروا، وإن طارت شمالاً تشاءموا.

**

* **الطرق**: وهو الضرب بالحصا أو الودع، وقيل هو الطيرة، وقيل ضرب الرمل.

* **ضرب الرمل**: هو وضع خطوط وعلامات على الرمل، لمعرفة ما يخبأ للإنسان، ويعرف أيضا بالخط..

* **قراءة الفنجان**: وهى الاستدلال بآثار القهوة على الفنجان، على ما يفكر فيه شاربه.

**

* **قراءة الكف**: وهى النظر فى خطوط الكف والأصابع للاستدلال بها على ما يقع للإنسان من أحداث.

**

* **السَّمَل**: هو ما استعمل من الثياب، تؤخذ منه القطعة ليستدل بها على الأحداث الواقعة بالإنسان.

**

* **ويلحق بهذا كله** ما ينشر فى الصحف والمجلات وغيرها، من

أبراج وحظوظ وأبخات وطوالع. وغير ذلك، مما يتعلق به كثير من الناس، وقد يتشاءمون به أو يتفاءلون، وقد يرتبون حياتهم عليه فيعيشون فى قلق واضطراب!

* وهذا شرك أكبر إذا صَدَّقه الإنسان وتعلق به قلبه، وشرك أصغر، إذا كان دون ذلك.

* ومن يقرأه للتسلية فهو آثم..

**

* وقد يزعم هؤلاء الدجالون أنهم يسخرون الجن للوصول إلى أغراضهم، وهم يكفرون بذلك، لأن الجن لم يسخر إلا لسليمان عليه السلام كما جاء فى القرآن الكريم.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ]

* *

* **إن هذه الأشياء حرمها الإسلام ونهى عنها** لأنها تتنافى مع اختصاص علم الله بالغيب، قال النبى ﷺ: «**ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له**»(١).

وقال: «**العيافة والطيرة والطرق من الجبت**»(٢) والجبت ما عبد من دون الله.

* فالذين يمارسون هذه الأشياء كافرون، والذين يصدقونهم بما يقولون كافرون.

قال ﷺ: «**من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»(٣).

* ومن سألهم ولم يصدقهم فقد ارتكب إثما عظيما، وَيَرُدُّ الله عليه صلاته أربعين يوما، كما جاء فى الحديث الشريف: «**من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما**»(٤).

**

* هذا وقد أبدل الله هذه الأمة بتلك الأمور وسيلة شرعية يمكن أن يطمئن بها الإنسان على ما يقدم عليه من عمل، وهى صلاة الاستخارة مع دعائها المعروف(٥) فالحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه البزار بإسناد جيد.

(٢) رواه أبو داود والنسائى ومحمد ابن حبان.

(٣) رواه أصحاب السنن والحاكم وصححه.

(٤) رواه مسلم.

(٥) راجع بيان الأزهر الشريف.

وسائل الشرك

* قال الله تعالى﴿ **وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [البقرة: ١٦٨]

* وصدق الله عز وجل، فإن الشيطان يحاول جاهدا أن يبعد الناس عن ربهم ، إما بالشرك، وإما بالمعصية، وإما بالوسائل التى تؤدى إليهما، قالﷺ «**إن الشيطان قعد لابن آدم بكل طريق**»(١) .

* *

* وقد بينا بفضل الله أنواعًا من الشرك، أوقع الشيطان فيها كثيرا من المسلمين فخسروا خسرانا كبيرا.

* وقد يعجز الشيطان أن يوقع بعض المسلمين فى الشرك الأكبر، لكنه قد يوقعهم فيما يؤدى إليه بوسائل لا ينتبه إليها كثير من الناس، وهذه الوسائل من الكبائر العظيمة وبعضها من الشرك الأصغر.

* فليحذر المسلمون مكائد الشيطان ومصائده، وليلوذوا منه بربهم، فإن وسائله كثيرة وخطيرة.

* وللأسف فإن كثيرا من المسلمين قد تعلقوا بهذه الوسائل رغم أن الله تعالى حذر منها أشد التحذير ، حماية لجناب التوحيد، وقطعاً على ما يؤدى إلى الشرك من قول أو عمل.

* ونبين بعون الله بعض هذه الوسائل، إبراءً للذمة، ونصحاً للأمة.

* *

* **وقبل البيان نقول ؛ كلمة مهمة :**

إذا صلحت عقيدة إنسان صلح بفضل الله عمله، وكان حريّا أن يقبله الله قبولاً حسنا.

(١) رواه أحمد

* ولم يهتم الإسلام بأمر كاهتمامه بأمر العقيدة التى تدور على الإيمان بالله وتوحيده، وتوجيه العبادات كلها إليه. قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ** ﴾ [الأنعام]

**

* والمعروف أن الإسلام يقوم على عقيدة وعمل.

* والمتأمل فى الأعمال الشرعية، يجد أن الله قد رخص للمسلمين في كثير منها.

* رخص لهم فى قصر الصلاة وجمعها.

* ورخص لهم فى الفطر فى السفر والمرض.

* ورخص لهم فى غير ذلك..

* فإذا نظرنا إلى العقيدة، لا نجد فيها رخصة أبداً، اللهم ﴿ **إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** ﴾ [النحل: ١٠٦]

*فالأمر لايحتمل الشئ ونقيضه، فإما إيمان كامل، وإما شرك أكبر أو أصغر.

* *

* ولاشك أن وسائل الشرك، من الشرك الأصغر وهى كثيرة منها:

* **الغلو فى الأنبياء والأولياء الصالحين وغيرهم.**

* والغلو هو مجاوزة الحد.

والمراد به هنا، مجاوزة الحد فى تعظيم الأنبياء والأولياء وغيرهم، تعظيما لم يأذن به الشرع.

* وهذا الغلو جعل اليهود يقولون عزيرا بن الله، وجعل النصارى يقولون المسيح بن الله، وقال بعضهم بل هو الله، فكفروا جميعا، قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ** ﴾ [المائدة: ٧٧]

* ومن قبل ذلك، «**عبد قوم نوح الأصنام بسبب الغلو، فإن ،ود سواغ ويغوث ويعوق ونسرا كانوا رجالاً صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن اجعلوا لهم تماثيل فى مجالسكم التى تجلسون فيها وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم يعبدوهم، فجاء القرن الثانى فعظموهم وعبدوهم**(١)».

* وحذر النبى ﷺ من الغلو فيه وفى غيره، فقال: «**إياكم والغلو**(٢)، **وقال لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**(٣)».

* ومع ذلك: **فإن** أقواما لم يستجيبوا لرسول الله ﷺ، فغالوا فيه أشد المغالاة، فقالوا: إنه ليس بشرا!، وإنه خلق من نورا، وإن الله خلق الكون لأجله! وإن اسمه مكتوب على عرش الرحمن، وإنه أول خلق الله! وإنه يعلم الغيب!، وإنه يخرج من قبره، ويحضر مجالس الذكر! إلى غير هذا من الأكاذيب والأباطيل التى أوحى الشيطان بها إلى أوليائه، فضلوا بها وأضلوا.

* **وغالى** أقوام فى الأولياء والصالحين غلوا صار ببعضهم إلي الشرك الأكبر، وبالآخرين إلى كبائر المعاصى!

* *

* وقبل أن نتكلم عن بعض هذه الأمور، نتكلم عن الولاية والكرامة، على ضوء ماجاء فى دين الله.

* فإن الذى أدى إلي ألوان الشرك ووسائله، هو الجهل بالولاية وأهلها، والكرامة وأصحابها، والصالحين من الناس، ومن يدّعى منهم ذلك، ثم الغلو فيهم غلوا نهى عنه الله ورسوله.

* الْوَلَاية والكرامة(٤)

* **الولاية** منها ماهو حق، وهى ولاية الرحمن وحزبه، ومنها ماهو باطل، وهى ولاية

---

(١) الحديث متفق على أصله.

(٢) رواه الطبراني

(٣) رواه البخارى

(٤) راجع عقيدة المؤمن إن شئت التوسع

الشيطان وجنده.

* **والولى**، ضد العدو، وإذا كان العدو هو المحارب والكاره والمانع للخير، فإن الولى هو الناصر والمحب والمعين، والقائم بالأمر لصالح الولي.

* **وولاية الله لعبده** أن يهديه لمعرفته، والإيمان به، وطاعته ومحبته، ونصرة دينه، والجهاد فى سبيله، وأن يعينه على ذلك بتوفيقه للطاعة، والتقرب إليه بالعمل الصالح، حتى يحبه، فإذا أحبه قربه وتولى أمره، ونصره، وحفظه، واستجاب دعاءه، فكان بذلك وليه، كما قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

* **وولاية العبد للرب**، أن يستجيب لربه فيما هداه إليه من إيمان وتوحيد وطاعة وتسليم، وأن يوالى من يوالى الله، وأن يعادى من يعادى، وأن ينصر دينه، ويجاهد فى سبيله ويُخْلِصَ فى ذلك، ويصبر عليه، وبهذا يكون وليا لله كما قال تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** (٦٢) ﴾ [يونس]

* **فللولاية أصل وشرط**

* أما الأصل، فهو الإيمان والتقوى

* وأما الشرط، فهو الموافقة التامة للشرع في الحب والبغض ، والموالاة والمعاداة، ومتابعة الرسول ﷺ فى كل ماجاء به، ودعا إليه، إذ لا تتم محبة الله للعبد إلا بشرط المتابعة للرسول ﷺ ، كما قال تعالى ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** [آل عمران: ٣١]

* **فالولى**، من هداه الله وتولاه، لأنه آمن بربه واتقاه، هذا هو الولى، ولو كان مجهولاً فى الناس، مغموطاً فى الدنيا، ولو كان فلاحاً فى حقل، أو عاملاً فى مصنع، أو كنَّاساً فى شارع.

* **والكرامة**، هى مايكرم الله به المتقين من عباده من فضائل المكارم، وهم متفاوتون فى

كرامتهم وقربهم من الله بحسب قوة إيمانهم، وحجم أعمالهم.

* الأولياء لايملكون من الأمر شيئاً

* فلا يملكون لأنفسهم ولالغيرهم نفعا ولا ضرا ، ولايستطيعون أن يوزعوا من بركاتهم على الناس، إنهم لايملكون إلا الدعاء، والقدوة الصالحة، وتوجيه الناس إلى طاعة الله تعالى.

*ثم إن بعضهم قد تقع له بعض الخوارق جزاء لهم على استقامتهم، وهى ما تعرف بالكرامة.

* الكرامة ليست شرطا فى ثبوت الولاية ولا فى نفيها

فقد يكون إنسان ما وليا دون أن تظهر له كرامة حتى يموت، بل إن ظهورها قد ينقص من أجر صاحبها، لأنه بمثابة تعجيل الجزاء فى الدنيا، ولذلك كان بعض الأولياء يكرهون أن تظهر لهم كرامة، وإذا ظهرت استغفروا الله منها.

* الأولياء غير معصومين

لا عصمة إلا لأنبياء الله ورسله، أما الأولياء فليسوا بمعصومين من الذنوب، غير أن الغالب فى أحوالهم، الحفظ مما يدنس شرف الولاية، وإذا أحدثوا ذنبا أحدثوا توبة بتوفيق من الله تعالى.

* وقد تسلب منهم الولاية

فليس بالضرورة أن يظل الولى وليا، فقد تسلب منه الولاية لعدم وفائه بحقها، وربما صار من الخاسرين.

* *

تنبيهات مهمة

* يطلق كثير من الناس على مشايخ الطرق الصوفية وعلى آخرين غيرهم لقب الأولياء

والأقطاب، وربما كان بعضهم من أبعد الناس عن الله، فإن الولى من سبق بيانه.

* *

* جهل المسلمين بحقيقة الولاية وبمعرفة الولى، جعلهم لايعترفون بولاية المؤمنين الذين يعيشون معهم من أهل الإيمان والتقوى، إلا إذا ظهرت على أيديهم خوارق العادات، أو ماتوا وشيدت لهم أضرحة، أو بنيت على قبورهم قباب ومقاصير، أو جعلت لهم مقامات، حتى إنك لو نزلت بلدا وطلبت من أحد الناس أن يدلك على ولى، فإنه لايدلك على مؤمن تقى يعيش بين الناس، وإنما يدلك على ميت له ضريح، أو على قبره قبة أو مقام أو مقصورة، وهو لايعلم من حقيقة أمره شيئاً، وربما كان هذا الميت من أهل النار، وحتى لو كان من أهل الجنة – وهذا في علم الله – فقد انقطع عمله، ولايبقى سوى الدعاء له، والترحم عليه.

* *

* لقد أنكر الله تعالى على الناس اتخاذ أولياء لله من دونه فى قوله تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا** ﴾ [**الرعد**: ١٦]

فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يتخذ له وليا من دون ربه عز وجل، فيلجأ إليه فى الشدائد، ويستغيث به عند المخاوف، ويستعيذ به من المكاره، ويطلب منه المدد، والولد، ويوالى فيه، ويعادى فيه، هذا من الشرك الأكبر والكفر الأعظم!».

* أولياء الشيطان وموالاتهم

* إن بين شياطين الجن والإنس موالاة أثبتها الله فى كتابه، فقال تعالى: ﴿ **و يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ (١٢٨)** ﴾ [**الأنعام**] وقال سبحانه: ﴿ **شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾ [**الأنعام**: ١١٢]

وقال جل شأنه ﴿ **إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [**الأعراف**: ٣٠]

* **ولكن: كيف تتم الموالاة بين الفريقين؟**

* **والجواب**: إنها تتم حسب سنة الله تعالى فى اتحاد المتجانسات، وتلاقى المتشابهات، وانجذاب كل شبه إلي شبهه.

* وأرواح الشياطين خبيثة، ومن أرواح بنى آدم من تخبث حتى تصل فى خبثها أرواح الشياطين أو تزيد، هنا يتم التلاقى وتحدث المودة والموالاة، ويتعاونون جميعا فى إضلال كثير من العباد، وإبعادهم عن ربهم، ويستعملون فى ذلك وسائل شيطانية، ومظاهر سحرية، وقد يظهرون بعض الخوارق. وهذا يسمى بـ:

* **الاستدراج**

وهو الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة، إذْ إن الله يمهلهم مرة بعد أخرى، حتى إذا أخذهم لم يفلتهم.

* وإذا ذكرت كرامات الأولياء، ذكر استدارج الله لبعض العصاة والغواة، والدجالين من شياطين الإنس.

* فقد تظهر على أيديهم بعض الخوارق التى تشبه الكرامة، كأن يطير فى الهواء، أو يمشي على الماء، أو غير ذلك.

* هذا الأمر الخارق، إذا ظهر على يد كافر أو فاسق، أو مدَّعى الصلاح، فهو الاستدراج، حتى إذا تمادوا في غيهم، وقاموا بفتنة الناس وإضلالهم، طبع الله على قلوبهم، وأخذهم من حيث لايعلمون..

* ويبتلى الله بهذا الاستدراج أقواماً.

فمن أنكر على هؤلاء الدجالين، وابتعد عنهم، وحذر منهم، وأزال منكرهم إن استطاع، فقد برئ وسلم.

* ومن صدقهم، أو تساهل معهم، أوروَّجَ لضلالهم، فقد خاب وخسر.

وسبحان الذى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين.

* *

*** ثم نقول بعد ذلك**

«إن الغلو فى الصالحين، وعدم معرفة وجه الحق فى الولاية والكرامة، أدى إلى ارتكاب وسائل شركية، ومآثم ومعاصى شاع أمرها، وبان خطرها، وحسبها بعض الناس دينا، وماهى بدين.

*** منها:**

* **بناء الأضرحة والمشاهد**، وإنارتها وتلوينها.

* **واتخاذ القبور مساجد**، وشد الرحال إليها، والتمسح والتبرك بها، والطواف حولها، والعكوف عندها.

* **وإقمة الموالد للأموات والأحياء.**

* **وغير ذلك، مما يقوم به من لا نصيب لهم** في الخير، ولا حظ لهم في الأجر، وقد يقعون به فى الشرك الأكبر.

*وقد حذر النبى ﷺ من ذلك كله أشد التحذير، فعن على رضى الله عنه ﷺ **أمره أن يطوف بجزيرة العرب، فلا يدع تمثالا إلا طمسه، ولا قبراً مشرفاً سواه**(١)».

* كما نهى عليه الصلاة والسلام عن دفن الموتى فى المساجد، ولو كانوا أنبياء، فعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». ثم قالت: **يحذر ماصنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا**(٢)»

* فمن أبرز قبرا، أو جعله في مسجد فقد ضاهى اليهود والنصارى، وخالف أمر الله ورسوله..

---

(١) رواه البخارى

(٢) رواه البخارى ومسلم.

* وقال ﷺ : « **إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا تتخذوا القبور مساجد إنى أنهاكم عن ذلك** [1] .

* وكان يدعو ربه قائلا : « **اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد من بعدى، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد**[2] » .

* كما نهى ﷺ عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، وذلك بقوله : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى**[3] » .

* ولا ريب أن سبب النهى، يرجع إلى سد الذرائع[4] المؤدية إلى تعظيم الأشخاص والأمكنة والأزمنة التى لم يرد بتعظيمها نص شرعي، وقد يفتن بها بعض الناس فيقعون فى الشرك، وللأسف فقد وقعت هذه الكبائر وأدت ببعض الناس إلى الشرك الأكبر!

* *

* **ومما وقع فيه كثير من الناس، وهو من وسائل الشرك :**

«إقامة موالد للأنبياء والأولياء وغيرهم.

* وقد نهى النبى ﷺ عن ذلك، فقد رأى على بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يداوم على الدخول إلى فرجة كانت عند قبر النبى ﷺ ويدعو فيها، فنهاه على عن ذلك وقال : ألا أحدثكم حديثنا سمعته من عن أبى عند جدى عن رسول الله ﷺ ؟ قال : « **لا تتخذو قبرى عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم**[5] » .

* فهل يعى القبوريون هذه النصوص الصحيحة الصريحة التى صدرت عن رسول الله ﷺ لاسيما وأنهم يزعمون حبه، وماحبه إلا فى اتباعه.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مالك
(٣) رواه البخارى
(٤) الذرائع : الوسائل
(٥) رواه أبو داود والترمذى

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]

* *

أين دفن النبى ﷺ

* يرى زوار مسجد رسول الله ﷺ قبره فى مسجده، فيظن بعضهم أنه قد دفن فيه، وهذا غير صحيح، فإن النبى ﷺ قد دفن في بيته وكان ذلك بتوجيه منه قبل أن يموت، وكان البيت خارج المسجد، ثم أدخل فيه بعد ذلك، بسبب الجهل أو بسبب السياسة أو بهما معاً، وهذا بخلاف ما كان عليه الأمر فى عهد الخلفاء الراشدين، والصحابة والتابعين، وهذا الوضع يجب أن يصحح تنفيذاً لأمر الله ورسوله وحماية لعقيدة التوحيد التى تتميز بها أمة الإسلام.

* *

* أين كانت تصلى عائشة رضى الله عنها.

* لقد دفن النبى ﷺ فى حجرة عائشة، والصلاة فى موضع القبر، أو فى مسجد فيه قبر محرمة أو مكروهة، لقوله ﷺ: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**[1]» ولِمَا سبق من أحاديث النهى عن اتخاذ القبور مساجد.

فكيف وأين كانت تصلي عائشة؟

* **والجواب**: «يتعين علينا أن نحسن الظن بأم المؤمنين رضى الله عنها، وأن لايخطر ببالنا لحظة أنها خالفت رسول الله ﷺ فيما يخص أمر العبادة، خاصة وأنها من رواة الأحاديث التى نهى فيها رسول الله ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد، فمن حسن الظن بها – وهو من الإيمان– أنها لم تكن تصلي في حجرة القبر، ولم ينقل لنا أين كانت تصلى، فلا نتكلف البحث عن هذا الأمر، ولا نتوقف عنده، ولا نجادل فيه، وإلا كان من التكلف والتنطع الذى نهى عنه رسول الله ﷺ، إنها رضي الله عنها، لم تَعدِم

(١) رواه مسلم

مكاناً تصلى فيه، لكنه لم يكن الحجرة التى دفن فيها النبى ﷺ، وحاشا عائشة أن تخالف أمر النبى الكريم.

* *

*** التوسل والتبرك:**

*** وترتب على الغلو، التوسل والتبرك، بالأنبياء والصالحين وغيرهم بعد موتهم.**

* **والتوسل**، هو التقرب، والمراد هنا: التقرب إلى الله بقول أو عمل، ويجب أن يكون مشروعاً، لكن وقع من بعض الناس التوسل، المشروع وغير المشروع، فما الفرق بينهما.

*** التوسل المشروع أنواع، أهمها:**

(١) التوسل إلى الله تعالى بذاته، وأسمائه وصفاته، وهو ثابت بالكتاب والسنة.

(٢) التوسل إلى الله تعالى بطاعته، وبحبه، وحب نبيه، وحب أوليائه، وبالعمل الصالح، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ **وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** ﴾ [المائدة: ٣٥] ومنه ما ثبت من توسل أصحاب الغار الثلاثة بأعمالهم الصالحة، فقبل الله منهم، واستجاب لهم [١].

(٣) التوسل بدعاء الأحياء الصالحين، سواء كانوا حاضرين أم غائبين، وسواء كان من الأعلى للأدني، أو الأدنى للأعلى، وذلك بأن يطلب منه الدعاء الصالح، بأن يقال: اللهم إنا نتوسل إليك بدعاء فلان، ثم يدعو فذلك مأثور عن النبى ﷺ وأصحابه، حين طلبوا منه أن يستسقى الله لهم ففعل، واستجاب الله وأنزل المطر[٢]» ومنه ما كان من أمير المومنين عمر رضى الله عنه، حين توسل بدعاء العباس رضي الله عنه لينزل المطر، وقال فى ذلك «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ[٣] فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك العباس فاسقنا، ودعا العباس رضي الله عنه، واستجاب الله وأنزل المطر[٤].

---

(١) رواه البخاري

(٢) رواه البخاري

(٣) أى بدعائه

(٤) رواه البخارى.

* **أما التوسل غير المشروع فأنواع أيضا :**

(١) أن يسأل الله بجاه أحد، حي أو ميت بأن يقول : « اللهم إني أسألك بجاه فلان أو فلانة، أو بحق فلان أو فلانة، فهذا لايجوز، لأنه لم يرد في الشرع، ولم يعرف عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم فعلوه ، لا في حياة الرسول ﷺ ولا بعد موته، وهو عبادة ، والعبادة لا تكون إلا بدليل صحيح.

(٢) أن يسأل ربه حاجته مقسما بنبيه أو وليه، أو بجاهه أو بحقه، بأن يقول : اللهم إني أسألك كذا بنبيك فلان، أو بحق نبيك فلان، فهذا لايجوز ، فإن القسم على المخلوق على المخلوق ممنوع،و هو على الخالق أشد منعا، ثم لا حق لمخلوق على الخالق بمجرد طاعته له سبحانه، حتى يقسم به على الله أو يتوسل به إليه.

* *

* **التوسل بالرسول ﷺ**

* إن التوسل برسول الله ﷺ، أو بجاهه أو بحقه، أو بغير ذلك بعد موته، أجازه بعض العلماء ، ومنعه الأكثرون.

* والحق أنه لايجوز ، لأنه لم يدل عليه دليل صحيح، وهو من العبادات التي لا تُعتَمَد إلا بنص لايقبل الطعن، ولا يوجد نص يعتمد عليه، اللهم إلا تأويلات لا تقوم بها حجة، أو آثار لا ينهض بها دليل، أو أحاديث ضعيفة أو موضوعة لا يعتمد عليها في مثل هذا المقام.

* ولو كان التوسل بالنبي ﷺ بعد موته جائزا لفعله الصحابة، ونقل إلينا بالطريق الصحيح، وقد ثبت أنهم لم يفعلوه، بل ثبت أنهم عدلوا عن التوسل به بعد موته إلى التوسل بغيره من الأحياء، كما فعل عمر رضي الله عنه مع العباس، وهؤلاء هم خير القرون، وأصحاب النبي، وحملة الشريعة.

* *

حجة واهية وقياس باطل

* يقول بعض الناس: إننا في الدنيا نتوسل في حوائجنا إلى الحكام وغيرهم ببعض الناس، فكيف لا نتوسل إلي الله بأنبيائه وأوليائه؟

* ويجاب على ذلك بما سبق ذكره، من أن التوسل عبادة، والعبادة توقيفية، أي يجب أن نقف فيها على ماورد إلينا عن طريق الشرع.

* وبأن هذا قياس باطل، لأنه قياس للخالق بالمخلوقين، ولايجوز لمن يعرف قدر الله سبحانه أن يقول به،

* ثم ماذا يمنع الناس من سؤال الله مباشرة،وهو أقرب إليهم من حبل الوريد؟ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ [البقرة]

* *

* التبـرك

* يتبرك كثير من الناس بالآثار والأشخاص والأعتاب والقبور ، ويتمسحون بمن يظنونهم صالحين، وهذا من وسائل الشرك، وهو من الباطل فباسم التبرك، وتحت شعاره، عبدت الأحجار والأشجار، وانْتُهكت الحرمات، وضُيِّعت الفرائض. ولقد رأيت نساء يَتَمَسَّحن بشيوخ الطرق ويُقَبِّلن ما استَطَعْن من أجسادهم وهم ساكتون راضون! ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهؤلاء ليسوا شيوخاً ولا بركة عندهم، ولا خير فيهم، ولا تحل زيارتهم، ولا تجوز صحبتهم، ماداموا على هذه الحال»

* ومايفعله هؤلاء الجهال ، ليس بركة ولا تبركا.

* *

* فالبركة في الشرع مايجعله الله تعالى من الخير في الشيء الذي يباركه، ومنه قوله

تعالى فى أرض الشام: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء] وقوله عن عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١] ومن أدعية الرسول ﷺ: «**وبارك لى فيما أعطيت**»(١).

* *

* **والتبرك يكون شرعاً** بما علم أن فيه خيرا وبركة، وأذن الشارع في فعله، والتماسها فيه، كالشرب من ماء زمزم، ومجالسة الصالحين للاقتداء بهم ومصاحبة العلماء للاستفادة منهم، بل بفعل ما أمر الله به على وجه الإطلاق.

*أما التمسح والتبرك بالأشخاص والأثواب والآثار، بما فيها ما زعمه الأفاكون، وافتراه الدجالون، من أنها آثار لرسول الله ﷺ كتلك الشعيرات المزعومة وغيرها(٢) فكل ذلك من الباطل، وقد نهى عنه النبى ﷺ.

فعن أبى واقد الليثى رضي الله عنه قال: «**خرجنا مع رسول الله ﷺ ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال ﷺ: الله أكبر، إنها السنن قلتم والذى نفسى بيده كما قالت بنى إسرائيل اجعل لنا إلها كما لهم آلهة**(٣)» والسدرة نوع من الأشجار، ومعنى ينوطون: يعلقون. والسنن: الطرق التى تفرق الأمة.

* هذا وإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما رأى بعض الناس ينزلون تحت شجرة بيعة الرضوان عند مرورهم عليها للتبرك بها، أمربقطعها منعا لوسيلة من وسائل الشرك، إذ لو تركت، لعبدت كما عبد غيرها من أشجار وآثار باسم التبرك، ومع ذلك

---

(١) رواه احمد والترمذى.

(٢) لم يثبت أن أى أثر لرسول الله سوى الشرع الشريف قد بقى بعد موته ولم ينقل عن الصحابة وقد كانوا حديثى عهد بوفاة رسو الله ﷺ أنهم تبركوا بآثاره الخاصة بعد وفاته ﷺ فعلم أن هذا ليس من الشرع حتى لو كان هذا الأثر لرسول الله ﷺ.

(٣) رواه الترمذى

فكم عبد الناس غير الله باسم التبرك، وإلى الله المشتكى.

* *

* ومن وسائل الشرك : الحلف بغير الله.

* **الحلف بغير الله** من نبى أو ولى، أو أى مخلوق، حرمه الله عز وجل، وجعله الرسول ﷺ من الشرك بالله.

* قال ﷺ : «**ألا وإن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**[١]».

* وقال : «**من حلف بالأمانة فليس منا**»[٢] وقال : «**من حلف بغير الله فقد أشرك وفى رواية فقد كفر**[٣]»

* **والمراد به الشرك** الأصغر، والكفر الأصغر، إلا إذا اقترن بتعظيم المخلوق بمثل تعظيم الله تعالى، فيكون شركا أكبر.

* ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه : «**لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلى من أن أحلف بغير الله صادقا**».

* *

* ومنها : إشراك الغير فى مشيئة الله

* كقولهم : « ما شاء الله وشاء فلان، والأمر لله ولك، وحاجتى فى يدالله ويدك، وهكذا، **هذا القول** وأمثاله لايجوز ، لأن واو العطف تقتضى المشاركة، والله لايشاركه أحد فى أفعاله.

* وقد نهى النبى ﷺ عنه فقد قال لأصحابه : «**لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان، بل قولوا : ماشاء الله ثم شاء فلان**[٤]، وقال رجل لرسول ﷺ : «**ما شاء الله وشئت، فقال : أجعلتنى لله ندا، بل ماشاء الله وحده**[٥].

---

(١) رواه البخارى ومسلم
(٢) رواه أحمد
(٣) رواه أحمد وأبو داود.
(٤) رواه أحمد وأبو داود
(٥) رواه النسائى

* ولاشك فى أن للعبد مشيئة ، إلا أنها تابعة لمشيئة الله، كما قال تعالى : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾ [التكوير]

* والفرق بين ماشاء الله ثم شئت ، وبين ماشاء الله وحده، أن الأولى تدل على الجواز، والثانية تدل على الكمال، فيجوز أن يقال: ماشاء الله ثم شاء فلان، لكن الأكمل أن يقال: ماشاء الله وحده.

* *

*** ومنها : تعليق الأمر على غير إرادة الله.**

* كقولهم: لولا الحارس لسرق البيت! ولولا النيل لهلكت مصر! ولولا السد العالى لجاع الناس! ولولا أمريكا لضاعت الكويت! ولولا قائد الأمة لتخلفت البلاد!

* هذا وأمثاله ينافى عقيدة التوحيد، فإن الأمر كله لله، ولولا فضله لما تحقق مرغوب.

* ذكر ابن كثير عند قوله تعالى :﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ [البقرة] أن ابن عباس رضى الله عنهما قال: من الشرك قولهم: «لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط فى الدار لأتى اللصوص [١]» وابن عباس حبر الأمة، وترجمان القرآن، وصاحب النبى ﷺ فقوله فى غاية الاعتبار، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

* *

*** ومنها : التمائم والأحجبة والحروز**

ولبس الخيوط والحلقات والودعات، ومايعتقد بعض الناس أنه يقرب أو يبعد، أو يجلب الحظوظ، ويسوق المحبة، ويمنع الأكدار، ويصرف الأمراض ، ويقى من العين، كل ذلك من وسائل الشرك، وقد حذر منه النبى ﷺ بقوله: «**من تعلق تميمة فقد أشرك**»[٢].

---

(١) فإن اللص إذا أتى البيت ليسرقه وفيه كلب أو طير نبح الكلب ، أو صاح الطير فهرب اللص.

(٢) رواه أحمد.

* وعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قالت: إن عبد الله رأى في عنقى خيطا، فقال: ماهذا؟ قلت: خيط رقى لى فيه، فأخذه ثم قطعه، ثم قال: أنتم آل عبد الله أغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن الرقى والتمائم والتِّوْلَة شرك**[1] ».

* **والتمائم** ، ما يعلق على الأولاد من العين، وكذلك ما يعلق علي الدواب والسيارات والمنازل وغيرها، يزعمون أنه يتم بها المطلوب من منع الحسد وغيره.

* **والتِّوْلة**، شئ يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

* **والودعة** شئ من البحر يشبه الصدف، يعلقونه اتقاء العين، وهذا جهل بالله، إذ لا مانع ولا دافع غيره سبحانه، وقد سبقت الأدلة على أن ذلك من الشرك.

* *

* ولايزال كثير من الناس يمارسون هذا الشرك بكل صوره وأشكاله، كتعليق الأكف والأحذية على البيوت والسيارات والدواب وغيرها. وكذلك لبس الأساور من الجلود والخيوط، بقصد جلب الخير ودفع الشر، ونيل الحظ، ومنع الحسد! وهذا وأمثاله من الشرك الأصغر، ويكون شركا أكبر إذا تعلقت به القلوب، واعتقد حامله أن له تأثيرا فى الخير والشر.

* وقد كان النبى ﷺ يقطع هذه المعلقات ويحذر منها، ويتبرأ من أصحابها، كما سبق ذكره.

* *

* **ولكن : إذا كان المعلق من القرآن الكريم**

فقد رخص فيه بعض السلف، ومنعه بعضهم وهو الصحيح، لأن النهى ورد عن كل المعلقات، ولم ينقل عن النبى ﷺ أنه رخص فيه، ولم يرخص فيه أحد من الصحابة

---

(١) رواه أبو داود وغيره.

الكرام، ولم يرد أنهم فعلوه، ولو كان جائزا لعلقوه.

* ثم إن في عدم تعليق القرآن سَدًّا لذرائع الشرك ووسائله، وحماية لجناب التوحيد.

وقد جاء فى الفتاوى الإسلامية مايفيد الميل إلى منع المعلقات لعموم النص وسد للذريعة، حتى لايكبر الصغار وهم يعتقدون أن التمائم هى التى تشفى وتحفظ دون إرادة الله.

كما جاء فيها أنه لايحل للمسلم أن يأخذ أجرا على كتابة هذه الآيات(١).

* *

* **الرقية**: هى كلمات يقولها الراقى لدفع شر أو رفعه.

ومنها المشروع والممنوع.

والرقى المشروعة ما كانت بكلام الله أو بأسمائه أو صفاته، وأحاديث النبى ﷺ وأدعيته، وباللسان العربى أو بما يعرف معناه من غيره، مع اعتقاد أنها لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله سبحانه. وقل قال النبى ﷺ: **«لا بأس بالرقى مالم تكن شركا»**(٢) وقد رقى النبى ﷺ كثيرا من المسلمين.

والرقى الممنوعة ما كانت على العكس من ذلك، كأن تكون من الشرك أو من الطلاسم(٣) والألفاظ الغريبة، ومنها التى يستعان فيها بغير الله، أو كانت من غير مسلم أو من فاسق أو دجال.

والكلام في التمائم والرقي يؤدى بالضرورة إلى الكلام في «النُّشْرَة»

* وهى بضم النون المشددة، نوع من العلاج والرقية يعالج به من يُظن أن به سحرا(٤) أو

---

(١) بيان للناس جـ ٢. (٢) رواه مسلم.

(٣) الطلاسم الكلمات غير المفهومة.

(٤) لاشك أن للسحر حقيقة واقعة، وقد ذكره الله عز وجل فى كتابه، وحذر منه الرسول ﷺ فى أحاديثه، ولاشك أن له تأثيرا بالنفع والضر، كما قال تعالى « يفرقون به بين المرء وزوجه » لكن =

مسًّا من الجن، وسميت بذلك، لأنها يُكشف بها الداء بإذن الله.

* قال ابن الجوزى: النشرة حل السحر عن المسحور، ولايكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر » وقد أجازها بعض العلماء، فعن قتادة، قلت لابن المسيب رجل به طبّ[(١)]، أو يُؤْخَذ عن امرأته[(٢)] أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنمايريدون الإصلاح، **فأما ما ينفع فلم يُنْه عنه** [(٣)] »

* وسعيد بن المسيب رضي الله عنه، فقيه كبير، وعالم ورع، وقوله ثقة.

* ومنعها كثير من العلماء، لما ورد من أن النبى ﷺ سئل عن النشرة فقال: هى **من عمل الشيطان**[(٤)] ».

* وسئل عنها ابن مسعود، فقال: « يكره هذا كله ».

* وقد وفق ابن القيم رحمه الله بين القولين، فقال: النشرة حل السحر، وهى نوعان: حل بسحر مثله، وهو الذى من عمل الشيطان، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثانى النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات المباحة فهذا جائز[(٥)]. بشرط أن يعتقد أنها

= يجب أن يعلم أن تأثيره لايكون إلا بإذن الله، كما قال سبحانه « وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله » وأن ممارسته كفر كما قال تعالى: « ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » وما يعلمان أحد حتي يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ».

* ولكن، ماهو وجه الكفر فيه؟ هل هو تعليمه وتعلمه؟ أو هو العمل به؟ أو هو اعتقاد أنه يؤثر بنفسه دون إرادة الله؟ تعددت الآراد فى الإجابة على « هذه الأسئلة، ونختار منها مايأتى: (١) « أن اعتقاد تأثيره بعيدا عن إرادة الله كفر، وذلك محل اتفاق. (٢) أن ممارسته من أجل الإضرار بالناس من أكبر الكبائر، حتى مع اعتقاد أنه يؤثر بإذن الله (٣) أن ممارسته لتحقيق مصلحة مع اعتقاد أنه يؤثر بإذن الله لا حرمه فيها. (٤) أن تعلمه وتعليمه يرجع فيه إلى المقصود منه، فإن كان خيرا كمعرفة الفرق بينه وبين المعجزة، أو استعماله للمصلحة فلا حرمة فيه، وإن كان المقصود من ذلك شرا فهو من أكبر الكبائر، فالأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى. راجع بيان الأزهر الشريف.

(١) أى مسحور

(٢) أى لايمكنه إتيانها بسبب السحر.

(٣) رواه البخارى

(٤) رواه أحمد وأبو داود

(٥) فتح المجيد وقرة عيون الموحدين.

لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى ».

* *

*** ومن وسائل الشرك :**

*** الاعتقاد بأن حدوث أشياء في أوقات معينة له علاقة بموت أو حياة أو سعادة أو شقاوة.**

* فبعض الناس إذا ولد لهم مولود، أو مات إنسان أو تزوج أحد، أو غير ذلك فنزل المطر، أو هاجت الريح، أو صادف ذلك يوم جمعة، أو يوم عيد، أو شهر رمضان، ربطوا ذلك بمستقبل من ولد أو مات أو تزوج، فقالوا: هو سعيد أو شقى، حسب الحالة التى يحبونها أو يكرهونها، وهذا اعتقاد باطل وظن حرام، فقد انكسفت الشمس فى عهد رسول الله ﷺ يوم موت ابنه إبراهيم، فقال الناس: انكسفت الشمس لموت إبراهيم، فقام ﷺ فصلى، ثم قال: « **يا أيها الناس: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل، وإنهما لاينكسفان لموت أحد من الناس ولا لحياته، فإذا رأيتم شيئا من ذلك فافزعوا إلى الصلاة**»(١).

* *

ومنها

*** التطير**

* وقد سبق معناه، وقلنا إنه يأتى بمعنى التشاؤم ، ويأتى بمعنى الاستدلال من حركة شئ أو رؤيته أو صوته، على ماسيحصل للإنسان، وهو بهذا المعنى شرك أكبر كما قلنا.

ولكنه بالمعنى الأول وهو التشاؤم ، وسيلة من وسائل الشرك وقد نهى عنه البنى ﷺ بقوله: «**ليس منا من تطيرا وتطيرله**(٢)».

وقال ﷺ : «**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن**

(١) رواه البخارى

(٢) رواه أحمد وصححه الألبانى.

يقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا ضير إلا ضيرك، ولا إله غيرك»[1].

**

* وإذا كان التشاؤم مذموماً، فإن التفاؤل محمود، والاستبشار خير، وقد كان النبى ﷺ يعجبه الفأل ، وهو نوع من البشارة يُسَرُّ به الإنسان ولايعتمد عليه . إذ لا تأثير له فى قدر الله .

* *

* فليأخذ المسلم بالأسباب المشروعة، وليعلم أن كل شئ عند الله بمقدار ، فلا التشاؤم يدفعه، ولا التفاؤل يجلبه، قال عكرمة : كنا جلوسا عند ابن عباس، فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم : خير خير، فقال ابن عباس، لا خير ولا شر» .

وإنما قال ابن عباس هذا لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر.

* *

* فليحذر المسلمون التشاؤم، فهو باطل وحرام ، ومدعاة إلى كثير من العلل والأمراض، وَلْيُسَلِّموا الأمر لله، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، فهو سبحانه، فعال لما يريد » وبذلك لا يأسى المسلم على ما فاته، ولا يفرح بما آتاه، وفى هذا راحة للقلوب والنفوس، قال تعالى : ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** (٥١) ﴾ [التوبة] .

*ومن الوصايا الغالية لرسول الله ﷺ : «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك»**[2] .

* *

---

(١) رواه البزار بإسناد جيد

(٢) رواه الترمذى.

الــولاء والبــراء

والحكم بما أنزل الله

* **هذا**: ولايمكن أن نغفل، ما تقرر من نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة، من أن: الولاء لله والمؤمنين، والبراء من أعداء الله والمؤمنين ، من توحيد الألوهية .

* وأن: الحكم بما أنزل الله، من توحيد الألوهية .

* **لذلك** نتكلم عنهما فيما يأتى إن شاء الله .

الولاء لله والبراء من أعدائه، من توحيد الألوهية

وإليك بيان ذلك:

* **الولاء**، هو النصرة والمحبة، ويكون لله ورسوله والمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

ولا يجوز الولاء بهذا المعنى للكافرين، وإلا كان منهم كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٥١].

* **والبراء**، وهو القطيعة والخلاص، ويكون من الكافرين ومن والاهم، لقوله سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة: ٤].

* *

الولاء والبراء من لوازم التوحيد، ومن معاني «لا إله إلا الله»

* والأدلة على ذلك كثيرة، منها.

* قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

* ومعنى قوله: فليس من الله في شئ، أي بريئ من الله وبرئ الله منه (١).

---

(١) ابن جرير وغيره.

* ومعنى قوله: إلا أن تتقوا منهم تقاة، أى: إلا أن تكونوا فى سلطانهم، فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا العداوة، ولا تشايعوهم على ماهم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل(١).

* وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾ [المائدة].

* قال المفسرون: «من تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين، فإنه منهم، أى من أهل دينهم وملتهم».

* وإذا كان هذا فى اليهود والنصارى وهم أهل كتاب، فغيرهم من الكافرين من باب أولى.

* *

*** من الولاء ما هو شرك.**

*** ومنه ما هو معصية،**

*** ومنه ما يدور بين الشرك والمعصية.**

* *

*** فمما يوجب الشرك:**

*** اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.**

* لما سبق من الآيات.

* ولقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥٧]

* والمسلمون فى حاجة -اليوم- إلى قراءة هذه الآية مرة أخرى فإن كثيراً من الكافرين

---

(١) المرجع السابق.

وأوليائهم يَسخرون من الإسلام والمسلمين، ويهزأون بالكتاب والسنة، ويصفون المستمسكين بهما بأحط الصفات، ويتخذونهم مادة للتندر والاستهزاء، ومع ذلك، فهم عند كثير من المنتسبين للإسلام أصدق الأصدقاء، وأوثق الحلفاء! فإلى الله المشتكى.

* *

* **ومنه: الرضا بكفرهم وعدم تكفيرهم.**

أو: الشك فى كفرهم، وفى كل ماهم عليه من ضلال.

* ذلك أن الله عز وجل قال: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)** ﴾ [آل عمران]

* فمن شك فى هذا، أو قال بغيره، فهو مكذب لله ورسوله، ويكون بذلك من الكافرين.

* *

* **ومنه:** مشاركتهم أو معاونتهم فى حروبهم للمسلمين، والتحالف معهم، ونقل أسرار المسلمين إليهم، سواء كانت أسرار عسكرية أو اقتصادية أوغير ذلك.

* وقد حذر الله تعالى من ذلك أشد التحذير، فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ** ﴾ [الممتحنة: ١].

*نزلت هذه الآيات فى صحابى جليل لم يَشُكَّ لحظة فى صدق رسول الله ﷺ، لكنه كتب فى حالة ضعف – إلى كفار مكة يخبرهم بأن رسول الله ﷺ قادم لحربهم، فكشف الله الأمر قبل أن يصلهم الخطاب، وأنزل الله سبحانه هذه الآيات الحاسمة تضع حدا لمثل هذا الفعل، وتحكم على من يقوم به بعد ذلك بالكفر والضلال.

* ومما يدخل فى هذا النطاق، ما يتم من **تحالف وتعاهد**، بين بعض المسلمين وبين من حاربوا إخوانهم فى الدين، وأخرجوهم من ديارهم، ومع الذين عاونوهم وأيدوهم على

ذلك حتى احتلوا أرضهم، وسفكوا دماءهم.

* لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

* *

* ومما يوجب الشرك أو المعصية.

* طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه إذا كان مخالفا لشرع الله.

* وقد نهى الله عن هذه الطاعة واعتبرها كفرا، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]

*نزلت هذه الآية بعد أن حمل المسلمون من الأوس والخزرج السلاح لقتال بعضهم بعضا بتحريض من اليهود لعنهم الله، فأخبر سبحانه أن طاعتهم قد تؤدى إلى الكفر.

* وإذا كانت طاعتهم فى تحريم ما أحل الله أو إباحة ما حرم الله، مع الرضا بذلك فهى الكفر الأكبر.

* *

* ومنه: مودتهم والميل إليهم دون المؤمنين.

لقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ [المجادلة].

* *

* من المودة ما هو كفر أكبر، ومنه ماهو معصية وكبيرة.

* قال الرازى رحمه الله عند الآية السابقة: « المعنى أنه لايجتمع الإيمان مع وداد أعداء الله، وذلك لأن من أَحَبَّ أحدا امتنع أن يحب مع ذلك عدوه، وهذا على وجهين:

* **أحدهما**، أنهما لايجتمعان فى القلب، فإذا حصل فى القلب وداد أعداء الله لم يحصل فيه الإيمان، فيكون صاحبه منافقا.

* **الثانى**، أنهما لايجتمعان ويكون معصية وكبيرة، وعلى هذا الوجه لايكون صاحب هذا الوداد كافرا بسبب هذا الود، بل يكون عاصياً لله.

* *

* **ومنه: الانتماء لأحزابهم ومنظماتهم.**

* وحمل أفكارهم المناهضة للإسلام وتطبيقها على المسلمين فى أى مجال من المجالات مع استحلال ذلك والرضا به.

* **وكذلك**: الاشتراك معهم فى المنظمات التى تحمل أفكارهم، وتنشرها بما فيها من ضلال وفساد، كالماسونية، والروتارى، والليونز، والأنرهويل(١)، وغيرها من المؤسسات التى ابتليت بها الأمة، والتى تعمل على إفساد أخلاق المسلمين وتوهين صلتهم بدينهم وإخراجهم منه فى النهاية.

* *

* ويدخل فى هذا، ما يقدم للمسلمين من مناهج وبرامج مستوردة من بلاد الكافرين، وفيها مخالفة لشريعة الله، وقد حذرنا الله من ذلك بقوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ**

---

(١) حذرت المؤسسات الإسلامية ومنها لجنة الفتوى بالأزهر والمجمع الفقهى بمكة المكرمة من هذه المؤسسات وحرمت الانتماء إليها بأى شكل ومساعدتها بأى وجه.

الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠) ﴾ [آل عمران].

*وبطانة الرجل خاصته، تشبيها ببطانة الثوب التي تلي بطنه، لأنهم يطلعون من أمره على مالايطلع عليه غيرهم.

* وقد بين الله عز وجل العلة في النهي عن ذلك فقال : «لايألونكم خبالا» أي ، إنهم يجتهدون ولايقصرون فيما يورث المسلمين الشر والفساد.

* ثم إنهم يودون مايعود على المسلمين بالضرر والهلاك.

* وفي الحديث الشريف: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»(١).

* *

* **ومنه: مجالسة المستهزئين بشرع الله.**

* من جالس المستهزئين بدين الله عز وجل ، قولا أو عملا، فهو منهم، لقوله تعالى: ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ** ﴾ [النساء: ١٤٠]

* فمن جالس المستهزئين بما أنزل الله تعالى من أحكام، وبما سن الرسول ﷺ من سنن، ورضي منهم بذلك، فهو منهم كفرا وضلالا.

* ومن أنكر عليهم وفارقهم فقد برئ وسلم.

* ومن أنكر ولم يفارق فقد عَصَىَ وَأَثِم.

* *

* هذا، ويجوز الدخول على الكافرين في مجالسهم ومعابدهم لنصحهم وإرشادهم، أو

---

(١) رواه أبو داود.

للعظة والاعتبار لقوله ﷺ : «**ولا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم**[1].

* *

* **ومنه : مداهنتهم ومجاملتهم على حساب الدين**

* لقوله تعالى : ﴿ **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ** ⑨ ﴾ [القلم].

* والمداهنة هى التَرَخُّص مع الكافرين ومجاملتهم فيما هم عليه من باطل.

وكان الكفار يودون لو أن النبى ﷺ جاملهم فيما يعبدون من دون الله، فحذره الله من ذلك بالآية السابقة.

* وهذه المجاملة على حساب الدين ، أمر وقع فيه كثير من المسلمين اليوم : حتى إنك لتسمع أو تقرأ ما ينفطر له قلب المؤمن، من أن الأديان السماوية كلها على حق ! وأنه لا فرق بين أتباع هذه الأديان! وغير ذلك مما يدعو للتكذيب بما جاء به كتاب الله تعالى!

* ويدخل فى المداهنة المنهى عنها، تعظيم أعياد الكافرين، وتعظيم شعاراتهم، وتعليقها على الملابس ، وعلى الجدران وغيرها، كل ذلك من الكبائر، ومن التعاون على الإثم والعدوان، ومن التشبه بالكافرين، **ومن تشبه بقوم فهو منهم**، كما قال النبى ﷺ[2].

* كما يدخل فيها وصفهم بالسيادة والريادة والزعامة والحضارة وغيرها، مما لاقيمة له مع الكفر بالله.

* والحمد لله فإن أمرهم مكشوف لكل ذى عقل سليم، ولكل من يرى الدمار والخراب الذى ألحقوه بغيرهم من بنى الإنسان.

* *

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) رواه أحمد.

* **ومنه : الركون إليهم دون المؤمنين.**

* والركون هو الاستناد والاعتماد، والسكون إلى الشئ والرضا به[1].

* وقد حذر الله من الركون إلى الكافرين، فقال تعالى : ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ** (١١٣) ﴾ [هود].

* **والمعنى** : لا تطيعوهم فما يضركم ، ولا تسندوا إليهم أموركم، ولا تعتمدوا عليهم فيما يخصكم.

* **ويدخل فى هذا**، من هرب من ديار المسلمين إلى بلاد الكافرين حبا لهم، أو إعجاباً بهم،لقول النبى ﷺ « **المرء مع من أحب**»[2]، ولقوله : «**أنا برئ من كل مسلم يقيم بين ظهرانى المشركين**»[3].

* أو من يقيم بينهم ولايمكنه التمسك بدينه مع قدرته على تركهم، **فإذا كانت الإقامة** لغرض دينى كدعوتهم للإسلام، أو لمعاونة الأقلية المسلمة إن وجدت بينهم، **أو كانت لغرض** دنيوى كالعمل سعيا على الرزق ، أو فى السفارات وغيرها من المؤسسات الدولية، مع إقامة الدين، وإظهار الملة، والمحافظة على النفس والأهل والأولاد، ثقافة وأخلاقا، فلا بأس بها، بل تكون واجبة، إذا كان فيها مصلحة للإسلام والمسلمين[4].

* *

* **هذا كله فى الولاء للكافرين، ولاء نصرة ومودة وتعاون وخدمة ومعاونة،**

* **أما الإحسان إليهم والبر بهم، والتعامل معهم فى المصالح الدنيوية التى يحتاجها المسلمون فشئ آخر.**

فالإحسان إلى غير المسلمين، الذين لايحادون الله ورسوله، ولايحاربون أو يظلمون المسلمين خاصة أبناء الوطن الواحد، من واجبات الإسلام، لقوله تعالى : ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ**

---

(١) تفسير القرطبى.

(٢) رواه البخارى.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) راجع الولاء والبراء.

اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨]. والبر: كلمة جامعة تشمل كل معروف يقدم إليهم، والقسط، هو: العدل والرحمة.

* وعلى هذا، فيحرم على كل مسلم أن يظلمهم أو يؤذيهم، أو ينتقصهم حقوقهم، أو ينقض عهودهم بلا سبب شرعى للآية السابقة، ولما روى عن رسول الله ﷺ: «**ألا إنى حرمت عليكم أموال المعاهدين بغير حقها، ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلَّفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة**»(١). ولقوله: «**من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة**»(٢).

* وَالْمُعَاهَد من بينه وبين المسلمين عهد أمان، وكذلك الذى يقيم تحت سلطانهم.

* *

* كذلك، يجوز التعامل مع غير المسلمين فى المصالح الدنيوية، والاستفادة من خبرتهم فى الصناعة والزراعة وغيرهما، بشرط أن لايضر ذلك بالإسلام وأهله، كأن لايفرضوا على المسلمين أمرًا أو رأيا، أو يتدخلوا فى شئونهم الخاصة والعامة، وأن لايكونوا من المعتدين على المسلمين فى دينهم وأنفسهم وأرضهم وأموالهم، وغير ذلك، وهذا لاخلاف عليه(٣).

* *

* **ومن الفتاوى المهمة فى هذا المقام**، ماأفتت به هيئة كبار العلماء فى السعودية، ومنه:

* «يجوز التعامل مع النصرانى المجاور(٤)، والإحسان إليه، ومساعدته فى الأمور المباحة،

---

(١) رواه الطبرانى ومعناه صحيح. (٢) رواه البخارى.

(٣) وليس معنى هذه الإباحة الشرعية فى الاستفادة منهم، أن يتوسع المسلمون فى ذلك، إلى حَدِّ استخدامهم فى الأعمال والبيوت التى يمكن أن يقوم بها المسلمون، كما هو الحال فى دول الخليج! ونناشد إخواننا هناك أن لا يسرفوا فى استخدام الكفار، فإن لذلك آثاراً سيئة فى الدنيا والآخرة.

(٤) وكذلك غير المجاور، وكانت الإجابة عن النصرانى المجاور.

والبرِّ به، وزيارته لدعوته إلى الله تعالى، لعل الله أن يهديه للإسلام »[١].

* « يجوز أن تدخلوا بيوتهم تأليفا لقلوبهم، وللنصح لهم وإرشادهم ، ونحو ذلك من المصالح، لابدافع المودة والولاء لهم[٢].

* « يجوز أن نأذن لهم فى زيارتنا فى بيوتنا، مع الأمن من الفتنة، والمحافظة على حرمات الأسرة، مادام فى ذلك تأليف لقلوبهم، والنصح والإرشاد، عسى أن يجدوا فى حسن المعاملة، ومراعاة آداب الزيارة سماحة الإسلام، فيستجيبوا للنصيحة ويدخلوا فى الإسلام[٣].

* « وتجوز الصلاة فى بيوتهم إذا حان وقتها »[٤].

* « لاتجوز موادة الكفار، ولا مخالطتهم مخالطة تنشأ عنها فتنة، أما مؤاكلتهم، ومخالطتهم، والإحسان إليهم، بما يرغبهم فى الإسلام، فلا بأس به مع الأمن من الفتنة وعدم المودة »[٥].

* *

---

(١) مضمون فتوى رقم (٨٦٩١).

(٣،٢) مضمون فتوى رقم (٥٨٥٥)

(٤) المعنى من فتوى رقم (٣٢٦٢).

(٥) فتوى رقم (١٠٥٢٣)

الحكم بما أنزل الله
من توحيد الألوهية

* **ونعنى** بالحكم بما أنزل الله: « تطبيق الشريعة الإسلامية »

وهو درجات.

* **منها**: مايجب على الفرد أن يطبقه على نفسه وأهله، ومن لهم عليهم ولاية، وذلك بإقامة أركان الدين، وفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، وطاعة الله ورسوله ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

* **ومنها**: مايجب على الحاكم أن يطبقه على الأمة، كتطهير المجتمع من مظاهر الشرك والوثنية والبدع، وإقامة الحدود، والدعوة إلى الإسلام، والجهاد فى سبيله، وتعليمه لأفراد الأمة، وحمايته من أصحاب المذاهب المنحرفة، والمبادئ الضالة، والأفكار الفاسدة، كالملحدين والعلمانيين وغيرهم، وإقام الصلاة، وجمع الزكاة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومحاربة الفواحش والرذائل، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، ونشر العدل،ورفع الظلم، وتحقيق المساواة فى ذلك بين أفراد الأمة، وغير ذلك مما أمر به الله ورسوله.

* *

* وهذا موضوع حديثنا، لأنه من توحيد الألوهية، ومن معانى (لا إله إلا الله).

قال الله تعالى: ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال سبحانه: ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧)** ﴾ [الأنعام].

وأمر الله عز وجل رسوله والمسلمين جميعا أن لايتحاكموا إلى غير شرعه، وبين أن ذلك من الجاهلية، فقال تعالى: ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**

وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50) ﴾ [المائدة].

وبين الله عز وجل أن الحاكمين بغير ما أنزل الله على خطر عظيم، فهم إما على كفر أو على ظلم أو على فسق.

قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٦].

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧].

* *

* **ولكن، متى يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفرا، ومتى لايكون كفرا؟**

* قال أهل العلم: لايمكن أن يسمى الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل كافرا، ولايكون كافرا، بل هو كافر[1].

* **ولكن كفره، قد يكون كفر اعتقاد، وقد يكون كفر عمل**[2].

* وكفر الاعتقاد الذى يخرج من الملة أنواع

* **منها**: أن يجحد[3] الحاكم أن لله ورسوله حقا في التشريع والحكم هذا لا خلاف على كفره لقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65) ﴾ [النساء].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية

(٢) **كفر الاعتقاد**، هو الكفر بما هو معلوم من الدين بالضرورة أو بشىء مما جاء به رسوله الله ﷺ واشتهر أمره وثبت أنه منه، **وكفر العمل**، أن يؤمن بكل ذلك، لكنه لايطبقه ولايعمل به، كمن يؤمن بالزكاة ولايزكى، وبالصوم ولايصوم، وبأن الحكم بما أنزل الله فريضة، ولايجوز تغييره ولااستبداله لكنه لا يحكم به، وهو كفر دون كفر.

(٣) الجحود هو إنكار الشئ مع العلم به، وكل ما يأتى لا يختص بالحاكم وحده، بل يشمل كل من يعتقد اعتقاده ولو لم يكن حاكما.

* **ومنها**: أن لاينكر ذلك،لكنه يعتقد أن حكم غير الله أفضل للناس، إما مطلقا، وإما بالنسبة لما استجد ويستجد من الحوادث التى تنشأ عن تطور الزمان، وتغير الأحوال، وهذا لا خلفا أيضا على كفره، لقوله سبحانه: ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله** ﴾.. الآيات.

* **ويلحق بهذا من يقول**: إن دين الله حق، لكنه لا يناسب سنة التطور! ، وأن لكل جيل قانونه! ولكل زمن فتواه! فالفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان.. إلخ!

* والحق، أن حكم الله تعالى لايختلف فى ذاته باختلاف الأزمنة والأمكنة، وتطور الأحوال، وتجدد الحوادث، فإنه ما من قضية إلا وحكمها فى كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ نصا ظاهرا، أو استنباطا، أو غير ذلك، علمه من علمه، وجهله من جهله، قال تعالى: ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [النحل: ٨٩].

* والمراد من تغير الفتوى بتغير الأحوال والأزمان، ماكان مبنيا على الأصول الشرعية، والمصالح المرعية، التى تدور على هذه الأصول.

* *

* **ومنها**: أن يعتقد الحاكم، أن ما يحكم به من القوانين الوضعية مثل حكم الله سواء بسواء، فهو كافر كفرا أكبر، لأنه سوى المخلوق الضعيف القاصر، الذى يجهل ويعلم، وينسى ويتذكر، ويميل ويهوى، سواه بالخالق العليم الخبير، المحيط الحكيم، الذى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى: ١١].

* *

* **ومنها**: أن يعتقد أن حكم الله أحسن وأحكم، لكنه يعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله، فهذا كافر أيضا، لاعتقاده جواز ذلك، وقد حرمه الله عز وجل بآت كثيرة منها قوله سبحانه: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)** ﴾ [النساء].

* *

* **ومنها**: إحلال القوانين الوضعية ،.. محل الشريعة الإسلامية ، والعمل بها فى بلاد المسلمين، وكلها أو معظمها ترجع إلى قوانين أهل الكفر، وأصحاب الهوى والغرض والفتنة، وكل الآيات السابقة تدل على ذلك.

* *

* **ومنها**: اعتقاد الحاكم بجواز فصل الدين عن الدولة، لأن الدين فى اعتقاده، علاقة خاصة بين الإنسان وما يؤمن به، ولا شأن له بقوانين الأمة، ولا بسياسة الدولة، وهذا الاعتقاد كفر، للأدلة السابقة وغيرها، وتلك هى عقيدة العلمانيين فى عصرنا الحاضر(١).

* *

* **ومنها** : ما يحكم به كثير من قضاة القبائل والعشائر حسب عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم، مخالفين بذلك ما جاء فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من حدود

---

(١) شاع بين كثير من الناس أن العلمانية تعنى فصل الدين عن الدولة بالمعنى الذى أشرنا إليه، ولو اقتصرت على هذا لكانت خروجاً عن الإسلام، لكن العلمانية تعنى أكثر من هذا، إنها تعنى الأخذ بالعلم المادى دون الغيب الإلهى، وهذا ضرب من الإلحاد، وتعنى لمن يدينون بدين سماوى سواء كان حقا كالإسلام، أو كان محرفا كغيره، أن يكون هذا الدين علاقة خاصة بين الإنسان وربه، ويعنى هذا بالنسبة للمسلمين أن لا تحكمهم شريعة الله، ولايقام فيهم حقه!.

* ويراد بكل هذه المعانى وغيرها، هدم الإسلام وحده، لأنه الدين الحق، ولأنه نزل ليحكم المسلمين، ويضبط حركتهم، فمن أخذ بهذه العلمانية بأصولها وفروعها، وبأية وسيلة من وسائلها فليس من المسلمين.

* أما من يدعو إليها، وَيَروِّجُ لها، فضلا عن حكمه بها، فهو محاد لله ولرسوله وللمؤمنين، قال تعالى: «ومن يشاقق الرسول من بعْد ما تين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين فوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا»

* ونبه إلى أن العلمانيين يرفعون اليوم راية تسمى راية التنوير يضللون بها الناس.

* ومن أمكر ما يقوله هؤلاء: نحن مؤمنون أكثر ممن يدعون الإسلام، وليس لأحد أن ينقب فى قلب أحد ونقول لهم: إن القلوب إلي الله، لكن الحكم على الشخص، إنما يكون بما يظهر من أقواله وأعماله، وأقوالكم وأعمالكم هى التى أظهرت عداوتكم للإسلام.

وأحكام فهذا من حكم الجاهلية، فهو من الكفر (١).

* *

* **أما الحكم بغير ما أنزل الله الذى لايكفر صاحبه ولايخرج به من الملة فهو:**

أن يعلم أن حكم الله أفضل وأكمل، وأنه من فرائض الإسلام، وتكون نصوصه أمامه واضحة فى كل ذلك، لكنه يحكم فى القضية بغير ما أنزل الله اتباعا للهوى، أو مسايرة للظروف، أو خضوعاً للحاكم، أو طلبا للرشوة، مع اعتقاده أنه مخطئ فى تركه للحق الذى قضى به الله ورسوله، فهذا ليس كافرا ، بل هو على معصية كبيرة ووزر عظيم، أعظم من سائر الكبائر والذنوب.

* *

* ويلحق بهذا،من يحكم بغير ما أنزل الله، تحت ضغط أو إكراه مادى أو معنوى، مع اعتقاده أن حكم الله هو الحق، وأن مايحكم به هو الباطل، وهو يجاهد لينجو من هذا الضلال، وإذا كان هذا شأنه فهو على معصية عظيمة، لا على كفر أكبر، ونقول له ولغيره، ما قاله الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

*** فيا حكام المسلمين، ويا أهل التشريع،**

*** ويا قضاة الأمة، ويا أصحاب الرأى والفكر.**

*** ويا كل من بيده شئ من الأمر.**

﴿ **اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ (٤٧)** ﴾ [الشورى:٤٧]

* *

(١) إن شئت التوسع فعليك بكتاب تحكيم القوانين وتفسير المفسرين عند هذه الآيات.

أثر توحيد الألوهية فى حياة المسلمين

* **إن لتوحيد الألوهية** أعظم الأثر فى حياة الموحدين.

* **فإن عقيدة** تملأ قلوب أصحابها بالإيمان بالله القوى المتين، كما تملأها بحبه والتوكل عليه، والرغبة فيه، والخشوع له.

* **وإن عقيدة**، تجعل الخضوع والطاعة والولاء والحكم لله وحده لا شريك له.

* **وإن عقيدة** تنقى قلوب أهلها من كل ألوان الكفر والظلام، ومن وسائل الشرك والضلال.

* **إن عقيدة**، تفعل هذا وغيره.

هى عقيدة تجعل أهلها فى عزة وسيادة، ورحمة وراحة فى الدنيا، وفى منازل الكرامة وغرفات الجنات فى الآخرة.

فالحمد لله على نعمة التوحيد.

(٢) الإيمان بالملائكة

* هو الركن الثانى من أركان الإيمان، وأصول العقيدة.

* فهو يأتى بعد الإيمان بالله تعالى، من أنكره أوشك فيه كان من الكافرين، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ [النساء: ١٣٦].

**

* **ويتحقق هذا الركن**، بأن يعتقد المسلم أن الملائكة من المخلوقات الكريمة، وأنهم سفراء الله إلى رسله، يحملون لهم وحيه، وأنهم ليسوا ذكورا ولا إناثا، ولا يتزوجون ولا يأكلون ولا يشربون، وأن الله خلقهم لعبادته وطاعته، وتنفيذ أوامره فى الأرض وفى السماء، ومراقبة عباده، وكتابة أعمالهم وأقوالهم، وأنهم لايعلمون غيبا، ولايملكون ضرا ولا نفعاً إلا ماشاء الله.

**

* من صفات الملائكة وأحوالهم.

* هذا الذى ذكرناه يكفى أن يعرفه المسلم ليتحقق له ركن الإيمان بالملائكة، لكن الأفضل والأكمل، أن يتعرف على ما أمكن من صفاتهم وأحوالهم ليزداد علماً وخيراً.

* وسبيل التعرف على ذلك هو الكتاب الكريم، والسنة الصحيحة ولا ثالث لهما.

* ومن الكتاب والسنة عرفنا أنهم:

* **خلقوا من نور**، لقوله ﷺ: « **خلقت الملائكة من نور**»(١)

* **وأن عددهم لايعلمه إلا الله**، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١].

(١) رواه مسلم

ولقوله ﷺ «**يخرج من البيت المعمور كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون إليه**»(١).

* وإذا علمت أن كل شئ فى الأرض وفى السماء موكل به الملائكة، علمت أن عددهم لا يحصره إلا الله سبحانه.

* **ويسكنون السماء**، وينزلون منها بأمر الله تعالى، قال النبى ﷺ لجبريل «**مايمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟** فنزل قوله تعالى: ﴿**وما نتنزل إلا بأمر ربك**﴾(٢).

* وهم عباد مكرون لقوله تعالى: ﴿ **بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ** ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنبياء].

* **وهم السفرة الكرام البررة**، وصفهم الله سبحانه بذلك فقال: ﴿ **فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ** ﴿١٣﴾ **مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ** ﴿١٤﴾ **بِأَيْدِي سَفَرَةٍ** ﴿١٥﴾ **كِرَامٍ بَرَرَةٍ** ﴿١٦﴾ ﴾ [عبس].

* **وهم طاهرون مطهَّرون** من الأرجاس الحسية والمعنوية لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ** ﴿٧٧﴾ **فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ** ﴿٧٨﴾ **لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ** ﴿٧٩﴾ ﴾ [الواقعة].

* **وهم على أحسن صورة وأجمل هيئة**، لقوله تعالى فى وصف جبريل عليه السلام: ﴿ **ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ** ﴿٦﴾ ﴾ [النجم] قال ابن عباس رضى الله عنهما «ذو منظر حسن» وهذا الأمر مستقر فى أذهان الناس قديما وحديثا..

* **ولهم أجنحة** مثنى وثلاث ورباع وأكثر، كما قال تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ** ﴾ [فاطر: ١]. وقد رأى النبى ﷺ جبريل قاعدا على كرسى بين السماء والأرض وقد سدَّ الأفق(٣). ورآه وله ستمائة جناح(٤).

* **ولم ير الملائكة على صورتهم من هذه الأمة سوى رسول الله ﷺ**.

* **وهم يتشكلون بالأشكال الحسنة**، بما فيها أشكال بنى آدم، وقد يراهم الناس على ما

---

(١) رواه مسلم، والبيت المعمور فى السماء وهو الذى أقسم الله تعالى به فى قوله «والبيت المعمور»

(٢) رواه البخارى (٣) رواه البخارى

(٤) رواه مسلم.

يتشكلون، به ولايعرفون أنهم ملائكة إلا إذا أُخبروا بذلك، كما أخبر الله لوطا وإبراهيم عليهما السلام(١) وجاء جبريل لمريم عليها السلام فى صورة بشر سوى(٢) وجاء إلى النبى ﷺ فى صورة رجل(٣)، وجاءه فى صورة الصحابى الجليل دحية الكلبى رضى الله عنه(٤).

* وتراهم بعض المخلوقات فى صورتهم أو فى صورة أخرى ، لقوله ﷺ : « **إذا سمعتم أصوات الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً**»(٥)

* **وهم متفاوتون فى المقدار تفاوتا لايعلمه إلا الله**: لقوله تعالى :﴿ **وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ** ﴾ [**الصافات** : ١٦٤].

* **ولا يأكلون ولا يشربون** ، كما ورد فى قصتهم مع إبراهيم عليه السلام (٦).

* **ويتأذون من الروائح الكريهة والأقذار والأوساخ**، لقول النبى ﷺ : « **من أكل من الثوم والبصل والكرات فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**»(٧).

* **ولايدخلون بيتًا فيه كلب أو صورة تمثال**، كما ثبت فى الحديث الشريف(٨).

* **وهم أعظم المخلوقات قوة وسرعة**، فقد كان النبى ﷺ يسأل عن الشئ، فما أن ينتهى السؤال حتى ينزل جبريل بالإجابة من فوق سبع سموات.

- فهم ليسوا على شكل واحد بل متفاوتون فى الخلق تفاوتاً لا يعلمه إلا الله-

* قال النبى ﷺ : «**أذن لى أن أحدثكم عن مَلك حملة العش بعد، ما بين شحمة أذنه وعنقه يخفق الطير سبعمائة عام**»(٩).

قال تعالى فى وصف جبريل عليه السلام: ﴿ **ذى قوة عند العرش مكين** ﴾ وقال سبحانه فى وصف بعض الملائكة: ﴿ **غلاظ شداد** ﴾.

---

(١) هو (٦٩) ومابعدها
(٢) مريم (١٧)
(٣، ٤، ٥) رواها البخارى
(٦) الذاريات (٢٤/ ٨)
(٧) رواه مسلم
(٨) رواه البخارى
(٩) رواه أبو داود وابن أبى حاتم واللفظ له قال ابن كثير فى تفسيره وإسناده جيد رواته كلهم ثقات.

* وقد أهلكوا القرى والمدن التى أراد الله إهلاكها فجعلوا عاليها سافلها بأمر الله عز وجل.

* **ولاَيَملُّون ولايتعبون** مما يقومون به من أعمال، وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يفترون(١) ولا يسأمون(٢).

* خضوع الملائكة لله وخوفهم منه

* يخضع الملائكة لله خضوعاً مطلقا، ويخافون منه خوفا عظيما، ويرهبونه رهبة شديدة، ويخشون غضبه، وينفذون أمره بلا تردد ولا مناقشة، قال الله تعالى فى شأنهم: ﴿ **وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ** ﴾ [الرعد: ١٣]. وقال سبحانه: ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** (٥٠) ﴾ [النحل]..

* وقال النبى ﷺ: « **إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خَضَعَانًا لقوله، كالسلسلة على صفوان حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلى الكبير** »(٣).

**

من أعمال الملائكة

* للملائكة أعمال كثيرة فى الأرض وفى السماء لايعلمها إلا الله، وقد جاء بعضها فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة منها:

* حمل عرش الرحمن جل جلاله.

لقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** ﴾ [غافر: ٧].

* **التسبيح والركوع والسجود لله** لقوله تعالى: ﴿ **وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ**

(١) الأنبياء (٢٠)   (٢) فصلت (٣٨)

(٣) رواه البخارى ومعنى كالسلسلة على صفوان، أى كما يُضْرب بسلاسل الحديد على أحجار الصفوان، فتحدث أصواتا شديدة

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [الزمر:٧٥].

* وقوله سبحانه:﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

* وفى الحديث الشريف: «قالﷺ لأصحابه، ألا تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شئ يا رسول الله، قال: إنى لأسمع أطيط السماء، وماتلام أن تئط، ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم»(١).

* وروى أنه ﷺ قال: «إن لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته، ما منهم ملك تقطر من عينيه دمعة إلا وقعت على ملك يصلى، وإن منهم ملائكة سجوداً منذ خلق الله السموات والأرض، لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ملائكة ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق الله السموات والأرض، ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل وقالوا: «سبحانك ماعبدناك حق عبادتك» (٢).

* إكرام أهل الجنة وتعذيب أهل النار.

* لقوله تعالى فى أهل الجنة: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد]..

* ولقوله سبحانه محذرا من النار: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

* وقبل ذلك يعذبونهم في قبورهم كما ورد فى الأحاديث الصحيحة.

* الصلاة على النبيﷺ وعلى المؤمنين والاستغفار لهم. لقوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ

---

(١) رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى. ومعنى أطت: ثقلت من كثرة الملائكة.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسير سورة المدثر وقال: «وهذا إسناد لا بأس به» اهـ، ومعناه صحيح.

يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾ [الأحزاب] . وقوله جل شأنه : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) ﴾ [الأحزاب] . وقوله جل شأنه : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) ﴾ [غافر] .

* **إلقاء السلام على المؤمنين حين يرونهم**، قال ﷺ **لعائشة رضى الله عنها : هذا جبريل يقرأ عليك السلام، قالت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى**»(١) تعنى أن رسول الله ﷺ يرى مالا تراه .

* **كتابة الحسنات والسيئات على المكلفين.**

* لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) ﴾ [الانفطار] .

* ولقوله سبحانه : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾ [ق] .

* والرقيب : الذى يرقب الشئ وينتظره ، والعتيد : الحاضر المهيأ، فهما صفتان للملكين لا اسما لهما .

* **التسابق فى كتابة الأعمال الصالحة :**

* فقد ثبت أن النبى ﷺ كان يصلى بأصحابه، فلما رفع رأسه من الركعة، قال : سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد حمداً كثيرا طيبا مباركا فيه، فلما أتم صلاته، قال ﷺ : من المتكلم؟ قال الرجل : أنا ، قال ﷺ : «**لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا**

(١) رواه البخارى.

يبتدرونها أيهم يكتبها أول(١)».

* **تثبيت** المجاهدين فى سبيل الله، والعناية بالشهداء.

* لقوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ.. (١٢٦)﴾ [آل عمران].

* فإذا استشهد من المجاهدين شهيد، تولت الملائكة إكرامه، بما يريد الله، **فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: لما قتل أبى جعلت أكشف الثوب عن وجهه أبكى، وينهوننى عنه، والنبى ﷺ لا ينهانى، فَجَعَلَتْ عمتى فاطمة تبكى، فقال ﷺ: تبكين أو لا تبكين، مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه»(٢).**

* **حمل البشريات للمؤمنين فى أحوال كثيرة،**

* **منها:**

* **عندما يزور بعضهم بعضا فى الله**، لقوله ﷺ: **«زار أخ أخاً له فى الله، فأرصد الله له ملكا على مدرجته، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لى فى هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أنى أحببته فى الله، عز وجل، قال: فإنى رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»(٣).**

* والمدرجة: الطريق، وأرصد: أوقف، وتربها: تصلحها

* **وعند الخوف من الأخطار**، ويتضح ذلك فى قصة هاجر عليه السلام حين كانت تسعى بين الصفا والمروة تبحث عن الماء وهى خائفة عليها ولدها إسماعيل من الهلاك، فجاءها جبريل عليه السلام، وقال لها: لا تخافى الضَّيْعة، فإن ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يُضَيِّعُ أهله(٤).

---

(١) رواه الترمذى والنسائى

(٢) رواه البخاري

(٣) رواه مسلم

(٤) رواه البخارى

* وللملائكة مع رسول الله ﷺ وأصحابه بشريات كثيرة

* **وعند الموت على الإيمان**، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)**﴾ [**فصلت**].

* وهذا النزول يكون عند الاحتضار

* **بينما يمتهنون الكافرين والظالمين والفاسقين** ويضربونهم عند موتهم، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠)**﴾ [**الأنفال**].

* تولى المؤمنين فى الدنيا والآخرة

لقوله تعالى عن الملائكة فى خطابهم للمؤمنين: ﴿**نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١)**﴾ [**فصلت**].

* والولاية فى الدنيا: توفيقهم لعمل الخير، وحفظهم بأمر الله. وفى الآخرة: أنسهم فى وحشة القبور، وعند النفخة فى الصور، وتأمينهم عند البعث والنشور، ومجاوزتهم للصراط المستقيم، وتوصيلهم إلى جنات النعيم»(١).

* حفظ الإنسان من الجن وغيره

* لقوله تعالى: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [**الرعد: ١١**]

* قال ابن كثير: «قال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته، من الجن والإنس والهوام، فما من شئ يأتيه إلا قال له الملك: وراءك، إلا شئ أذن الله فيصيب».

وقال جل شأنه: ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ**﴾ [**الأنعام: ٦١**]

---

(١) ابن كثير.

* فالحفظة من الملائكة يرسلهم الله تعالى لحفظ العبد حتي يأتي أجله الذي قدره الله له..

* **مساعدة الفارّين إلي الله، التائبين من الذنوب .**

* وقد قص علينا رسول الله ﷺ، قصة رجل من بني إسرائيل قتل مائة نفسٍ، ثم أراد أن يتوب فنصحه رجل عالم تقي بأن يترك قريته الفاسدة، ويذهب إلي أخري صالحة يعبد الله مع أهلها، ولما توجه إلي القرية الصالحة مات وهو في الطريق، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، فأرسل الله لهم ملكًا ليحكم بينهم، فقال: قيسوا ما بين البلدين فإلي أيهما أقرب فهو من أهلها، فقاسوا، فكان أقرب إلي القرية الصالحة، بشبر واحدٍ، فغفر الله له»(١) .

* **الدعاء لأهل الطاعة، ولعنة أهل المعصية .**

* والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

* قوله ﷺ : **«ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»**(٢) .

* وقوله: **«من أشار إلي أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتي ينتهي وإن كان أخاه لأبيه وأمه»**(٣) .

* وقوله: **«إذا دعا الرجل امرأته إلي فراشه فأبت فبات غضبان، لعنتها الملائكة حتى تصبح»**(٤) .

* **الإعلان عمن يحبه الله أو يُبغضه .**

* لقوله ﷺ : **«إن الله تعالي إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه، فيحبه**

---

(١) رواه البخارى، والحديث بمعناه. (٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه البخاري، ولا تلحق هذه اللعنة المرأة إذا كان لها عذر شرعي أو كانت مريضة .

جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء، إن الله أبغض فلانًا فأبغضوه، ثم يوضع له البغضاء فى الأرض»(١) .

* الدعاء لعُمَّار المساجد .

* لقوله ﷺ: «صلاة الرجل في الجماعة تضعف صلاته في بيته وفي سوقه خمسًا وعشرين ضعفًا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلي المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحُطَّ عنه بها خطيئة، فإذا صلي لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه: اللهم صل عليه اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة»(٢) .

* التأمين علي دعاء المسلمين .

* عند قول الإمام آمين .

* لقوله ﷺ: «إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا آمين، فإن الملائكة تقول: آمين، وإن الإمام يقول آمين، فمن وافق تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»(٣) .

* وعند دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب،* لقوله ﷺ: «دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة، من ورائه ملك موكل كلما دعا لأخيه قال آمين ، ولك بمثل»(٤) .

* حضور صلاة الفجر والعصر .

كما جاء في الحديث الشريف: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار،

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه البخاري وأحمد واللفظ له .

(٤) رواه مسلم .

ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادى؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»(١) .

* **حضور** خطبة الجمعة، وكتابة أهلها .

* لقوله ﷺ : « **إذا كان يوم الجمعة كان علي كل بابٍ من أبواب المسجد الملائكة، يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طَوَوْا الصحف، وجاءوا يستمعون الذكر**»(٢) .

* **النزول عند قراءة القرآن .**

* لما ثبت أن أسيد بن حضير رضى الله عنه ، كان في ليلة يقرأ القرآن في مربده، فجالت فَرَسُه فقرأ، ثم جالت أخري، فقرأ، ثم جالت أيضًا فخشي أن تطأ ابنه يحيي، فقام إليها، فرأي مثل الظُّلّة فوق رأسه فيها مثال السُّرُج عَرَجَتْ فى الجو حتي ما رآها، فغدا علي رسول الله ﷺ فذكر له القصة، فقال ﷺ : «**تلك الملائكة كانت تستمع لك، لَو قرأتَ لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم**»(٣) .

* **حضور مجالس الذكر .**

* ففى الحديث الشريف: «إن لله ملائكة يطوفون فى الطريق، يلتمسون أهل الذكر(٤)، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادَوْا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه البخاري ومسلم ، والمربد: الجرن وهو المكان الذي تهيأ فيه المحاصيل الزراعية، وجالت: وثبت وقفزت .

(٤) المراد به الذكر علي إطلاقه، كقراءة القرآن، ومطالعة السنة، والمجالس التي يتعاهد أهلها علي طلب العلم الشرعي، وكذلك التي يذكر فيها الله ويسبح بحمده، وليس منها ما يقيمه البعض من حلقات يتراقصون فيها، ويتمايلون، وتتعالي أصواتهم فى المساجد وغيرها، فهذا قد نهي عنه النبي ﷺ .

بأجنحتهم إلي السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادي؟ يقولون: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدو نك، فيقول: وهل رأوني؟ فيقولون: لا والله يارب مارأوك، فيقول: كيف لو رأوني؟ يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً، وأكثر تسبيحًا، فيقول: مِمَّ يسألوني؟ يقولون: يسألونك الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ يقولون: لا والله يارب مارأوها، فيقول: فكيف لو رأوها؟ يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ يقولون: يتعوذون من النار، فيقول: وهل رأوها؟ يقولون: لا والله ما رأوها، فيقول: وكيف لو رأوها؟ يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة، فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»(١).

*** الملائكة تدبِّر أمر الله فى الكون .**

* يتضح مما سبق، ومن غيره وهو كثير، ومنه قول الله تعالي في حق الملائكة: ﴿ **فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا** ﴾ [الذاريات: ٤] وقوله: ﴿ **فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا** ﴾ [النازعات: ٥] أن الله عز وجل أوكل للملائكة تدبير أمره في الكون كله، فما من سحاب يجرى، وما من قطرة ماء تنزل، وما من زرع ينبت، وما من شجرة تثمر، وما من رزق يكتب، وما من مولوديولد، وما من نفس تموت، وما من سعادة أو شقاوة، إلا ومن ورائه ملك موكل من الله، بالأمر والنهي، والفعل والترك، ﴿ **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [الفتح: ٤].

**

(١) رواه البخاري ومسلم.

* أيهما أفضل، المؤمنون أم الملائكة؟

* لا شك أن الرسل والأنبياء أفضل من الملائكة، لكن: أيهما أفضل، المؤمنون أم الملائكة؟

كثرت الآراء والأقوال فى هذه المسألة، وأعدلها ما ذهب إليه ابن تيمية رحمه الله .

* من أن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة، ونالوا القرب وسكنوا الدرجاتِ العلي، وحياهم الرحمن وخصهم بمزيد من قربه، ونظروا إلي وجهه الكريم، وقامت الملائكة بخدمتهم بإذن ربهم .

* والملائكة أفضل باعتبار البداية ، فإنهم الآن في الرفيق الأعلي، مُنَزَّهُون عما يُلابِسه بنو آدم من أخطاء وخطايا، مستغرقون فى عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال أكمل من أحوال البشر»(1) .

* ثمرة الإيمان بالملائكة

* إن الإيمان بالملائكة علي النحو السابق له ثمار عظيمة في حياة المؤمنين.

* **منها** : أن يعلموا أن الله غني عن عبادة العابدين، ولا يضره كفر الكافرين. وفسق الفاسقين، فعنده من يسبحون الليل والنهار لا يَفْتُرون .

* وهو غني كذلك عمَّن يمنون عليه بأعمالهم، فعنده من لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون .

* وحتي لو لم تكن الملائكة عنده وطوعَ أمره، فهو غني بذاته عن العالمين .

* ولعل هذا الفهم يدفع المسلمين إلي أن يضاعفوا من الأعمال الصالحة، فيكونوا من الفائزين .

* **ومنها** ، أن يعلم المجاهدون الصادقون أن معهم ملائكة الله تثبتهم، وتطمئنهم،

---

(1) مجموع الفتاوي بتصرف .

وتبشرهم بإحدي الحسنيين، النصر أو الشهادة .

* **ومنهـا**، أن يعلم المسلم، أن معه من يُراقبه ولا يفارقه ، ويسجل عليه القول والفعل، فضلاً عن مراقبة الله تعالي، فينبغي أن يكرمهم ويستحى منهم، فلا يرتكب المعاصي، وإن ارتكبها فليتب منها، ويكثر من الطاعات، ولا يجلس فى الأماكن التى يعصى فيها الله إلا أن يكون آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، وحينئذ يكون له نصيب عظيم من دعاء الملائكة له، وصلاتهم عليه، وتسديدهم له، ويتجنب لعنتهم وغضبهم فيكون من الفائزين بإذن الله .

«الجـــــن»

* تعـود كـثيـر من أهل العلـم أن يتناولوا مـوضـوع الجن بعـد الملائكة، رغـم أنه لـم يأت ذكرهـم في أركـان الإيمان، وذلك لما بين الفـريقين من شَبَهٍ في الخفاء والتشكل، فضلاً أنهما من الغيب الذى لا يتم الإيمان إلا به.

* فالإيمان بالجن جزء من عقيدة المؤمن، من أنكر وجوده علي النحو الذي جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة فقد كفر، قال تعالي: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦]

* نصيحة لكل المسلمين

* وأنصح إخواني المسلمين أن لا يَتَعَدَّوْا في التعرف علي الجن سوي ما جاء عنهم في الكتاب الكريم والسنة الصحيحة، وأن لا يعتمدوا أقوال الرجال مهما كان شأنهم، سوي ما صحت نسبته غاية الصحة إلي أصحاب الرسول ﷺ، وأي كلام يقال عن الجن بعيداً عن هذه المصادر، يحتمل الصدق والكذب والوهم، ويوقع كثيراً من الناس في بلبلة واضطراب وشكوك، هم في غني عنها بالقرآن والسنة، وفيهما بحمد الله الكفاية والشفاء .

* كذلك لا يجوز لمسلم أن يستغرب بعض ماجاء بشأنهم في النص الصحيح، حتي لا يقع في دائرة الشك بما جاء من عند الله، وسبحان علام الغيوب ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥)** ﴾ [الإسراء].

* الجن والشيطان، وإبليس

* **الجن**: اسم جنس لهذا المخلوق، خلقه الله من نار قبل أن يخلق الإنسان من طين، قال تعالي: ﴿ **وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ** ﴾ [الحجر: ٢٧] وهي النار الخالصة التي لا دخان فيها .

وسمي جنًا لاستتاره عن العيون، من جَنَّ أي بعد واختفي، قال تعالي: ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٢٧]

* **إبليس من الجن وكذلك الشيطان.**

* الجن منه المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فالمؤمن يقال له: جني مؤمن، ومنه العفريت كما قال تعالي: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ [النمل: ٣٩]

* **والكافر يُقال له شيطان، وهو نسل إبليس**، الذي كان جنيًا مؤمنًا، وكان يعبد الله مع الملائكة، ثم عصي ربه حين أمره بالسجود لآدم، فطرده الله من رحمته، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [الكهف: ٥٠]

* ومن يومئذ سمي إبليسًا، وشيطانًا، وسميت ذريته شياطينًا .

* سُمي إبليسًا، لياسه من رحمة الله، يقال أَبْلَسَ اى يَئِس وتَحيَّر، وسُدَّت أمامه كل الطرق .

* وسُمِّيَ شيطانًا، لِتَمُّردِهِ علي الله، فالشيطان في لغة العرب: كل عاتٍ. مبالغٍ في ركوب المعاصي، متمردٍ لا يقع منه الوعظ والتنبيه موقعًا، وهذا كله ينطبق علي الشيطان الذي تفرغ نهائيًا للتسلط علي بني آدم وإضلاله وإغوائه .

* وإبليس لم يكن من جنس الملائكة، للآية السابقة ولأنه خلق من نار، والملائكة خلقت من نور كما قال النبي ﷺ .

* **الجن مكلفون بالإسلام .**

* لأن الله عز وجل خلقهم لعبادته، وعبادته سبحانه لا تكون إلا بالإسلام .

وقد تلقي الجن هذا التكليف فآمن منهم من آمن، وكفر منهم من كفر .

وقد استمع نفر منهم إلى رسول الله ﷺ فآمنوا به ، ودعوا قومهم إليه، فأتت وفودهم تترى إلى الرسول ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ** ﴾ [الأحقاف : ٢٩] .

وقالوا : ﴿ **وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا** ﴾ [الجن : ١٤] والقاسط هو الجائر التارك للحق .

وقالوا : ﴿ **وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا** ﴾ [الجن : ٣] . فهذه الآيات وغيرها تدل على أن منهم المؤمن والكافر، والطائع والعاصى، واليهودى، والنصرانى، والوثنى، شأنهم فى ذلك شأن بنى آدم، لكن يبدو أن تكليفهم ليس مماثلاً لتكليف الإنس فى كل شئ إلا من حيث الأصول، والأمر والنهى، والتحليل والتحريم»(١) .

* **ومؤمنو الجن فى الجنة**، وكافرهم فى النار، وعصاتهم فى مشيئة الله، كما هو حال الإنسان، والأدلة على ذلك كثيرة، كالآيات السابقة، ولقوله ﷺ : «**إنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شئ، إلا شهد له يوم القيامة**»(٢) .

* **وقد أرسل الله لهم رسلاً**، لقوله تعالى : ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا** ﴾ [الأنعام : ١٣٠]

* **ولكن** هل هؤلاء الرسل منهم، أو من الإنس أو منهما معًا؟ الراجح أن الله لم يرسل منهم رسلاً، بل إن رسل الله إلى البشر هم رسلهم، وقيل: لم يرسل لهم سوى محمد ﷺ، أما من كان منهم يهوديًا أو نصرانيًا فبحكم مخالطتهم لبعض اليهود والنصارى، والتأثر بهم، والإيمان بما آمنوا به . والله أعلم .

* *

* من أحوال الجن

* الجن يأكلون ويشربون .

لقول النبى ﷺ : «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن**

(١) فتاوي ابن تيمية .

(٢) رواه البخاري .

الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله»(١) .

*** ويتزوجون ويتوالدون .**

لقوله تعالى : ﴿ **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ** ﴾ [الكهف : ٥٠] والذرية لا تكون إلا من تناسل وتوالد .

*** ولا يتزوجون غيرهم من المخلوقات .**

لا من بنى آدم ولا من غيرهم، لقوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾ [الروم : ٢١] .

* ولأن الجن غير المخلوقات فى أصل الخلقة، فقد خلق من نار، والمخلوقات الأخرى خلقت من ماء وطين(٢)، ولا تراحم، ولا تجانس ولا مودة، ولا سكن يتحقق من هذا الزواج .

* ولأنه لم يرد فى الكتاب والسنة ما يفيد ذلك، فالقول به رجم بالغيب وافتراء على الله ورسوله .

***ويتشكلون بالأشكال الحسنة والقبيحة ويراهم عليها الناس .**

* ومنها أشكال بنى آدم، وقد ثبت أن النبى ﷺ أمسك جنيًا ثم تركه(٣) . وجاء جنى لأبى هريرة فى صورة آدمى(٤) .

* * كما يتشكلون بسائر المخلوقات، فيتشكل الشياطين والعصاة بأشكال قبيحة كالكلاب وغيرها، وبأشكالٍ حسنة أحيانًا بغرض الإفساد فى الإرض، ويحضرون بعض المجالس، ويختلطون بالناس، ولا يراهم أحد على صورتهم الأصلية، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ** ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

* أما الصور الأخرى التى يتشكلون بها، فقد يظهرون عليها دون أن يعلم مَنْ يراهم أنهم من الجن .

---

(١) رواه مسلم وأقول لمقلدي الكافرين في الأكل والشرب بالشمال أن رسول الله ﷺ خير لكم من شياطين الإنس والجن إنكم ستكونون في حاجة إليه يوم القيامة .

(٢) إلا الملائكة فقد خلقوا من نور .

(٣) رواه مسلم وسيأتي بتمامه .

(٤) رواه البخارى .

* **ويتمثلون فى الأحلام فى أى شخص إلا رسول الله ﷺ**

لقوله عليه السلام: «**من رآنى فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتزيًا بى**»(١) . فالرؤيا الحق أن يأتى النبى ﷺ فى صورته الحقيقة، التى روتها لنا كتب الحديث، لكن الشيطان يأتى أحيانًا فى غير صورته ﷺ ويوهم الرائى أنه رسول الله، وقدوقع هذا لكثير من الناس، ثم تبين مما وصفوه، وسمعوه منه، أنه ليس هو الرسول ﷺ .

* **وصورتهم الأصلية لا يعلمها إلا الله .**

إلا أن صورة الشيطان على أقبح ما تكون وقد شبه الله تعالى ثمرة شجرة الزقوم التى تخرج فى أصل الجحيم برؤوس الشياطين، فقال سبحانه: ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾ [**الصافات**: ٦٥] .

* **ويسكنون الأرض**

وكفارهم وعصاتهم يأوون إلى المزابل والخرابات، ومواضع النجاسات، وينزلون الأسواق، ويكرهون الروائح الطيبة، وينفرون من المكان الذى يذكر فيه اسم الله .

* قال النبى ﷺ: «**إن هذه الحشوش محتضرة، فإذا أتى أحدكم فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث**»(٢) .

* والحشوش : أماكن قضاء الحاجة، ومواطن النفايات والقذارة .

* وأخبر النبى ﷺ : «**أن الأسواق معركة الشيطان وبها ينصب رايته** »(٣) .

وذلك لما تشهده الأسواق من اختلاط الرجال بالنساء، ولما يحدث فيها من حَلِفٍ كاذب، وغش فى البيع والشراء وغير ذلك.

* *

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) رواه مسلم .

* **ولهم قدرات خارقة فى السرعة والحركة والصعود إلى السماء والهبوط منها.**

* قال الله تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿ **قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩)** ﴾ [النمل].

* وأخبر سبحانه أن الجن قالت بعد أن بُعث رسول الله ﷺ ﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩)** ﴾ [الجن].

* **ولكن**، لهم فى ذلك حدود لا يتعدونها، فهم لا يستطيعون أن يفعلوا كل ما يريدون، وإلا وقع فى الأرض فساد كبير، فالله عز وجل حفظ العباد من كثير من شرورهم وكيدهم، وجعله كيدا ضعيفا.

.فقال تعالى: ﴿ **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)** ﴾ [النساء]

* وَلاَ يُسَخَّرُون لأحدٍ بعد سليمان عليه السلام

لقوله تعالى عن هذا النبى الكريم: ﴿ **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨)** ﴾ [ص].

فقد طلب سليمان من ربه أن يخصه بأشياء لا تتحقق لأحدٍ بعده، فأجابه الله تعالى، وسخر له الريح والشياطين. فمن ادعى بعد ذلك أن الجن يسخر لمخلوق ما فهو كاذب، أو متأول تأويلاً باطلا، يؤيد هذا ما ثبت عن النبى ﷺ، أن الله مَكَّنَهُ من الإمساك بشيطان، ثم تركه وقال: «**لولا دعوة أخى سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة**»(١).

---

(١) رواه مسلم.

* أما استخدام الجن

* فهو إذا حصل، فليس إلا طاعة من الجنى بمحض إرادته لا تسخيراً له»[1]، وهذه الطاعة، قد تكون من الجنى المؤمن الصالح للمسلم الصالح إكرامًا له، ومساعدة له على الخير، ولا تكون لكل الناس ولا على الدوام والاستمرار.

* وقد تكون من الشياطين لأوليائهم من الإنس سواء كانوا من الكافرين أو من مدعى الإسلام من الدجالين، إعانة لهم على كفرهم وفسقهم، ومشاركة لهم فى الإفساد فى الأرض.

قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا** (١٢٨) ﴾ [الأنعام].

أى: أكثروا من إغواء الإنس وإضلالهم، واستمتع أى انتفع بعضهم من بعض، فالشياطين حققت بعض أهدافها بإغواء أوليائها من الإنس، وهؤلاء انتفعوا من الشياطين بأكل أموال الناس بالباطل وغير هذا..

* وأما استخدام الجن لبعض الإنس فواقع

* وقد دلت الآية السابقة وغيرها على ذلك، فإن بعض الأفاكين يتقربون إلى الشياطين لاستخدامهم فى الشر، فيتقرب الشياطين إليهم أكثر، حتى يتمكنوا منهم، فيصبحون عبيدا لهم، ينفذون أمرهم، ويفعلون ما يريدون، وقد وقع هذا لأقوام، وأخبر الله عنهم فقال سبحانه:

﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** (٦) ﴾ [الجن]. ذلك أن بعض الناس فى الجاهلية، كانوا إذا نزلوا مكانًا موحشا، استعاذوا بسكانه من الجن أن يصيبهم شىء، فلما رأت الجن أنهم يخافونهم، زادوهم خوفا ورعبا، وتمكنوا منهم غاية التمكن، وهذا حال الدجالين مع الشياطين إلى اليوم!

---

(١) فتاوى ابن تيمية.

* **وهؤلاء من أولياء الشيطان،** لأنهم يتقربون إليه بما يحبه من الشر والشرك، كي يساعدهم على بعض أغراضهم الخبيثة، ويذكر ابن تيمية رحمه الله أن مِنْ هؤلاء مَنْ يكتب كلام الله بالنجاسة(١) ومنهم من يصلى بلا استنجاء ولا وضوء، وغير ذلك، وهنا ترضى عنهم الشياطين، وتعينهم على تحقيق بعض أغراضهم بما يشبه الكرامة، كأن يحملونهم فى الهواء، أو يسيرونهم على الماء، أو ينقلونهم بسرعة إلى أماكن بعيدة. أو يقلدون لهم أصوات بعض الناس. أو يخبرنهم ببعض ما وقع، ويدعون أنه من الغيب، فيحدثون فى الناس فتنة عظيمة وضلالاً كبيرا!

* **والحق أن الجن لا يعلم الغيب، ولا يملك النفع والضر** كما شاع بين كثير من الناس فكفروا بذلك.

* وقد أخبر الله بهذا عنهم فقال عن سليمان عليه السلام: ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)** ﴾ [سبأ].

وقال تعالى: ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا (٥١)** ﴾ [**التوبة**].

* **وإن ما ينقله الجن من أخبار ليس من علم الغيب. وإليك حقيقة ذلك:**

إن بعض الجن قبل مبعث النبى ﷺ كان يصعد إلى السماء الدنيا ليسترق السمع، من الأوامر الإلهية النازلة إلى الكون، فكان بعض الجن يلتقط أحيانا بعض ما تؤمر الملائكة بفعله من أقدار فى العباد والبلاد، فيسرع هؤلاء الجن بإفشاء بعض هذه الأخبار، فشاع بين الناس فى الجاهلية، أن الجن يعلم الغيب، ولا يزال هذا الفهم الجاهلى الذى أبطله الإسلام موجوداً عند بعض الناس! وهو ليس غيبا فى الحقيقة، لأن الله كشفه وأنزله، والملائكة الذين حملوه عَلِمُوه، والجن الذى سمعه عرفه، إنه غيب بالنسبة لمن لم يسمعه أو يعرفه، فتنبه أيها المسلم لهذه القضية المهمة.

---

(١) فتاوى ابن تيمية.

* فلما بُعث النبى ﷺ، حرمهم الله عز وجل من استراق السمع على إطلاقه من السماء، ومن حاول منهم أن يفعل ذلك، أهلكه الله قبل أن ينزل إلى الأرض. وقد اعترف الجن بذلك حين قال بعضهم لبعض ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ⑧ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ⑨ ﴾ [الجن] . أى نجمًا من نار، يرصد الجنى الذى يخطف الخطفة من أوامر الله النازلة فيحرقه قبل أن يصل إلى الأرض.

وتجد هذا المعنى فى سورة الصافات فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ⑥ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ⑦ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ⑧ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ⑨ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ⑩ ﴾ [الصافات].

* ولا يزال الشياطين يمارسون هذا الإفساد فى الأرض

* فهم يجوبون الأرض كلها، ويرون ما لا يرى الإنسان، ويسمعون ما لا يسمع، ويعرفون كثيرا من الأخبار والأسرار: ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ㉗ ﴾ [الأعراف].

* قد يعرفون بحكم طبيعتهم وبحكم مخالطتهم للناس بعض أسرارهم وأخبارهم.

* وقد يخبرون أولياءهم من شياطين الإنس ببعض ما عرفوه ، فيتحدثون به، فَيَتَوَهَّمُ الجهلة والعوام، أن هؤلاء الناس يعلمون الغيب! والأمر كما قلنا، ليس غيبا، بل هو وحى شيطان لشَيْطان، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) ﴾ [الأنعام]. وكما قال سبحانه: ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام] . وكما قال جل شأنه: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣) ﴾ [الشعراء]. أى يلقون لأوليائهم ما سمعوه

ومايضيفونه عليه من كذب.

*** وهنا تقع فتنة وفساد كبير**

* وذلك حين يذهب بعض الضالين إلى الدجالين، يسألونهم عن الشئ المسروق، أو الضائع، أو يلتمسون الطب عندهم مما نزل بهم من أمراض، أو إزالة خلافات يعتقدون أنها من الجن، فيحصل منهم الكذب باتهام الأبرياء، والتماس العلاج بغير ما شرع الله، فتقع الفتنة ويحصل الفساد، وقد تُسْفَك الدماء، وتضيع الأموال، ويتخاصم الأشقاء، وهذا ما نشاهده ونراه.

* فانظر إلى أى مدى تصل فتنة الشيطان؟

*** وما العلاج؟**

* أن نؤمن بأن الجن لايعلم كل شئ، ولايملك أى أمر، فالأمر كله لله، وأن الشيطان للإنسان عدو مبين، وأنه لو علم شيئا وقدر على أمور، فلا يستطيع أن يفعل كل مايريد، لأن الله عز وجل صرفه عن ذلك، ومايقوم به من أشياء فبمشيئة الله وإرادته لحكمه يعلمها، ولو أن الشيطان يستطيع فعل كل شئ، لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين.

* كما يجب أن نعى تماماً أن الشيطان كذاب وأفاك، ولايقول إلا الزور والباطل، وإذا أخبر بشئ ثم وقع فهو مقدمة لإضلال أكبر، وفتنة أعظم، ومافعل ذلك إلا استدراجاً للجهلة والأغرار، كى يوقعهم في حبائله، فلا يخرجون منها سالمين.

* يدل على هذا ما روته عائشة رضي الله عنها، أن أناساً سألوا النبىﷺ عن الكهان، فقال: **إنهم ليسوا بشئ، فقالوا: يارسول الله إنهم يحدثونا أحيانا بشئ، فيكون حقا،**

* **فقال ﷺ: تلك الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة**(١).

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

وقال ﷺ : **إن الملائكة تنزل فى العنان فتذكر الأمر قضى فى السماء فيسترق الشيطان السمع فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**[1]» والعنان هو السحاب .

* كذلك فإن الشياطين بحكم مخالطتهم للناس، قد يرون أو يسمعون بعض الأخبار والأسرار، فينقلونها ومعها ما يشاؤون من الكذب إلى أوليائهم، فيتوهمون أنهم يعلمون الغيب يؤيد هذا قوله تعالى :﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣)** ﴾ [الشعراء]. أى يلقون لأوليائهم ما سمعوه وما يضيفون عليه من كذب .

* فليحذر المسلمون الشياطين وأولياءهم، فإنهم كاذبون وإن ادَّعوا الصدق، مخادعون وإن زَعَمُوا النصيحة، من اقترب منهم، وتعامل معهم وصدقهم، فقد كفر بالله، كما قال النبى ﷺ «**من أتى عرافاً أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[2].

* *

* **ثم إن** أنجح العلاج ما سيأتى ذكره من وسائل يتحصن بها المسلمون من شياطين الإنس والجن.

* *

لقد أطلت عليك أيها القارئ الكريم فى هذه المسألة، التى جهلها كثير من الناس، فأردت أن أبين وجه الحق فيها، واللهم إنى قد بلغت اللهم فاشهد.

* كل إنسان له شيطان

* لم يسلم أحد من ملازمة الشيطان له منذ آدم عليه السلام، وإلى أن تقوم الساعة، سوى رسول الله محمد ﷺ .

---

(١) رواه البخارى

(٢) رواه مسلم.

« فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**خرج النبيﷺ من عندى ليلاً، فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: ياعائشة أغرت؟ قلت: ومالى لايغار مثلي على مثلك؟ فقال: أقد جاءك شيطانك؟ قلت: يا رسول الله، أو معى شيطان؟ قال نعم، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن ربي أعاننى عليه حتى أسلم**»(١).

* *

أعمال الشياطين

* ليس للشيطان من عمل سوى:

* **الإفساد فى الأرض، وإضلال الخلق، ومحاولة إيذاء الناس.**

* وقد بدأ إبليس اللعين بأب البشرية آدم وأمها حواء، أغراهما بمعصية الله، وكان سببا فى إخراجهما في الجنة.

* ثم لحكمة لايعلمها إلا الله سبحانه، أبقى على إبليس إلى يوم البعث(٢).

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴿٨١﴾﴾ [ص].

* *

* ومكنه الله سبحانه، وله الحكمة البالغة، من أن يجرى من ابن آدم مجرى الدم(٣)، فهو الوسواس الخناس، الذى يوسوس فى صدور الناس، ويتسلط عليهم بالفتنة والإغواء، وقد أقسم على ذلك، فقال: **﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾** [ص].

* ومن يومئذ انطلق هو وجنوده محاولين إفساد كل الناس وإضلالهم.

* *

(١) رواه مسلم

(٢) ستأتى الحكمة من خلق الشياطين إن شاء الله.

(٣) رواه البخارى

* وقد يعملون على إلحاق الأذى بهم فى أنفسهم وأبدانهم، كما يفهم من قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ومن قوله جل شأنه: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

* كما أنه يُعَلِّم بعض الناس السحر ليفسدوا به فى الأرض، كما فى قصة هاروت وماروت(١).

* وكل ذلك واقع لاسبيل إلى إنكاره.

* وسائل الشيطان فى إضلال الناس

* إن للشيطان وجنوده أسلحة كثيرة، ووسائل عديدة، يجتهدون فى استعمالها لتحقيق أغراضهم.

* **فأول** مايجتهد فيه تزيين الكفر بالله كفرا مطلقا، وذلك بإلقاء الشكوك فى وجود الله، وإذا كان موجودا فمن الذى أوجده؟ وهكذا.

* فإن لم يستطع تزيين الكفر لطائفة من الناس،زين لهم الشرك به سبحانه، وذلك بأن يوحى إليهم بأن بعض الخلق يملكون النفع والضر، والخير والشر... وهكذا(٢).

* فإن لم يستطع، زين لهم المعاصى، فإن لم يستطع ، زين لهم تسويف العمل الصالح، وتأخير التوبة النصوح حتى يفوت وقتها، فإن لم يستطع، زين لهم الإصرار على الصغائر.

* **كذلك**، فإنه يزين لبعض المتعبدين ، الابتداع فى الدين، زيادة فيه أو نقصاناً منه، وبالأوراد الباطلة (٣) والأذكار الفاسدة(٤) حتى يكون عملهم مردوداً عليهم.

---

(١) البقرة (١٠٢)

(٢) وكل ذلك فصلناه في توحيد الألوهية والربوبية.

(٣) كأوراد الطرق الصوفية، ودلائل الخيرات، وغيرها.

(٤) كذكر الله بالطبول والدفوف والزمور والتمايل والرقص.

* **وقد** يزين كل هذه الأمور أو بعضها لطائفة من الناس فتجتمع عليهم فتهلكهم، كما قال هذا اللعين لربه: ﴿ **فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)** ﴾ [**الأعراف**].

* وكما قال النبى ﷺ: « **إن إبليس قعد لابن آدم بطرق، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: أتسلم وتترك دينك ودين آبائك؟ فعصاه وأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال أتهاجر، وتدع أرضك وسماءك؟ فعصاه وهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: أتجاهد، وهو تلف النفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتنكح نساؤك، ويقسم مالك! فعصاه وجاهد، قال ﷺ: فمن فعل ذلك فمات، كان حقا على الله أن يدخله الجنة**»(١).

* **وهكذا** قعد هذا اللعين لبنى آدم بكل سبيل ليحول بينهم وبين ربهم، فمنهم من نجا، ومنهم من هلك، والمعصوم من عصمه الله، ﴿ **وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا** ﴾ [النور: ٢١].

* *

* **إنه ما من جريمة** وقعت أو ستقع، وما من معصية جرت أو ستجرى، إلا من ورائها الشيطان الرجيم.

* فهو من وراء كفر الكافرين، وظلم الظالمين، وجور الحاكمين، وإقصاء شريعة رب العالمين.

* هو من وراء المفاسد كبيرها وصغيرها، فما من صلاة تركت، وما من حقوق حبست، وما من دماء سفكت، وما من فاحشة وقعت، وما من امرأة تبرجت، وما من أموال أكلت، وما من خمر شربت، وما من جماعة تفرقت، وما من ظنون حصلت، وما من حرام سمى باسم الحلال(٢)، وما من حق التبس بباطل، وما من بدعة وقعت فى دين

---

(١) رواه أحمد والنسائى.

(٢) كتسمية الخمر بالمشروبات الروحية، والربا بالفائدة، والرقص بالفن، وهكذا..

الله، وما غير ذلك من القبائح والآثام، إلا من ورائها الشيطان.

*** لذلك حذر الله منه المسلمين**

وبين لهم، أنه أعدى أعدائهم، وأنه يريد بهم الشر كل الشر، وعزم عليهم أن يعادوه أشد العدواة، وأن يجاهدوه أكبر الجهاد.

* وفي هذا المقام، لم يترك الله عز وجل عذرا المعتذر ولا حجة لمحتج، فقال تعالى:

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝٦ ﴾ [فاطر].

* وأخبر سبحانه، أن الشيطان ليس له حبيب ولا صاحب، وأنه يتودد للناس في البداية، حتى يوقعهم في حبائله بالمعاصي والمآثم، فإذا وقعوا فيها، وهلكوا بها تخلى عنهم، فقال تعالى: **﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٢ ﴾** [إبراهيم].

* وقال سبحانه: **﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝١٦ ﴾** [الحشر].

* فانظر أيها المسلم إلى أى مدى يخذل الشيطان أولياءه؟

* *

كيف يتحصن الإنسان من الشيطان؟

تبين لنا أن علاقة الشيطان بالإنسان تتركز في ثلاثة أمور أساسية.

١- فهو يحاول أن يبعده عن طاعة الله ويغريه بمعصيته.

٢- وهو يحاول أن يؤذيه في نفسه وبدنه بالمس.

٣- وهو يحاول تسليط بعض الناس على بعض بالسحر والإفساد.

فكيف يُرَدُّ هذا الكيد؟

* أماً عن محاولة إغواء الشيطان للإنسان بمعصية الله.

* فإن الله عز وجل بين للناس من الوسائل ما لو سلوكها، لسهل عليهم قهر الشيطان، وطاعة الرحمن.

وأهم هذه الوسائل:

*** الإيمان الصحيح بالله(١)، وإخلاص العمل له، والتوكل عليه.**

وهى أمضى الأسلحة وأقواها، لقوله تعالى عن الشيطان: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ**﴾ [النحل].

ولقوله سبحانه عن إبليس: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ [ص].

*** العمل بأركان الإسلام وفروضه وواجباته**

لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦)**﴾ [الزخرف].

وإقامة أركان الدين أعظم الذكر، وأفضل العبادة.

*** وأن لا تختلط العبادة ببدعة فى القول أو الفعل.**

«بل تكون موافقة لما جاء به النبى ﷺ عملاً وقولاً ونية، لما ثبت من أن النبى ﷺ خط خطا بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما، وخط عند يمينه وشماله، ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»(٢).

---

(١) بالمعنى الذى سبق فى الكلام عن التوحيد.

(٢) رواه أحمد والحاكم والنسائى.

* ولاشك أن الصراط المستقيم هو صراط السلف الصالح، وأن السبل الأخرى، هى سبل الفرق الخارجة عن أهل السنة والجماعة، والطرق القائمة على البدع والخرافات.

*** التوبة والاستغفار عند المعصية**

لقوله جل شأنه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾ [**الأعراف**: ٢٠١].

*** المداومة على قراءة القرآن الكريم أو ما تيسير منه.**

أو الاستماع إليه ولو بواسطة (مسجل) تُحَصِّنُ الإنسان من مكائد الشيطان، خاصة سورة البقرة لقوله ﷺ: «**لاتجعلوا بيوتكم قبورا فإن البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان**»(١).

*** الاستعاذة بالله سبحانه عند نزغ الشيطان**

لقوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** (٣٦)﴾ [**فصلت**].

ونزغ الشيطان وسوسته للإنسان، بأن يغضب الله بقول أو فعل.

*** لزوم الجماعة الصالحة**

لقوله ﷺ: «**من أراد منكم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد**»(٢).

فالجماعة الصالحة التى تعين على طاعة الله عز وجل، وعلى فعل الخير، والإلتزام بالكتاب والسنة قولاً وعملاً، ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وهذه هى الجماعة التى يجب على المسلم أن يتلزمها حتى لايهلك، ففى الحديث الشريف: « **ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو، لا تقام فيهم الصلاة، إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة، فإنما**

---

(١) رواه أحمد والحاكم والثانى

(٢) رواه مسلم

يأكل الذئب من الغنم القاصية» [1].

«أين هذه الجماعة الآن ؟»

* في الساحة الإسلامية الآن جماعات كثيرة، كلها تزعم أنها على الحق، ونحن نرشح للمسلم جماعة من الجماعات التى تعمل في النور، وتلتزم بالإسلام عقيدة صحيحة فى الله، وعبادة سليمة له سبحانه، وتحكيما لشرعه في كل مجالات الحياة، وجهادا فى سبيله حتى يلقاه.

* ونحذر من غيرها خاصة جماعات الخرافات والبدع، والجماعات التى تعمل فى الظلام، وتكفر المسلمين، وتحمل السلاح على الآمنين.

* ونحذر من مخالطة أهل الكبائر، المصرين عليها، ومن المستهزئين بالتكاليف الشرعية فإن الشيطان لايفارقهم.

وقد حذر الله منهم فقال: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [**الأنعام**: ٦٨].

* بهذا يقهر المسلم الشيطان ويذله

لا جرم أنَّ المسلم إذا أخذ بكل ماسبق ، وبالأدعية المأثورة، غلب بإذن الله الشيطان وقهره.

وله فى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسوة وقدوة فقد كان **الشيطان يفر منه**.

فعن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه، قال «**استأذن عمر رضى الله عنه على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش . يكلمنه ويستكثرنه ، عالية أصواتهن ، فلما استأذن**

---

(١) رواه الترمذى

عمر، قُمّنَ يَبْتَدِرْن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ ورسول الله يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، قال: عجبت من هؤلاء اللائى كن عندى، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يَهَبْن، ثم قال: أَىْ عدوات أنفسهن، أَتَهَبْنَنِى ولاتَهَبْنَ رسول الله ﷺ؟ قلن: نعم، أَنْتَ أَفظُّ وأغلظ من رسول الله، فقال ﷺ لعمر: والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان قط سالكا فجاً، إلا سلك فجا غير فجك»(١).

* ومعنى يبتدرن الحجاب: يتسارعن إلى أخذه، والفج: الطريق.

والمستعان الله

*فبدون عونه وتوفيقه، وبغير اللجوء إليه والاستغاثة به، فلا عاصم ولا مانع، ولاراد ولادافع.

* إذا فيجب علينا، ونحن نأخذ بالأسباب المشروعة فى دفع الشرور والآثام، وفى مقدمتها الشيطان، أن تمتلئ قلوبنا بالله وحده، وأن نعلم- مع الأخذ بالأسباب- أنه سبحانه وتعالى بيده الأمر وحده، وأنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن، فلابد من الإلحاح عليه، والاستعانة به، فإنه يحب الملحين فى الدعاء.

* واقرأ هذه القصة وتدبر مغزاها

* قال أحد العلماء لتلميذه: «ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال أجاهده، قال: هذا يطول، قال: فماذا أفعل؟ قال: أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور، ماذا تصنع؟ قال: أكابده جهدى. وأرده، قال: هذا أمر يطول، قال: فماذا أفعل؟ قال: استعن بصاحب الغنم يكفه عنك»(٢).

يريد هذا الفقيه العظيم أن يوجه تلميذه إلى أن الاستعانة بالله، واللجوء إليه،

---

(١) رواه أبو داود والنسائى

(٢) تلبيس إبليس.

والاستغاثة به، هى أمضى الأسلحة التى يقاوم بها الشيطان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* **وأما عن**: محاولة الشيطان إيذاء الإنسان بالمس والسحر، فنتساءل أولاً:

« هل حقا يؤذى الشيطان الإنسان ؟»

ونقول: إن معظم المخلوقات كثيرا ما يؤذى بعضها بعضا، فالوحوش تؤذى بعضها، وتؤذى غيرها، وغيرها يفعل بها ذلك، وكذلك الأمر بالنسبة للحشرات والحيوانات وسائر المخلوقات.

* والإنسان قد يلحق الضرر بسائر المخلوقات، ويقتلها أحيانا، وهى تفعل ذلك بالإنسان.

* والشيطان مخلوق من المخلوقات، بل هو مخلوق مسلط على الإنسان وعدو له.

وكما يحاول أن يضره بالوسوسة، فهو يحاول أن يلحق به الأذى، وقد يتمكن من ذلك أولا يتمكن.

* لكن الشيطان لايستطيع أن يمس إنسانا، أو يمرض مخلوقا، أو يقتل كائنا، إلا أن يشاء الله.

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا (٥١) ﴾ [التوبة].

﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ (١٠٢) ﴾ [البقرة].

* وأيضا فالإنسان المؤمن يؤذى الشيطان ويقهره، وقد يقتله، بآيات الله وبالدعاء، دون أن يعرف ذلك.

* وهكذا يظل الإنسان والشيطان فى صراع إلى يوم القيامة..

* *

فكيف يتقى الإنسان أذى الشيطان قبل أن يقع به[1] ؟

* يتقيه بما شرع الله من الأسباب، ومنه ما سبق ذكره وبما ثبت عن النبىﷺ من أدعية مأثورة مطلقة ومقيدة[2]، ومن آيات مخصوصة من كتاب الله عز وجل، إذا قالها المسلم موقنا بأنها نافعة، وأنها حق لا ريب فيه، منعت كيد الشيطان بإذن الله.

فمن الأدعية المطلقة:

* « **لا إله إلا وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير** »، من قالها في اليوم مائة مرة كانت له حرزا من الشيطان حتى يمسى[3].

* **ومنها**، الاستعاذة بالله من الشياطين، كما قال تعالى: ﴿ **وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (٩٨)** ﴾ [المؤمنون]. وهمزات الشيطان، خطراته التى يحدثها، بقلب الإنسان لتخويفه.

* *

* **ومنها**، قراءة سورتى الفلق والناس، لقوله ﷺ لأحد أصحابه: «**ألا أدلك بأفضل مما تعوذ به المتعوذون؟ قال : بلى، قال: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس**[4]. **ومعنى أعوذ بالله: استجير بجنابه من الشيطان أن يضرنى في دينى ودنياى**».

* **ومنها**، قوله عليه الصلاة والسلام: « **أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه**»[5].

وهمزه: وسوسته، ونفخه: كبره، ونفثه: سحره.

* *

---

(١) الأذى البدنى من مس وسحر وغيره

(٢) الأدعية المطلقة تقال فى كل وقت وعلى كل حال والمقيدة في مناسبات وأحوال خاصة.

(٣) رواه البخارى. (٤) رواه النسائى

(٥) رواه أصحاب السنن.

* **ومنها**، تعويذ الأولاد والأهل والمسلمين فقد كان النبى ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول: «**أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**»(١).

والهامة : واحد الهوام وهى ذاوات السموم كالحية والعقرب وغيرها، واللامة: الملمة وهى المصيبة أى : من كل عين تحدث الأذى والضرر.

وهناك أدعية مقيدة بأحوال خاصة وأوقات معينة

* **منها**، عند دخول البيت والنزول منزلا، لقوله ﷺ: «**من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات، من شر ما خلق» لم يضره شئ حتى يرتحل من منزله ذلك**»(٢).

* **ومنها**، قراءة آية الكرسى، والآيتين من آخر سورة البقرة عند النوم (٣).

لقوله ﷺ: «**من قرأ آية الكرسى إذا أوى إلى فراشه فلا يقربه شيطان حتى يصبح**» (٤).

وقوله ﷺ: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقر فى ليلته كفتاه**(٥).

* *

* **ومنها**، الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند الغضب لقوله ﷺ وقد استب عنده رجلان أحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه: «**إنى لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»(٦).

* *

* **ومنها**، إذا أتى الإنسان أهله، لقوله ﷺ : «**أما إن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فرزقا ولدا، لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه**»(٧) أى عند الولادة.

* *

---

(١) رواه البخارى.

(٢) صحيح الكلم الطيب.

(٣) مع الاضطجاع على الشق الأيمن.

(٤) رواه البخارى.

(٥) رواه البخارى.

(٦) رواه البخارى ومسلم.

(٧) رواه البخارى ومسلم.

* **ومنها**: عند قضاء الحاجة من بول أو براز،

لما ثبت أن ﷺ، كان إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»(١).

والشياطين من الخبث والخبائث.

* *

* كذلك أوصي النبي ﷺ، بكف الأطفال عندما يدخل الليل، وإغلاق الأبواب، وتغطية أواني الطعام والشراب، وذكر الله عند الأكل والشرب، وعند الأحلام المزعجة، وَبَيَّنَ أن ذلك يُبْعِد أذى الشيطان (٢)».

* **والقرآن الكريم قراءة واستماعا كله نافع بحمد الله.**

* *

* **هذا كله في التحصن من أذى الشيطان**

* **فماذا لو مرض إنسان وظن أنه من الشيطان؟**

* **كيف يعالج؟**

يعالج بما يعالج به أى مريض.

* **بما ثبت من الوسائل المشروعة وأهمها**:

* **اللجوء إلى الله تعالى** بالصلاة، والصدقة وسائر العبادات والدعاء، وأن يدعو لنفسه، ويطلب الدعاء ممن يظن فيهم الصلاح والتقوى، وهذا مطلوب فى كل ما يصيب الإنسان من مكروه.

* **ولابد من التداوى بواسطة الأطباء المختصين**، تحقيقا لقول النبى ﷺ « تَدَاوَوْا فإن الذى

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) وثبت ذلك كله بأحاديث صحيحة رواها البخارى ومسلم وغيرهما.

خلق الداء خلق الدواء، علمه من علمه وجهله من جهله[1].

* **ولايجوز التفريط** فى أى من هذين الأمرين، فإذا شفى المريض، فبفضل الله ورحمته، وإن لم يشف، فلا ييأس وليحاول مرة بعد أخرى، وليعلم أن هذه حكمة الله فيه ومشيئته به، وليتسلح في كل الأحوال بالصبر على ماقضى الله وقدر، وهو خير على كل حال.

قال النبى ﷺ : «**عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له**»[2].

* *

* وإليك بعض الأدعية المأثورة :

* كان النبيﷺ يعود بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول :

«**اللهم رب الناس، أذهب الباس، واشفه وأنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما**»[3].

وعود المريض : زيارته، والباس : البأس، وهو المشقة والشدة.

* وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : « **عادنى رسول اللهﷺ فقال : اللهم اشف سعدا، اللهم اشف سعدا، اللهم اشف سعدا**»[4].

* وعن عثمان بن أبى العاص رضي الله عنه، «**أنه شكا إلى رسول اللهﷺ وجعا يجده في جسده فقال له ﷺ : ضع يدك على الذى يألم من جسدك، وقل : بسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»[5].

* وكان ﷺ «**يدعو عند المريض فيقول سبع مرات : أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يشفيك**»[6].

---

(١) رواه البخارى، وسواء كان المرض نفسيا أم عضويا أم غير ذلك.

(٢) رواه مسلم. (٣) رواه البخارى ومسلم. (٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخارى. (٦) رواه الترمذى.

* وكان يقول أحيانا إذا دخل على من يعوده : **لا بأس طهور إن شاء الله**[1] (وطهور أى معافى).

* **وجاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال : يامحمد اشتكيت ؟ قال نعم، قال : بسم الله أرقيك، من كل شئ يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك بسم الله أرقيك»**[2].

* وثبت أن النبى ﷺ كان ينفث على نَفْسِه فى مرضه الذى قبض فيه بالمعوذات، فلما ثقل عليه المرض كانت عائشة رضى الله عنها تنفث فى يديها وتمسح بهما عليه» وكان ﷺ ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه[3].

والنفث : نفخ لطيف بلا ريق، فهو ينفخ فى يديه بلطف يمسح بهما موضع المرض والوجه مع الدعاء.

* **هذا فضلا عن قراءة آيات من القرآن الكريم** كالفاتحة وآية الكرسى وخواتيم سورة البقرة والمعوذات الثلاث. قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس، وغيرها، والشافى هو الله.

* المعالجون لأمراض الشيطان

* قد يمرض إنسان فيذهب إلى الأطباء ويتعاطى الأدوية ولا يشفى ، فيظن أو يقال له إن الذى به من الشيطان، فيلجأ للمشتغلين بهذا النوع من العلاج.

وهم فريقان :

* فريق يعالج بالدجل والشعوذة وكتابة الأحجبة، وغيرها من الغرائب والعجائب، وهؤلاء هم شياطين الإنس من الدجالين، الذين أشركوا بالله، فتنزلت عليهم الشياطين، لإضلال الناس، وإفسادهم.

---

(١) رواه البخارى.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخارى.

* ويُخْشى على من يذهب إليهم ويتعاطى علاجهم من الكفر بالله، لقوله ﷺ : «**من أتى عرافاً أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»(١)

وقد تكلمنا في هذا أكثر من مرة.

* وهؤلاء ليس عندهم شفاء ولا دواء، بل عندهم أمراض القلوب والأبدان.

* وفريق يعالج بالقرآن والأدعية.

* وقد كثر عددهم فى هذه الأيام، وفى بعضهم سمات الخير، وربما شفي الله على أيديهم بعض المرضى، وربما استطاع بعضهم أن يتعامل مع الجن، لكنه تعامل تخشى منه الفتنة على قلوب هؤلاء، فإن الشيطان كذوب، وخائن ومخادع، وقد فتن بعضهم بالفعل، وأصبحوا من الدجالين!.

* ثم إننا إذا رددنا هذا الأمر إلى الشرع، فلن نجد له فيه أصلا، فما تخصص أحد من الصحابة أو التابعين أو غيرهم من صالحى هذه الأمة ، فى التعامل مع الجان والشيطان، ولو كان مشروعاً لفعلوه، إنهم جميعا كانوا يواسون المرضى بالدعاء الصالح، وبما ورد عن رسول ﷺ ، وإذا وقع لبعضهم مواقف مع الجن، فهى بمحض الصدفة، لا عن قصد وعمد واتفاق.

* فالعمل بما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه هو الواجب فى هذا المقام.

* أما أن يقال: إن فلانا بعينه يعالج مس الشيطان، ويخرج الجان، فهو أمر ليس له في دين الله سند.

* وكم من مريض عالجه بعض هؤلاء فازداد مرضاً على مرض، وكم من إنسان أسلم نفسه إليهم فقتلوه.

* وقد أحاط بعضهم نفسه بدعاية واسعة، وألفوا كتبا، وأصدروا نشرات، سحروا بها أعين كثير من الناس.

---

(١) رواه الحاكم.

واقرأ هذه القصة

* كان لي صديق من الدعاة المعروفين، أصيب بمرض الكبد.

*ذهبت أعوده، فرأيت من سوء حاله ما أحزنني، دعوت الله له، وسافرت في مهمة.

* حضرت من سفرى بعد قرابة شهر، وشاء الله أن ألتقى بأشهر المعالجين بالقرآن في مصر، فقال: أما رأيت فلانا؟ قلت: رأيته منذ شهر وأحزننى حاله، قال: أبشر، لقد شفاه الله على يدى، قلت: كيف؟ قال: رتبت له منذ أيام جلسات، ووجدت أن شيطاناً قد سكن كبده، وأخرجته منه بفضل الله ورحمته، وهو الآن سليم معافى يخطب ويحاضر والحمد لله.

* فرحت لذلك أشد الفرح، واتصلت به لأهنئه فوجدته قد انتقل إلى رحمة الله ورضوانه»!.

* نعم: إنه باب عظيم من أبواب الفتنة، فينبغى على هؤلاء أن يراجعوا أنفسهم، وينبغى على الناس أن يحتاطوا منهم، وأن لايحسنوا الظن كثيرا فيهم، وخير الهدى هدى محمد ﷺ» وقد عَلَّمَنَا أن نتداوى بواسطة الأطباء، وأن نستعين على ذلك بالدعاء.

* ومع هذا

فإن بعض العلماء يرى أنه لابأس من الاسترشاد فى حالات مَرَضَيَّة خاصة، كمن يصرع أو يظن أن به سحرا، بأهل الخبرة، وممن يُظَن فيهم الصلاح والتقوى، والوقوف عند حدود الله وممن لايتكسبون بهذا العمل، فربما كان لهذه الخبرة نصيب فى توفيق الله لهم، وإجراء الخير على أيديهم، والله أعلم.

لماذا خلق الله الشياطين؟

* قبل كل شئ، نقول: إن لله عز وجل الحكمة البالغة فى خلق ما يخلق، وفى تدبير مايدبر، لا يسأل عما يفعل، فهو الفعال لما يريد، ونحن نسلم بذلك تسليماً، ونؤمن

بأنه سبحانه جعل الخير كل الخير، فيما خلق وفيما برأ، سواء ظهرت الحكمة لنا، أم خفيت علينا.

* لكن هذا لايمنع أن يجتهد المسلم فى الحكمة من خلق الأشياء، وفى الحكمة من أوامر الله تعالى ونواهيه، إذا لم يكشفها الله لنا.

* وعليه، فقد اجتهد كثير من العلماء قديما وحديثا في الحكمة من خلق الشياطين، وتسلطهم على الإنسان.

* وممن وفقهم الله إلى حد بعيد في هذا الأمر، الإمام ابن القيم رحمه الله(١) وابن أبى العز الدمشقى (٢)، ونشير باختصار وتصرف، إلى بعض ماذكراه في هذا المقام.

الحكمة من خلق الشياطين

* لقد خلق الله إبليس الذى هو مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد، وعملهم بما يغضب الرب تبارك وتعالى، وهو الساعى فى وقوع خلاف ما يحبه لله ويرضاه، ومع هذا فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالي ترتبت على خلق إبليس، ووجودها أحب إليه من عدمها.

منها:

*** أن يكمل الله لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية**

بمجاهدة عدو الله وحزبه، ،ومخالفته ومراغمته فى الله، وإغاظته وإغاظة أوليائه، والاستعاذة به منه، واللجوء إليه أن يعيذهم من شره وكيده، فلولا وجود الشيطان لما حصلت هذه المجاهدة، التى تعود بالخير على المؤمنين الصالحين.

ومنها:

*** خوف الملائكة والمؤمنين من ذنوبهم.**

بعد ماشاهدوا من سقوط إبليس من المرتبة الملكية، إلى المنزلة الشيطانية، بسبب

---

(١) فى كتابه شفاء العليل.

(٢) فى كتابه شرح العقيدة الطحاوية.

مخالفته لربه، واجترائه عليه.

ومنها :

* **أن جعله الله عبرة لمن خالف أمره،** وتكبر على طاعته، وأصر على معصيته.

ومنها :

* **أن الله قد امتحن به خلقه،** ليتبين خبيثهم من طيبهم، قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾ [آل عمران: ١٧٩].

فإن الله عز وجل قد أرسل رسله إلى المكلفين، وفيهم الخبيث والطيب، فانضاف الطيب إلى الطيب، والخبيث إلى الخبيث، واقتضت حكمته أن خلطهم فى دار الامتحان، فإذا صاروا إلى دار القرار يميز بينهم، وجعل لهؤلاء دارا، ولهؤلاء دارا، بحكمته البالغة، وقدرته الباهرة.

ومنها

* **إظهار كمال قدرته** فى خلق المتضادات المتقابلات

كما فى خلق مثل جبريل والملائكة، وإبليس والشياطين، وذلك من أعظم آيات قدرته ومشيئته وسلطانه، فإن خالق الأضداد، كالسماء والأرض، والضياء والظلام، والماء والنار والحر والبرد، والطيب والخبيث، والضد إنما يَظْهَرُ حُسْنُه بضدِّه، فلولا القبيح لم تعرف فضيلة الجميل، ولولا الفقر لم يعرف قدر الغنى.

ومنها :

* **حصول فضيلة الشكر.**

فالله عز وجل يحب أن يشكر بحقيقة الشكر وأنواعه، ولاريب أن أولياءه نالوا بوجود عدو الله إبليس وجنوده وامتحانهم به من أنواع شكره مالم يكن يحصل لهم بدونه، وشتان بين شكر آدم وهو فى الجنة قبل أن يخرج منها، وبين شكره بعد أن ابتلى بعدوه «ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى».

ومنها:

*** قيام سوق العبودية**

فإن المحبة، والإنابة، والتوكل، والصبر، والرضا، ونحوها أحب العبودية إلى الله تعالى، وهذه العبودية، إنما تتحقق بالجهاد، وبذل النفس لله، وتقديم محبته على كل ما سواه، فالجهاد ذروة سنام العبودية، وأحبها إلى الرب سبحانه، فكان في خلق إبليس وحزبه، قيام سوق هذه العبودية وتوابعها التى لا يُحْصِى فوائدها، وما فيها من المصالح، إلا الله.

ومنها:

*** ظهور واسع حلمه، وبالغ صبره، وسعة رحمته، ومدى جوده.**

وقد اقتضى ذلك وجود من يشرك به، ويضاده فى حكمه، ويجتهد فى مخالفته، ويسعى فى مساخطه، ويعطل تطبيق شريعته، والله -مع ذلك- يسوق إليه نعم الدنيا بأشكالها، ويعافيه ويمكنه، ويكشف عنه السوء، ويعامله من بره وإحسانه بضد ما يعامله هو به من كفر وشرك وإساءة، فكم لله فى ذلك من حكمة وحمد، وفي الحديث الشريف، «**لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله، يجعلون له الولد ويرزقهم**»(١).

ومنها:

*** ظهور أحكام أسمائه وصفاته وآثارها**

فالله سبحانه لكمال محبته لأسمائه وصفاته، اقتضت حكمته أن يخلق خلقا يظهر فيهم أحكامها وآثارها، فلأنه يحب العفو خلق من يعفو عنه، ولأنه يحب المغفرة خلق من يغفر له، ولأنه يحب الجود والإحسان والبر، خلق من يعامله بالإساءة والعصيان. وهو سبحانه يعامله بالمغفرة والإحسان، فلولا المعاصى والمخالفات لفاتت هذه الحكم والمصالح.

---

(١) رواه البخارى.

* وكما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء أنه يجود ويعطي ويمنح، فمنها أن يعيذ وينصر ويغيث، فكما يحب أن يلوذ به اللائذون ، يجب أن يعوذ به العائذون، فإذا أعاذ من يشاء، ظهرت نعمته على عبده، وأراه نصره على عدوه، وأكمل عليه نعمته وهذا مما يحب سبحانه وتعالى.

* *

* لهذا وغيره كان خلق إبليس وجنوده وكان بقاؤهم إلى يوم القيامة.

حتى يحصل الغرض، ويتحقق المقصود، من تمييز الطيب من الخبيث، والولي من العدو، ولو أماته الله لتعطلت هذه الحكم.

* فكما اقتضت حكمته سبحانه، امتحان أبي الشر، اقتضت امتحان أولاده من بعده، فتحصل السعادة لمن خالف الشيطان، والشقاوة لمن وافقه.

﴿ ولا يظلم ربك أحدا ﴾ ﴿ إن الله لايظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* *

(٣) الإيمان بالكتب

* لماذا أنزل الله الكتب؟

* خلق الله الخلق ليعبدوه ويوحدوه ولا يشركوا به شيئًا.

* وجعل للناس على مر العصور شرعة يهتدون بها، ومنهاجًا يسيرون عليه.

* فكان لابد أن يُعَلِّم عباده كيف يعبدونه، وكيف يسيرون على النهج الذى رسمه لهم.

* لهذا أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣) ﴾ [البقرة].

* قال ابن عباس رضى الله عنهما «كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين»(١)، ولما وقع بينهم الخلاف عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحًا عليه السلام، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»(٢).

* *

* عقيدة المسلم فى كتب الله

* فرض الله عز وجل على المسلمين أن يؤمنوا بما أنزل الله من كتب، وجعل ذلك ركنا من أركان الإيمان، من أنكره أوشك فيه كان من الكافرين، قال تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ

(١، ٢) تفسير ابن كثير.

وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) ﴾ [البقرة].

* ويتحقق الإيمان بها، بأن يعتقد المسلم، أن الله عز وجل، ما أرسل رسولاً إلا وأنزل معه كتابًا.

* وأن يؤمن كذلك بالكتب التى ذكرها الله عز وجل فى كتابه وهى:

* **التوراة**، التى أنزلت على موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [الأنعام: ٩١].

* **والإنجيل**، الذى أنزل على عيسى عليه السلام، كما قال جل شأنه: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) ﴾ [المائدة].

* والزبور، الذى أنزل على داود عليه السلام، كما قال تعالى ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (٥٥) ﴾ [الإسراء].

* وصحف إبراهيم وموسى، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩) ﴾ [الأعلى].

* ولم يبق من هذه الكتب شئ صحيح

* لأنها حرفت وبدلت وغيرت ونسيت حتى ذهبت كل حقائقها، كما قال تعالى عن اليهود: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) ﴾ [البقرة]. وقال عنهم أيضًا: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: ٤٦].

* وقال عن النصارى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [المائدة: ١٤].

* وقال عن الفريقين: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [المائدة: ١٥].

* كيف يتحقق الإيمان بها؟

* يجب على المسلم كما قلنا، أن يؤمن بأن الله أنزل هذه الكتب على هؤلاء الرسل، وأن يؤمن بأن منها ما حرف وبدل كالتوراة والإنجيل، ومنها ما ضاع واندرس، وهى الكتب الباقية.

* لكن يجب عليه أن يؤمن بمضمونها التى وردت به الأدلة الصحيحة، ومضمونها هو الدعوة إلى دين الله عز وجل، وتحقيق العبودية لله، والحث على مكارم الأخلاق فى الأقوال والأفعال والنيات، وإن اختلفت فى أسلوبها ومنهاجها، فمنها ما كانت أحكامًا كالتوارة، ومنها ماكانت أمثالاً كصحف إبراهيم، ومنها ما كانت عبراً كصحف موسى[١]، لكن مضمونها كما قلنا، توجيه الناس إلى عبادة الله سبحانه، والعمل بشرعه الذى جاء به هؤلاء الأنبياء، وهو الإسلام فى أصله عقيدة وعملاً[٢].

* *

القرآن الكريم

* هو الكتاب الذى أنزله الله تعالى على خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ، وجمع الأصول التى جاءت فى الكتب السابقة، وتضمن ما يحتاجه الناس، لدينهم ودنياهم من أصول العقيدة وفروعها، ومعالم الحلال والحرام، وما يجب فعله، وما يجب تركه، وحوى أحسن القصص، وأروع الأمثال، وأصدق العبر، وأبلغ العظات.

* **ولا جرم**، فهو الكتاب الذى لا كتاب بعده، وهو الحق الذى لا ريب فيه، وهو الذى ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) ﴾ [فصلت].

* *

---

(١) روى ذلك ابن حبان والحاكم عن النبى ﷺ. (٢) راجع ما ذكر عن الإسلام فى هذا الكتاب.

* القرآن نسخ الكتب السابقة، فقد نسخ الله به التوراة والإنجيل وكل الكتب السابقة، وجعله مهيمنا عليها إلى يوم الدين.

* قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

* ومعنى أن القرآن جاء مصدقًا لما فى الكتب السابقة، أى جاء مؤيدا للحق الذى ورد فيها قبل تحريفها، ثم كشف الله تحريفهم لآياته بهذا الكتاب الكريم، فبطل ما كانوا يفترون.

* وتكفل الله عز وجل بحفظه من الضياع ومن التحريف والتغيير والتبديل إلى يوم القيامة، فقال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑨ ﴾ [الحجر].

(القرآن دستور الأمة والحكم به عبادة)

* وجعله الله عز وجل دستوراً للفرد والجماعة والأمة، فمن لم يحكُمْ به نفسه وأهله وجماعته وأمته، كان من الخاسرين، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٩] وقال: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ⑤⓪ ﴾ [المائدة].

* وقال جل شأنه: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) ﴾ [الأنعام].

(وتلاوته والاستماع إليه عبادة)

* أما التلاوة، فلقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) ﴾ [فاطر].

* ولقوله ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القياة شفيعًا لأصحابه»(١).

(١) رواه مسلم.

* وأما الاستماع، فلقوله جل شانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)﴾ [الأعراف].

* وطلب النبى ﷺ من أحد أصحابه أن يتلو عليه القرآن، وقال: «**إنى أحب أن أسمعه من غيرى**»[١].

«وتَعَلُّمه وتعليمه للناس من أعظم القربات»

* لقوله ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[٢] ويجوز أخذ الأجرة على تعليمه. لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله تعالى**»[٣] أى على تعليمه؟

* والقرآن كلام الله القديم ليس بحادث ولا مخلوق

* ومن قال إنه مخلوق فقد أخطأ وضل لأنه فرع عن صفة الكلام، وهى صفة ذاتية لله ملازمة له سبحانه.

* **وليس القرآن كل كلام الله**، بل هو من كلامه الذى لا ينفد، ولا ينتهى، ولا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى.

* قال جل شانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩)﴾ [الكهف] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧)﴾ [لقمان].

* *

---

(١) رواه البخارى.
(٢) رواه البخارى.
(٣) رواه مسلم.

* حكم قراءته على الأموات

* ذهب جمهور الفقهاء إلى أن قراءة القرآن يصل ثوابها للميت إن شاء الله.

* لكنهم يشترطون أن لا يأخذ القارئ على قراءته أجرًا، فإن أخذ، حَرُم عليه وعلى المعطى، ولا ثواب له على قراءته، لأن هذا الأمر لم يكن من هدى النبى ﷺ ولا أصحابه ولا التابعين، ولو كان جائزًا لفعلوه، ولقوله ﷺ: «**اقرأوا القرآن، واعملوا به، ولا تجفوا عنه، ولا تغلو فيه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا**»(١).

* وذهب الشافعى رحمه الله إلى أنه لا يصل، لقوله تعالى ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ**(٣٩)﴾ [النجم].

* قال النووى: وهذا هو المشهور من المذهب.

* لكن بعض الشافعية وغيرهم من أهل العلم يرون وصول ثواب قراءة القرآن للميت، إذا كان القارئ من أهله، خاصة أولاده، لقوله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(٢). والولد الصالح من سعى أبيه.

* **أما قراءته عند القبور**، فقد ذهب جمهور الفقهاء والأئمة الأربعة إلى أنها لا تجوز لأنه محدث، ولم ترد به السنة والقراءة تشبه الصلاة والصلاة عند القبور منهى عنها فكذلك القراءة(٣).

* *

---

(١) رواه أحمد والطبرانى والبيهقى راجع فقه السنة.

(٢) رواه مسلم.

(٣) الطحاوية.

﴿ القرآن والعمل ﴾

* لو نظرنا فى الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة التى تتحدث عن القرآن، لوجدنا أن كل حرفٍ منه، وكل كلمة فيه، خير فى قراءتها، وخير فى تدبرها، وخير على كل حال.

* لكن هذا الخير لا يتم إلا بالعمل بالقرآن، وذلك بأن يحل المسلم حلاله، ويحرم حرامه، ويقف عند حدوده ويطبقه على نفسه وأهله ومجتمعه، فمن لم يفعل ذلك كان فى ناحية، والقرآن فى ناحية، ومن كان هذا شأنه فقد خاب وخسر، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) ﴾ [طه].

* والذكر هو القرآن، وسواء كان المُعرِض عنه كافراً لا يؤمن به، أو مُسْلِمًا لا يحكم به، هذا وذاك يشمُله الوعيد الشديد. كيف لا، والقرآن قانون الله فى الأرض ودستوره فى الخلق،

* **أما آن لأمة الإسلام** وهى تعرف هذه الحقيقة، أن تُخَلِّصَ نفسها مما هى فيه من فرقة وذلة وضياع، بهذا الكتاب الذى يهدى للتى هى أقوم، والذى أنزله الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

* نسأل الله ذلك لأمتنا، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

* *

(٤) الإيمان بالرسل

* هو الركن الثالث من أركان الإيمان من أنكره أو شك فيه، كان كافراً، وكذلك من آمن ببعض الرسل وكفر ببعض، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١)﴾ [النساء].

* وقد أرسلهم الله عز وجل وأنزل عليهم كتبًا، وكلفهم بدعوة الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده، وإلى مكارم الأخلاق، وإقامة الدين، حتى لا تكون للناس على الله حجة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾ [الأنبياء] وقال سبحانه: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)﴾ [النساء].

* *

* **ويتحقق الإيمان بالرسل** بأن يؤمن المكلف بهم إجمالاً وذلك بأن يعتقد، أن الله أرسل للناس على مر العصور رسلاً مبشرين ومنذرين، وأن يؤمن تفصيلاً بمن ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وعددهم خمسة وعشرون رسولاً وهم: آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط وشعيب ويعقوب ويوسف وأيوب وذو الكفل ويونس وداود وسليمان وإلياس وزكريا ويحيى واليسع وموسى وهارون وعيسى ومحمد ﷺ، **وهو خاتمهم جميعًا**.

* فهؤلاء ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ

وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) ﴾ [الأنعام].

* كما ورد ذكر آدم وإدريس وهود وشعيب وذي الكفل وصالح ومحمد ﷺ أجمعين في آيات كثيرة من القرآن الكريم(1).

وقد نظمهم أحد الشعراء بقوله:

في تلك حجتنا منهم ثمانيـة   من بعد عشر ويبقى سبعةٌ وَهُمُوا

إدريس هود شعيب صالح وكذا   ذو الكفل آدم بالمختار قد ختمـوا

* هؤلاء هم الذين قصهم الله علينا، أمَّا الذين لم يُقصصهم علينا فعددهم كثير لا يعلمه إلا الله، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (78) ﴾ [غافر].

* ولم يرد في السنة ما يدل على عددهم، وما نسب إلى رسول الله ﷺ بهذا الشأن فهو غير صحيح، ولم يكلفنا الله بالبحث في ذلك، فلنكف عنه.

* *

* والرسل كلهم رجال قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (7) ﴾ [الأنبياء: 7] فلم يرسل الله امرأة نبيا ولا رسولاً.

(1) في البقرة (34)، والأعراف (65)، والأنبياء (85)، وهود (50 / 61) ومحمد (2).

* الرسل والأنبياء

* إذا كان من المفروض على المكلَّف أن يؤمن برسل الله، فمن المفروض عليه بنفس القدر أن يؤمن بأنبيائه وقد علمنا أن الرسل هم الذين أنزل الله عليهم كتبًا، وكلفهم بدعوة الناس إلى عبادة الله، وفعل الخيرات وترك المنكرات.

* **أما الأنبياء** فهم الذين أنبأهم الله تعالى بوجوده وكلفهم بعبادته، وأمرهم أن يدعوا قومهم إلى ذلك، لكنه لم ينزل عليهم كتبًا، ولم يجعل لهم رسالة مستقلة، بل جعل كتبهم ورسالتهم، فيما أنزله على بعض رسله، سواء كان هؤلاء الرسل فى زمانهم، أو فى زمان سابق عليهم.

* وهذا هو الفرق بين الرَّسول والنبى، ويُعلم منه أن كل رسول نبى، وليس كل نبى رسول.

* **وما يقال**، من أن النبى، هو من أخبره الله بوجوده، وكلفه بعبادته دون أن يبلغ الناس، فغير صحيح، ولم يدل عليه دليل، فإن عامة الناس مُكَلَّفُون بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والدعوة إلى الله، فكيف بأنبياء الله عز وجل؟

* الرسل والأنبياء خير خلق الله.

فالله عز وجل اصطفاهم من خلقه، وفضلهم على العالمين قال تعالى فى حقهم: ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥)** ﴾ [الحج].

* ومنهم أولو العزم

قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥)** ﴾ [**الأحقاف**] وهم الذين صبروا وصابروا ورابطوا وتحملوا من أذى قومهم الكثير.

قيل هم، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ أجمعين.

* وقيل هم: جميع الرسل الذين ذكرهم الله فى كتابه ومن لم يذكرهم، فتكون مِنْ فى قوله من الرسل، لبيان الجنس أى جنس الرسل.

* وقيل هم الخمسة وعشرون الذين ذكرهم الله فى كتابه، وهذا هو الذى نرجحه، لأنهم جميعًا صبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصر الله، واقرأ قصصهم فى القرآن تجد العجب من جهادهم وصبرهم.

*** والرسل يتعرضون للبلاء، ولا يعلمون الغيب.**

فهم يجرى عليهم ما يجرى على البشر، من صحةومرض، وجوع وشبع، ورىٌ وعطش، وغير ذلك.

وهم يتزوجون ويتناسلون، ولا يعلمون الغيب، ولا يتصرفون فى الكون، ولا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا، ولا خيرًا ولا شرًا، وهم فى النهاية يموتون كما يموت الناس.

قال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١)** ﴾ [ص].

وقال سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨)** ﴾ [الرعد].

وقال جل شانه لرسوله ﷺ ﴿ **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨)** ﴾ [الأعراف].

وقال له: ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠)** ﴾ [الزمر].

*** وهم معصومون من الكبائر**

وهذه العصمة ثابتة لهم قبل النبوة وبعدها، فقد حفظهم الله من المعاصى، وبرأهم من

المساوئ، وحلاَّهم بمكارم الأخلاق، وحميد الصفات، إنهم صنعة الله وكفى، ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨)** ﴾ [مريم].

* **والراجح، أنهم معصومون من الصغائر أيضًا قبل البعثة وبعدها**، وقال بعض العلماء إنهم غير معصومين من الصغائر قبل البعثة، أما بعدها فمعصومون منها، وقيل إنهم غير معصومين من الصغائر قبل البعثة وبعدها وهذا رأى ضعيف لا دليل عليه.

* **وأمَّا ما ورد فى القرآن الكريم ما يوهم ظاهره بأنهم ارتكبوات ما يتنافى وعصمتهم،** فليس على ظاهره. وإليك بيان ذلك:

* *

*** ما ورد عن آدم**

قال الله تعالى فى شأن آدم عليه السلام: ﴿ **وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١)** ﴾ [طه].

وهذه المعصية هى الأكل من الشجرة، بعد أن نهاه الله عنه.

وقد أخبر الله بعد ذلك، أن آدم أكل منها ناسيًا، قال تعالى ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)** ﴾ [طه]، والناسى لا شئ عليه، قال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ [البقرة].

ومن ثم فلا معصية حقيقية، بل ما كان يجب على آدم من تنبه ويقظة، ومقاومة للشيطان اللعين، وعدم إصغاء له بأى شكل من الأشكال.

هذه هى معصيته عليه السلام، ولأنه فعلها ناسيًا، فقد عفا الله عنه بقوله ﴿ **ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢)** ﴾ [طه].

* *

* **ما ورد عن نوح**

وأمَّا مَا وَرَدَ بشأن نوح عليه السلام، حين قال لربه: ﴿ **وإلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧)** ﴾ [هود: ٤٧]. وذلك بعد أن رَدَّ الله دعاءه أن ينقذ ابنه من الغرق.

فالتفسير الصحيح: أن نوحًا لم يكن يعلم بكفر ابنه، أو كان يعلم، لكنه لم يكن يعلم أن نسبه إليه قد انتفى بكفره، فعلمه الله بقوله: ﴿ **يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)** ﴾ [هود] فبادر عليه السلام بالاعتذار لربه فقبل الله منه. ومن ثَمَّ فإن نوحًا لم يذنب بذلك.

* *

* **ما ورد عن إبراهيم**

جاء في كتاب الله الكريم على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ **وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)** ﴾ [الشعراء].

ولا أحد يعرف لإبراهيم خطيئة، بل المعروف أن الله اصطفاه وطهره، واجتباه واتخذه خليلاً.

إذا فهي خطيئة لا بالمعنى المعروف عند الناس، بل ما يستشعره في نفسه من تقصير في تفانيه في الله، ومن لجوئه في بعض المواقف إلى أن يُمَوِّه على الكافرين ببعض القول تحقيقًا للمصالح الشرعية، وهذا ليس بكذب، وإن سُمِّيَ كذلك من حيث الظاهر، وله في ذلك ثلاثة مواقف:

* **الأول**: أنه قال للملك الكافر والظالم، عن زوجه هاجر، إنها أختي(١).

* **الثاني**: عندما نظر في النجوم، فقال ﴿ **إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩)** ﴾ [الصافات].

* **الثالث**: عندما حطم الأصنام، وقال: ﴿ **قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا** ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

---

(١) رواه البخاري.

* وهذا كله ليس من الكذب الذى يذم صاحبه، بل من المعاريض التى صرح بها الشارع الحكيم، كما جاء فى الحديث الشريف «**إن فى المعاريض لَمَنْدُوحَة عن الكذب**»(٢). والمندوحة: السَّعَة.

* والتعريض ضد التصريح، وهو أن يتكلم بشىءٍ ويقصد شيئًا آخر، كأن يقول شخص إنى صائم، ويقصد الصوم عن شىءٍ سوى الطعام والشراب.

* وهو جائز عند الضرورة لتحصيل فائدة شرعية معتبرة.

* والذى فعله خليل الرحمن من هذا الباب.

* **فحين** قال للملك: إن هاجر أختى، أراد الأخوة فى الدين، قال تعالى ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [**الحجرات**: ١٠].

* **وحين** قال: إنى سقيم، فربما كان مريضًا بالفعل، أو قصد أنهم أمرضوا قلبه بعبادة غير الله.

* **وحين** قال: بل فعله كبيرهم هذا، فهو من باب التهكم عليهم لأنهم يعبدون ما لا يقول ولا يفعل، ولا يسمع ولا يبصر، أو كان يقصد نفسه، باعتباره كبير المؤمنين فى ذلك الوقت.

* وهذا كله مباح عند الضرورة الشرعية، وقال ﷺ فى كلمات إبراهيم عليه الصلاة والسلام: «**ما منها كلمة إلا ما حَلَّ بِهَا عن دين الله تعالى**»(٢) وما حل: أى جادل.

* وعلى هذا فلا خطأ من إبراهيم ولا خطيئة.

* *

---

(١) ذكره ابن كثير عند قوله تعالى ﴿**فنظر نظرة فى النجوم**﴾ سورة الصافات: ٨٨/٨٩.

(٢) ابن كثير فى المرجع السابق.

* **وعن يوسف**

* قال تعالى فى شأن **يوسف** عليه السلام: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ**﴾ [يوسف: ٢٤].

* والذين يعرفون قدر الأنبياء صلوات الله عليهم ومكانتهم، لا يتصورون أن يهم يوسف بالفاحشة، بل ولا بأقل منها، فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم، كما قال النبى ﷺ(١)، فضلاً عن أن الله تعالى وصفه بأكرم الصفات، وأكمل السجايا، فقال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ**﴾ [يوسف: ٦] وقال سبحانه: ﴿**وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**﴾ [يوسف: ٢١]، وقال جل شأنه: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** (٢٢)﴾ [يوسف] وقال تعالى على لسان يوسف حين راودته امرأة العزيز: ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** (٢٣)﴾ [يوسف] ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** (٢٤)﴾ [يوسف].

* إلى غير ذلك من صفات لا يمكن أن يقع من المتصف بها ما يغضب الله تعالى ولو كان همًّا قلبيًا، خاصة وأن الشيطان ليس له عليه من سبيل ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** (٨٢) **إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** (٨٣)﴾ [ص]، وقد وصف الله يوسف بصفة الإخلاص التى تبعد عنه الشيطان الرجيم.

* ومن كانت هذه صفاته وخصاله، فلابد أن يُفَسر الهم الذى خطر على قلبه بشىء غير الفاحشة، قد يكون القتل، وقد يكون الضرب، خاصة وأن الهم يطلق ويراد به هذا وغيره، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** (١١)﴾ [المائدة] أى هموا أن يقتلوكم فمنعهم الله عز وجل.

---

(١) رواه البخارى.

* وقال تعالى: ﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ [التوبة: ١٣] أى أرادوا إخراجه من مكة.

* وهكذا فإن لِلْهَمِّ معانٍ متعددة، فَلِمَ لا يُفَسَّر بما يتفق وعصمة الأنبياء، ومكانة يوسف التى أشرنا إليها، خَاصَّةً وإن مِنْ عَامَّة الناس مَنْ قد يتعرض لمثل هذا الموقف ويعصمه الله.

* إنَّ مَنْ فسَّر هَمَّ يوسف بالفاحشة، يجهل قدر الأنبياء الذين اصطفاهم الله، واجتباهم، وربَّاهم، وآتاهم الحكمة والنبوة، وطهرهم، وبرأهم، وفضلهم على العالمين.

* *

* وعن موسى

* قال تعالى فى شأن **موسى** عليه السلام، بعد أن وكز الرجل فقضى عليه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦)﴾ [القصص].

* والحق أن موسى عليه السلام، لم يقصد قتل الرجل، وإنما دفعه عمن اعتدى عليه، وهذا أمر واجب على كل إنسانٍ خاصة الرسل، فهو دفع للمعتدى، ونصرة للمظلوم، فمات الرجل بهذه الدفعة الخفيفة: فهو من باب القتل الخطأ، الذى لا يؤاخذ عليه، ولا يعد ذنبا، لا من موسى ولا من غيره، لكنه بالنسبة لنبى كموسى عليه السلام، اعتبر ذنبًا، ولذلك رجع إلى ربه تائبًا، طالبًا منه العفو والمغفرة، فعفا عنه، وغفر له.

* *

* وعن داود

* قال جل شأنه فى حق **داود** عليه السلام، بعد أن ذكر قصة الخصمين، وما كان من أمره معهما ما كان: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥)﴾ [ص].

* روى المفسرون، أنه عليه السلام كان جالسًا فى المحراب، ففوجئ برجلين يدخلان عليه من السور لا من الباب، فوقع فى قلبه الخوف منهما.

* والخوف من غير الله رغم أنه أمر فطرى(١) إلا أنه لا يليق بمقام الرسل، والأنبياء، فاعْتُبِر فى حق داود عليه السلام من الذنوب، فتاب إلى ربه فتاب الله عليه..

* وما جاء فى بعض الكتب، من أن داود عليه السلام، أراد أن يتزوج امرأة أحد الناس، رغم أن له تسعا وتسعين زوجة، وأن النعجات كناية عن الزوجات، فهو من الباطل والافتراء على الرسل الكرام الذين برأهم الله من المثالب، وطهرهم من المعايب.

* * *

* وعن سليمان

* قال سبحانه فى حق **سليمان** عليه السلام: ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي** ﴾ [ص].

* وقد وردت أخبار وقصص عن هذه الفتنة، وضعها أعداء الأنبياء، من الزنادقة واليهود والملحدين، ولم يصح منها شئ(٢)، كذلك وردت اجتهادات لا تستند على دليل صحيح، وهذه وتلك يظهر بطلانها، أمام حديث رسول الله ﷺ فى هذا الشأن، فهو حديث صحيح رواه البخارى ومسلم، قال ﷺ: «**قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة، كلهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن جميعًا، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، وَأَيْمُ الذى نفس محمد بيده، لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانًا أجمعون**».

* ولما رأى سليمان عليه السلام، أن نساءه لم يحملن، وأن التى حملت منهن لم تلد إنسانًا كاملاً، بل سِقْطًا ميتًا، أدرك خطأه، فى عدم قوله إن شاء الله، فطلب المغفرة من ربه فغفر له.

---

(١) على نحو ما سبق ذكره فى توحيد الألوهية.

(٢) وللأسف فإن بعض كتب التفسير قد ملئت بهذه الضلالات، فلا تغتر بها واحذرها.

* **وعن محمد**

* قال الله تعالى لنبيه **محمد** ﷺ : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ** ﴾ [**محمد** : ١٩].

* والمعروف من سيرة الرسول ﷺ أنه لم يرتكب ذنبا لا قبل النبوة ولا بعدها، فما هذا الذنب الذى أمره الله أن يستغفر منه؟

* لقد أجمع الراسخون فى العلم على أن المراد بعض التصرفات التى وقعت من النبى ﷺ وكان الأولى تركها، وفعل ما هو أفضل منها، باعتبار مقام الرسول ﷺ ومنزلته فى السماء والأرض.

* **منها**: نزوله ﷺ على رأى بعض أصحابه فى أن لا يُقْتل أسرى بدر، وأن يفتديهم بالمال، وبتعليم بعض المسلمين، وكان الأولى أن يقتلهم، فعاتبه الله على ذلك بقوله:

﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨)** ﴾ [**الأنفال**].

* وبكى النبى ﷺ حين نزلت هذه الآية، والإثخان: القتل، والكتاب الذى سبق: هو إحلال الغنائم لهذه الأمة، أو هو: لزوم مشاورة الأمة فيما ليس فيه نص. وقد فعل النبى ﷺ ذلك، ومع هذا عاتبه الله سبحانه.

* **ومنها: قبول أعذار المخلفين عن الجهاد فى سبيل الله** ذلك أن النبى ﷺ دَعَا المسلمين للخروج إلى غزوة تبوك، فاعتذر له بعضهم بحجج مختلفة، وقبل النبى ﷺ أعذارهم. وكان منهم المنافقون الكاذبون، وبعض المسلمين ممن آثروا السلامة واعتذروا بأعذار صحيحة لكنها يسيرة.

---

(١) كان التبنى من أمور الجاهلية وهو أن ينتسب إنسان لغير أبيه، وكان النبى ﷺ قد تبنى زيد بن حارثة وكان يسمى زيد بن محمد حتى أبطله الإسلام.

* فعاتب الله عز وجل نبيه ﷺ على قبوله أعذارهم، دون أن يمحصها ويتثبت منها، ليتبين له صادقهم من كاذبهم، فقال تعالى ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [التوبة].

* ومنها: **إخفاؤه ما أمره الله به من الزواج من زينب بنت جحش** رضى الله عنها، بعد أن يطلقها مُتَبَنَّاه زيد بن حارثة رضى الله عنه، وكان الله تعالى قد أمر نبيه ﷺ بأن يتزوجها بعد طلاقها ليبطل تقليداً من تقاليد الجاهلية كان يقضى بتحريم الزواج من طليقة المتَبنىّ، ولما رغب زيد فى طلاقها قال له ﷺ أمسك عليك زوجك فعاتبه الله على ذلك بقوله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧، ٣٨] فهذه فريضة عليك فكيف تخفيها وتتحرج منها؟

* **ومما يدخل فى هذا النطاق** قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ ﴾ [عبس].

* فهذا عتب من الله تعالى لنبيه ﷺ، حين طمع فى إسلام أحد سادة قريش، وكان قد أتى إلى الرسول يسأله عن الإسلام، فأقبل عليه عبد الله بن أم كلثوم رضى الله عنه وكان أعمى وأخذ يسأل النبى ﷺ فضاق بمقاطعته وأعرض عنه، وواصل الحديث مع صاحب الحق فيه، ومع أن الرجل أعمى لا يبصر العبوس، فقد عاتب الله نبيه على ذلك، وكان النبى ﷺ إذا لقى ابن أم كلثوم هش فى وجهه وأكرمه.

* *

* هذا ما نسب إلى بعض الرسل الكرام، وهو كما ترى ليس من الذنوب، ولا يتنافى مع عصمتهم الكاملة، ولا مع أقدارهم السامية، ولا ينتقص من مكانتهم العالية، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

* *

عَوْدٌ إلى رسول الله ﷺ

* لا يتم الإيمان بالرسل إلا باعتقاد ما يأتى :

* محمد ﷺ خاتم النبيين لقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠) ﴾ [الأحزاب] .

* وعلى ذلك، فإن الطوائف التى تنتسب للإسلام، لكنها تعتقد أن الله سيبعث أنبياء بعد محمد ﷺ يستمدون دعوتهم من دعوته، وأن النبوة قائمة إلى يوم القيامة، هذه الطوائف قد خلعت ربقة الإسلام، وذهبت للكفر والضلال، ومنها فى أيامنا هذه، القاديانية (الأحمدية) والبهائيية ، والبُهرة والأغاخانية وغيرها، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

* وهو ﷺ أفضلهم، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) ﴾ [آل عمران] والرسول هو محمد ﷺ .

* وهو رسول الله للناس كافة، قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾ [الأعراف : ١٥٨] وقال ﷺ : « وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة »(١) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

* فـمن بلغت دعـوته ولـم يؤمن به كـان من أهل النار، كـمـا قـال ﷺ فى حـديث شريف(١).

* *

* ولا يتمثل الشيطان به فى الأحلام والرؤى كما سبق ذكره(٢).

* وأُضيف لما سبق أن: النبى ﷺ إذا جاء لشخص فى رؤيا فعلامته أن يأتى بصفته التى جاءت فى كتب السنة، وأنه لا يأمر ولا ينهى إلا فى حدود ماجاء به فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

* *

ومن يطع محمداً فقد أطاع الله، ومن يعصه فقد عصى الله.

* نعم من أطاع محمداً ﷺ فيما جاء به، فقد أطاع الله، وفاز فوزاً عظيماً.

* ومن لم يفعل ذلك فقد خسر خسرانًا مبينًا.

* وذلك لقول الله تعالى:

* ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢) ﴾ [آل عمران].

* ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الأحزاب].

* ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

* ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور: ٥١].

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

* ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا (٦٦) ﴾ [الأحزاب].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) فى باب الجن.

* ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

* ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

* وقال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»(١).

* *

* **وهكذا يتبين**، أن الإيمان بمحمد ﷺ لا يتم إلا بتصديقه فيما جاء به، ووجوب طاعته فيما أمر به ونهى عنه، وتحليل ما أحله، وتحريم ما حرمه، وضرورة التمسك بسنته قدر المستطاع.

* إذًا، فالذين لا يطبقون الشريعة التي جاء بها، والذين ينكرون السنة كلها أو بعضها، والذين يُقدِمون على البدعة ويدعون لها، ليسوا من رسول الله ﷺ في شيءٍ، وما لهم في الخير نصيب.

* *

---

(١) رواه مسلم.

(٥) الإيمان باليوم الآخر

* **تنبيــه** : ما قلناه فى كل ما سبق، نؤكده هنا على وجه الخصوص، فننبه إلى أن السبيل الوحيد لمعرفة اليوم الآخر وما يجرى فيه، هو القرآن الكريم والسنة الصحيحة ولا مزيد، وليحذر المسلمون كل ما كتب بشأنه ولا يرجع لغير هذين المصدرين، فإن كثيراً من علماء المسلمين قد توسعوا بحسن نية فى هذا الأمر خاصة ما يتعلق منه بالجنة والنار، فحادوا أحياناً عن الحق، حتى إن بعض العلماء المعتبرين فعلوا ذلك(١)، وسبحان من تفرد وحده بالكمال.

* *

* **ثم نقول** : «**اليوم الآخر**» هو اليوم الذى يحى الله فيه الخلق بعد موتهم، ويبعثهم من قبورهم، ويجزيهم على أعمالهم، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشر، ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ(٨)** ﴾ [الزلزلة] أى يرجعون عن موقف الحساب أنواعا وأصنافا، إما إلى الجنة وإما إلى النار.

* *

* وسمى بهذا الإسم، لأنه لَمَّا كان أول أيام الآخرة، فهو آخر أيام الدنيا، والدنيا لها نهاية، والآخرة لا نهاية لها، فسمى بآخر أيام الدنيا، وإن لم يكن من جنسها، قال تعالى : ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٤٧)** ﴾ [الحج] قيل هو يوم القيامة، وقيل غير ذلك.

* *

(١) ومنهم القرطبى فى التذكرة والمنذرى فى الترغيب والترهيب وابن القيم فى الروح وغيرهم، وإذا كان هذا شأن هؤلاء فيكف بغيرهم ممن يعتمدون الآثار والأخبار والروايات والحكايات بل والأحاديث التى لا أصل لها؟.

* **والإيمان به من أركـان الإيمان**، من أنكره، أوشك فيـه أو فى أحـداثه الثـابتـة، كـان كافرا، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً** (١٣٦) ﴾ [النساء].

* *

* وله أسماء كثيرة وردت فى القرآن الكريم، باعتبار ما يتعلق به أو يقع فيه، مع تقريبه إلى الأذهان، تارة بالحجة والبرهان، وتارة بضرب الأمثال، وإليك هذه الأسماء حسب ورودها فى القرآن الكريم، «يوم الدين، ويوم القيامة، والدار الآخرة، ويوم الساعة، ويوم الحسرة، ويوم البعث، ويوم الفصل، ويوم التلاق، ويوم الآزفة، ويوم الحساب، ويوم التناد، ويوم الجمع، ويوم الوعيد، ويوم الخلود، ويوم الخروج، والواقعة، والتغابن، والحاقة، والقارعة، والطامة، والصاخة، والغاشية، والزلزلة...

* *

* **متى يكون ؟**

* لقد استأثر الله تعالى بعلمه، فلم يطلع عليه أحداً من خلقه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان: ٣٤] وقال جل شأنه: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي** ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقال سبحانه: ﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً** (٦٣) ﴾ [الأحزاب].

* *

* **علامـاته.**

* رغم أن الله سبحانه قد استأثر بعلم اليوم الآخر، إلا أنه جعل له علامات صغرى وعلامات كبرى، وهى المعروفة **بعلامات الساعة**، قال تعالى: ﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا** ﴾ [محمد: ١٨] أى علاماتها.

* *

* **فمن العلامات الصغرى :**

* **بعثة محمد ﷺ** وختم النبوة به، جاء فى الحديث الشريف : «**بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى**»[1] . **والمعنى**: ليس بينه وبين قيام الساعة رسول ولا نبى.

* وقال تعالى : ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ** ① ﴾ [القمر] أى صارت قريبة جداً بالنسبة لما فات من الزمن.

* *

* **ومنها : ما بينه النبى ﷺ من أنه :**

«لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجَّالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان[2] ، وتظهر الفتن، ويكثر الْهَرْج[3] ، وحتى يكثر المال، حتى يطوف الرجل بالصدقة من الذهب، فلا يجد من يأخذها منه، وحتى يتطاول الناس فى البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمرغ عليه، فيقول: يا ليتنى مكان صاحب هذا القبر»[4] .

* *

* **ومنها : أن يتولى أمر المسلمين من لا يهتم بالدين ولا يطبق الشريعة :**

* **لمَا ثبت من أنَّ رجلا سأل النبى ﷺ فقال: متى الساعة؟ قال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسِّد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة»[5] .**

* *

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) أى يكون الوصول إلى أبعد البلاد سهلاً ميسوراً كما هو الآن، وقد يأتى ما هو أعظم.

(٣) الهرج: القتل.

(٤) يقول هذا من كثرة ما يرى من الفتن والمعاصى والبلاء وهذه الأحاديث وردت فى البخارى ومسلم وغيرهما.

(٥) رواه مسلم.

* ومنها : قتال المسلمين لليهود وهزيمتهم بإذن الله.

* لقوله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، وحتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودى خلفى تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»(١).

* *

* **ومن العلامات الكبرى :**

* **خروج المسيح الدجال.** الذى يدعى الألوهية، ويحاول أن يرد الناس إلى الكفر، بما يَظهَر على يديه من خوارق وعجائب فيفتن بعض الناس، ويثبت الله الذين آمنوا، ثم يُقتل بعد ذلك وتنتهى فتنتة.

* ذكر النبى ﷺ كل ذلك عن الدجال وأطنب فى ذكره لأصحابه، ثم قال : **«ما بعث الله من نبى إلا أنذر أمته، وإنه يخرج فيكم، فما خفى عليكم من شأنه فلا يخفى عليكم، إن ربكم ليس بأعور، وإنه أعور العين اليمنى»**(٢) وقال أيضًا : **«ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدَّث به نبى قومه، إنه أعور، وإنه يجىء بمثال الجنة والنار، فالتى يقول إنها الجنة هى النار»**(٣).

* *

* **نزول عيسى عليه السلام.**

قال تعالى عن المسيح عليه السلام : ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** (١٥٩) ﴾ [النساء] ومعنى الآية أن عيسى عليه السلام سينزل بعد خروج الدجال يدعو إلى الإسلام، فلا يبقى أحد من اليهود والنصارى إلا ويؤمن به قبل موته، قال ابن كثير عند هذه الاية : «وهذا هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآى فى تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه» وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم برجل كان منهم فقتلوه وصلبوه، اعتقادا منهم أنه المسيح الذى رفعه الله إليه، وكان الله

---

(١) رواه البخارى ومسلم والغرقد نوع معروف من الشجر. (٢، ٣) رواهما البخارى ومسلم.

عزيزا حكيمًا.

* وقد دلت الأحاديث المتواترة على أن عيسى عليه السلام ينزل فى آخر الزمان أثناء وجود الدجال، فيدعوا إلى الإسلام ويُحى شريعته ويحكم بها كما جاء بها محمد ﷺ ويقيم القسط والعدل، ويقتل الدجال ويكسر الصليب، ويذبح الخنزير(١) ويؤمن به كل الناس، ثم يموت ويصلى عليه ويدفن، ثم تهب ريح تقبض أرواح المؤمنين جميعًا فلا يبقى بعد ذلك إلا شرار الخلق، فلا يكون بعد الكمال إلا الفناء والزوال»(٢).

* *

* ومنها : خروج يأجوج ومأجوج.

* كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

وروى مسلم أن النبى ﷺ اطلع على أصحابه وهم يتذاكرون، فقال: كما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تُرىَ عشر آيات، فذكر الدخان والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».

* *

* ومنها : خروج دابة من الأرض

لا يعلم أمرها ولا شكلها ولا حقيقتها إلا الله، تُكلِّم الناس بكلام ولغة لا يعلمها إلا الله.

لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل].

* *

---

(١) إشارة إلى أن النصارى كانوا على الباطل.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

* ومنها: **طلوع الشمس من مغربها**

لقوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً**»(١).

* *

أحداث اليوم الآخر

* **يتضمن الإيمان باليوم الآخر**، الإيمان بما أخبر به الله عز وجل، وبما أخبر به رسوله ﷺ من أحداث وأحوال.

منها: فتنة القبر.

والقبر أول منازل الآخرة، فمن مات قامت قيامته،

والقبر هو الموضع الذى يوضع فيه الميت، سواء كان تحت الأرض أم فوقها، وسواء أكلته السباع، أم نهشته الطيور، أم ابتلعته الحيتان، أم أحرق بالنار، أم ذُرِّىَ فى الهواء، لابُدَّ أن يعيده الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿**ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾**﴾ [عبس].

وفى الحديث الشريف: «**إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»(٢).

* وسؤال القبر ونعيمه وعذابه حق لا ريب فيه، قال ﷺ: «**عذاب القبر حق**»(٣).

* وفى القرآن الكريم ما يؤكد هذا ويثبته، قال تعالى فى حق آل فرعون: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾**﴾ [غافر].

---

(١) رواه البخارى ومسلم.
(٢) رواه البخارى ومسلم.
(٣) رواه البخارى ومسلم.

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)﴾ [طه].

* والمراد بالمعيشة الضنك: عذاب القبر. والمراد بها أيضا: قلقه فى الدنيا، واضطرابه، وخوفه من الفقر والموت، وإن تَنَعَّم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فما لم يؤمن بالله ويثق فيه، ويتوكل عليه، فهو فى ضيق وضنك.

* والقبر هو البرزخ، الذى قال فيه الله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)﴾ [المؤمنون].

* وقال ﷺ لأصحابه: **«إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه، ثم أقبل عليهم بوجهه فقال تعوذوا بالله من عذاب النار، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال»**(١).

* *

بداية اليوم الآخر

* دلت الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، على أن هذا اليوم يبدأ بأحداث جسام، وأهوال عظام، فتنشق السماء، وتسقط النجوم وتختفى الكواكب، وتزول الجبال، وتفجر البحار والأنهار، ثم تتحول المياه إلى نار، وهكذا، يُخرب كل شيء، ويدمر ما فى الوجود، وتُبّدل الأرض غير الأرض والسموات، قال النبى ﷺ: **«يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون**

---

(١) رواه مسلم.

أين المتكبرون ، ثم يطوى الأرض بشماله ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون أين المتكبرون(١) .

*** وفى هذا اليوم العصيب تقع هذه الأحداث**

*** النفخ فى الصور .**

ولا يُعلم عن الصور إلا أنه بوق أو قَرن لا يُعرف شكله ولا حجمه، يَنفخ فيه إسرافيل بأمر الله تعالى ثلاث نفخات .

* **الأولى** : نفخة الفزع ، وذلك فى آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء فيفزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله، ومنهم الشهداء فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون .

قال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ** (٨٧) ﴾ [النمل] .

* **الثانية** : نفخة الصعق، وهى التى يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض، إلا من شاء الله، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحى القيوم الذى كان أولا، وهو الباقى آخرا بالدوام والبقاء، ويقول لمن الملك اليوم ثلاث مرات، فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه قائلا : ﴿ **الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧)** ﴾ [غافر] .

قال تعالى : ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ (٦٨)** ﴾ [الزمر] .

* **الثالثة** : نفخة البعث ، إذ يُحى الله أول من يحى إسرافيل، ويأمره أن ينفخ في الصور نفخة ثالثة فيحيا بها العباد، كما قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ**

---

(١) رواه مسلم.

يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر] أى أحياء بعد أن كانوا أمواتا، وليس أمامهم إلا الجنة أو النار(١).

* **البعث .**

وهو بمعنى النشر، قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾** ﴾ [عبس] أى بعثه.

* ويكون بعد النفخة الثالثة، فيعيد الله عز وجل الإنسان جسدا وروحًا، كما كان فى الدنيا، وبعد أن صار عدما، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ﴿٦﴾** ﴾ [المجادلة] .

* وهذه هى النشأة الثانية التى قال الله فيها: ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾** ﴾ [الواقعة] .

* وتختلف عن النشأة الأولى، ولا يعلم كيفيتها إلا الله، وقد أكدها الله عز وجل فى عشرات الآيات من كتابه العزيز ودلل عليها بأدلة لا تقبل الرفض، قال سبحانه: ﴿ **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾** ﴾ [يس] .

* والناس عند البعث يختلفون حسب أعمالهم، فالذين صلحت عقيدتهم، وحسنت أعمالهم، وزكت نفوسهم، يكونون على أحسن حال، والذين فسدت عقيدتهم، وساءت أعمالهم، وخبثت نفوسهم، يكونون على أسوأ حال، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾** ﴾ [آل عمران] .

---

(١) يراجع فيما سبق تفسير الآيات فى القرطبى وابن كثير وغيرهما.

* **الحشــر**

* ويأتى بمعنى الجمع، وهو سَوْق الناس بعد بعثهم إلى الموقف لمحاسبتهم على أعمالهم.

قال تعالى: ﴿ **وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** (٧٢) ﴾ [الأنعام].

* والناس يحشرون حسب أعمالهم، **فالصالحون** ينالون كثيرًا من الرفق والأكرام رغم هول الموقف وشدته.

قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا** (٨٥) ﴾ [مريم] أى جماعة مع بعضهم ركبانا على مراكب من نور من مراكب الدار الآخرة(١).

* **وأما المجرمون** فينالون الاحتقار والمهانة والعذاب كما قال سبحانه: ﴿ **وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا** (٨٦) ﴾ [مريم] أى أذلة عطاشًا، يحشرون ﴿ **عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا** (٩٧) ﴾ [الإسراء] وهنا تقول الملائكة لهم جميعا: ﴿ **أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا** (٧٣) ﴾ [مريم] والناس يحشرون حفاة عراة كما ولدتهم أمهاتهم، ولا ينظر بعضهم إلى عورات بعض فلكل أمرىء منهم يومئذ شأن يغنيه كما قال النبى ﷺ.

* **العـرض .**

* وهو عرض الخلائق على ربها يوم القيامة بعد بعثها وحشرها فى المحشر، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** (١٨) ﴾ [الحاقة: ١٨].

* وفى الحديث الشريف: «**يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة، فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله**»(٢).

* **الشفاعـة :**

* هى أن يستأذن بعض الناس ربهم يوم القيامة، أن يشفعوا لأناس آخرين، بأن يخفف

---

(١) ابن كثير.

(٢) رواه أحمد.

الله عنهم هول الموقف، أو أن لا يعذبهم، أو أن يخفف عنهم العذاب، فيأذن الله لهم ويرضى شفاعتهم. فهى بذلك نوع من الدعاء المستجاب.

وهى أنواع.

*** الشفاعة العظمى :**

ولا تكون إلا لرسول الله ﷺ، فحين يشتد الموقف على الخلائق، يسألونه أن يطلب من الله أن يُهوِّن عليهم ويريحهم، فيستجيب الله له، فيغبطه[1] الأولون والآخرون، ويظهر بذلك فضله على العالمين، وهذا هو المقام المحمود الذى وعده به ربه فى قوله الكريم: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء].

* وقد وردت فى ذلك أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد، فينظرهم الناظر، ويُسمعهم الداعى، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟**

ثم ذكر ﷺ أنهم يذهبون إلى آدم، ويقولون له أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول: إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيت، نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى نوح، فيذهبون إلى نُوح، فيقول ما قاله آدم ثم يقول: اذهبوا إلى إبراهيم، فيذهبون إلى إبراهيم، فيقول: اذهبوا إلي موسى، فيذهبون إليه فيقول: اذهبوا إلى عيسى، فيذهبون إليه فيقول: اذهبوا إلى محمد، قال ﷺ: فيأتونى، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع

(١) الغبطة بالكسر أن يتمنى مثل حال المغبوط من غير أن يُريد زوالها عنه، وليست من الحسد، لأن الحسد هو تمنى زوال نعمة الغير، ولا تكون الغبطة إلا فى الخير.

ساجداً لربِّى، ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحدٍ قبلى، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأرفع رأسى فأقول: أمتى يارب، أمتى يارب، فيقال: يا محمد أدخل أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب»(١).

* **ومنها**: شفاعته ﷺ لإخراج عصاة الموحدين من النار بعد أن يدخلوها، ويمكثوا فيها ما شاء الله أن يمكثوا، ففى الحديث الشريف: «**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة، يُسمَّون بالجهنميين**»(٢).

* *

* **وهناك شفاعات للصالحين والملائكة**، وكل هذه الشفاعات سواء كانت لرسول الله ﷺ أم لغيره لها شروط:
* أن تكون بإذن الله، لقوله تعالى: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** (٢٥٥)﴾ [البقرة].
* وأن تكون لمن ارتضى الله أن يُشفع له، لقوله سبحانه: ﴿ **وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ** (٢٨)﴾ [الأنبياء] وهم من المؤمنين.
* أما الكافرون: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** (٤٨)﴾ [المدثر].
* فلابد أن يكون معلومًا، أن الشفاعة ليست لكل إنسان، بل هى وبعد أن يرضى الله عنها، ويأذن بها، لمن لهم رصيد من إيمان قوى، وتوحيد خالص، وعمل صالح، يؤهلهم لدخول الجنة، إلا أنهم خلطوه بعمل سيِّء.

قال تعالى: ﴿**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن**

---

(١) رواه البخارى ومسلم ويستثنى من هول الموقف وشدته وكربه السبعة الذين ذكرهم النبى ﷺ بقوله «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: أمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه».

(٢) رواه البخارى.

دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء].

* *

* الحساب .

* هو محاسبة العبد يوم القيامة على ما كان منه فى الدنيا ليوفى جزاء ما عمل: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة].

* والذى يحاسب ويحكم فى ذلك اليوم هو الله، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرعد].

* وكيفية الحساب أن يعلن الله لكل عبدٍ ما عمل من خير أو شر، ويطلعه عليه، ويقرره به، وكل ذلك مسطور فى كتاب، سجله عليه الكرام الكاتبون، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار].

* وأهل الطاعة والخير، يأخذون كتبهم بأيمانهم، فى فرحة وبهجة وسرور.

* وأهل المعصية والشر، يأخذونها بشمائلهم، ومن وراء ظهورهم، فى تعاسة، وندامة وشقاوة. كما قال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيراً ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيراً ﴿١٢﴾ ﴾ [الانشقاق].

* وتبلغ دقة الحساب مبلغًا لا يمكن أن يتصوره أحد، حتى يأخذ كل واحد جزاء ما عمل من خير أو شر.

قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء].

* ومع ذلك فإن رحمة الله فى ذلك اليوم للمؤمنين غالبة، ولا عجب، فإنها وسعت كل

شيء، وهو أرحم الراحمين، «قيل لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما، كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى(١)؟ قال: سمعته يقول: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه(٢) عليه، فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره(٣)، ثم يقول: إنى سترت عليك فى الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار فَيُنادى على رؤوس الأشهاد: ألا لعنة الله على الظالمين»(٤).

* المؤمنون الصالحون لا يناقشون الحساب .

هذا: والمؤمنون الصادقون الصالحون لا يناقشون الحساب، بل يعرضون فقط على الله سبحانه، أما الكافرون والفاسقون والعصاة الذين حقَّ عليهم العذاب، فيناقشهم الله تعالى، فعن عائشة رضى الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نوقش الحساب عُذِّب، قالت: فقلت: أفليس قال الله تعالى: فسوف يحاسب حسابًا يسيراً، قال: ليس ذاك بالحساب، ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب»(٤).

* *

* الميزان .

أخبر الله تعالى أن الأعمال توزن يوم القيامة، وذلك من تمام العدل.

قال تعالى: ونضع الموازين القسط ليوم القيامة، الآية السابقة.

وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة].

* ولا يعلم كيفية الوزن، وصفة الميزان إلا الله سبحانه ، فيجب الإمساك عن الخوض فيهما.

* * *

(١) هى مناجاة الله لعبده فى الآخرة.

(٢) كنفه : ستْرَه.

(٣) أى يقرره بذنوبه.

(٤) رواه البخارى ومسلم.

* الحـــوض..

* جاء فى الأحاديث الصحيحة أن لكل نبى حوضا يشرب منه هو وأمته بعد الموقف، وقبل دخول الجنة، وحوض رسول الله ﷺ ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك، وقد أخبر النبى ﷺ بذلك، وقال: «**أنا فرطكم على الحوض من مرَّ علىَّ شَرِب، ومن شرب لا يظمأ أبدًا**»(١).

* والحوض كذلك لا يعلم صفته إلا الله فيجب الإمساك عنه.

* *

* الصراط :

هو طريق يوضع على ظهر جهنم، لا يعلم كيفيته إلا الله، يقف عليه كل الناس بعد أن تبدل الأرض والسموات ثم تقع لهم الأحداث السابقة ثم يمرون بعد انصرافهم من الموقف، فأهل الجنة يمرون عليه سراعًا وهم متجهون إليها، وأهل النار يسقطون فيها، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)** ﴾ [مريم] وفى الحديث الشريف: «**يضرب الصراط بين ظهرى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجوزه ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوتهم: «اللهم سلم»**(٢) **وهنا لا يبقى إلا الجنة والنار**».

* *

الجنة والنار

* ولا يصح التعرف عليهما إلا من القرآن الكريم والسنة الصحيحة(٣). وهاك أهم ما ورد بشأنهما فى هذين المصدرين.

---

(١) رواه البخارى ومسلم. وَفَرطَ القومَ: سَبَقَهم إلى الماء. (٢) رواه مسلم.

(٣) ولنحذر الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأقوال الرجال، سواء ما جاء فى الكتب غير المعتبرة أو فى المعتبرة وأشرنا إلى بعضها، وكذلك مما جاء فى بعض كتب التصوف خاصة.

* الجنـــة

هى دار النعيم التى أعدها الله لعباده المتقين، جزاءً لهم على إيمانهم الصحيح، وعملهم الصالح، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢)﴾ [البقرة].

* **ولها أسماء كثيرة**، جاء ذكرها فى القرآن الكريم ، منها:

جنات النعيم، ودار السلام، وجنات عدن، ودار المتقين، وجنات الفردوس، وجنة الخلد، وجنات المأوى، ودار المقامة، والمقام الأمين.

* **وهى درجات**، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢)﴾ [الأنعام].

وقال النبى ﷺ: «**إن فى الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض**»(١).

* **وأعلاها الفردوس**، لقوله ﷺ لأم حارثة وكان قد قتل يوم بدر: «**يا أم حارثة إنها درجات وإن ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى**»(٢).

* وهى درجة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وَمَن أراد الله لهم، أرفع المنازل، وأعلى الدرجات.

* وأهل الجنة في نعيم لا يمكن وصفه ولا تصوره، فأعلاهم منزلة من قال الله فيهم: «**أولئك الذين أروت غرس كرامتهم بيدى وختمت عليها، فلم ترعين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر**»(٣).

* وأدناهم منزلة، من قال فيهم النبى ﷺ: «**إنى لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حَبواً، فيقول الله عز وجل: اذهب فادخل**

---

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه البخارى.

(٣) رواه مسلم من حديث قدسى.

الجنة فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول الله عز وجل له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها، فيُخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول الله عز وجل له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها»(١).

* من نعيم أهل الجنة، فى القرآن والسنة

* من فضل الله أنه قرب للأذهان بعض ما يَنْعُم به أهل الجنة، حتى يشمر العباد، ويعملوا طلبا لجنة الله ورضوانه.

* فقد وصفها الله عز وجل فى كتابه الكريم بصفات جليلة، ونعوت كريمة، منها قوله سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران].

* وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس].

* وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر].

* وقوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر].

* وقوله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس].

---

(١) رواه البخارى ومسلم واختصرناه.

* وقوله: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص].

* وقوله: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الزمر].

* وقوله: ﴿ يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزخرف].

* وقوله: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الدخان].

* وقوله: ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان].

* وقوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً

﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [الغاشية].

* ولهم عند الله أكثر من هذا وأزيد.

﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق].

*وبين النبى ﷺ فى أحاديث كثيرة **بعض نعيم أهل الجنة. منها.**

* قوله ﷺ: **«أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم، على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يُرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلبُ رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا»**(١).

* وقوله: **«إن في الجنة شجرة، يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها، إن شئتم فاقرأوا قوله تعالى: ﴿وظل ممدود، وماء مسكوب﴾»**(٢).

* وقوله: **«إن أهل الجنة ليتراءون فى الغرف فى الجنة، كما تراءون الكوكب فى السماء»**(٣).

* وقوله: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة، ينادى منادٍ: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكن أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً»** فذلك قول الله ﷺ عز وجل: **﴿ونودى أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾**(٤).

* وقوله: **«إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير فى يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا، وقد أعطيتنا**

---

(١) رواه مسلم، والزمرة: الجماعة، والتغوط: التبرز، والتفل: ما ينزل من الفم، والمخاط ما ينزل من الأنف.
(٢) رواه البخارى.
(٣) رواه البخارى ومسلم.
(٤) رواه مسلم.

ما لـم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً»(١).

* نعيم الجنة ليس كنعيم الدنيا

* فهو وإن شابهه فى الاسم والشكل، إلا أنه مختلف عنه فى الطعم والمذاق، بحيث لا يعلمه إلا الله، إنه يدخل فيما لا يخطر على قلب بشر.

* وهو بالروح والجسد

* إن أهل الجنة ينعمون فيها بأرواحهم وأجسادهم معًا، وقد زعم بعض الضالين أن الجنة مستقر للأرواح فقط، وأن أهلها ينعمون فيها بأرواحهم لا بأجسادهم، وهذه عقيدة النصارى الكافرين بالله سبحانه.. ومن قال بها من المنتسبين للإسلام فقد كفر، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** (١٠٤) ﴾ [**الأنبياء**: ١٠٤]. لكنهم لا يعودون إلى هيئتهم التى كانوا عليها فى الدنيا، بل على أحسن وأجمل ما يكون الحسن والجمال. وقال سبحانه: ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** (٧٨) **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** (٧٩) ﴾ [يس]، وقال جل شأنه فى العجائز اللائى شاء الله لهن أن يدخلن الجنة: ﴿ **إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً** (٣٥) **فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا** (٣٦) ﴾ [**الواقعة**].

* رؤية الله أعظم نعيم أهل الجنة

* وهذه عقيدة أهل الحق، إنهم يؤمنون بذلك إيمانا لا ريب فيه، فلا شك أن أهل الجنة سينعمون برؤية الله، بالكيفية التى تليق بمقامه وجلاله، ولا يعلمها إلا هو.

* وقد ذهبت بعض الطوائف إلا أن الله لا يُرى فى الجنة، وهذا مذهب باطل، فآيات الكتاب الكريم وأحاديث النبى ﷺ قاطعة فى أن رؤية الله فى الجنة حق لا ريب فيه.

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة].

وقال سبحانه عن أهل النار: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ﴾ [المطففين].

قال الشافعي رحمه الله: «ما حُجب الفجار، إلا وقد علم أن الأبرار يرون ربهم عز وجل»(١).

* **وقال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم عيانا»**(٢).

* **وقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطو شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم»**(٣).

* **ونظر النبي ﷺ:** إلى القمر ليلة البدر، وقال لأصحابه: «**إنكم سترون ربكم عيانًا ترون هذا القمر، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا**»(٤).

* **هذه النصوص صريحة** وقاطعة فى رؤية أهل الجنة لربهم.

* **والقائلون** بأن الله عز وجل لا يُرى فى الجنة يعارضون هذه الأدلة بتأويلات فاسدة، فيجترئون على الله ورسوله من ناحية، ومن ناحية أخرى يطلبون من الناس أن يعبدوا عدمًا.

* فإن من الأسباب التى أدت بالكفار إلى عبادة غير الله، أنهم لم يروا ربهم فعبدوا من يرونه بأعينهم فكفروا.

* عبد النصارى عيسى، وعبد اليهود عزيرا، وعبد غيرهم الشمس والقمر والنجوم وغيرها، لأنهم استعجلوا رؤية الله فتمثلوه فى هذه الأشياء.

* أما المؤمنون الموحدون الذين يؤمنون بالله، فهم يعيشون على أمل رؤيته في الجنة، كما وعدهم بذلك، ويومئذ يعلمون علم اليقين، ويرون عين اليقين،

---

(١) تفسير ابن كثير عند هذه الآية.
(٢) رواه البخارى.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه البخارى ومسلم.

وحق اليقين من يعبدون.

فلا حرمنا الله من جنته ورؤيته..

* أصحاب الأعراف

* قال تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) ﴾ [الأعراف].

* يفيد هذا القول الكريم، أن بين الجنة والنار حجابا، وهو السور الذى قال الله فيه: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد].

* وعلى هذا السور يوجد رجال كما يوجد نساء أيضا، والراجح أن هؤلاء قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم يدخلوا الجنة، ولم يدخلوا النار، وإذا رأوا من يعرفونهم من أهل الجنة ألقوا عليهم السلام وطمعوا فى دخولها معهم، وإذا رأوا أصحاب النار قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين. ويظلون كذلك إلى أن يطلع عليهم ربهم فيقول: «**ادخلوا الجنة فإنى قد غفرت لكم**»(١).

* هل من مشمر للجنة ؟

* إن هذه الجنة لا يدخلها إلا من آمن بالله إيمانا صحيحا، وعمل عملاً صالحًا، وقام ما استطاع بجلائل الأعمال، ومحاسن الأقوال، وجاهد فى الله حق جهاده مع نية خالصة، واتباع للشرع، فهل من مشمر للجنة، كما قال النبى ﷺ: «**ألا هل من مشمر للجنة، فإن الجنة لا حصر لها، هى ورب الكعبة، نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مَشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام فى أبد، فى دار سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبرة ونعمة، في محلة عالية بهية**»(٢).

---

(١) راجع كتب التفسير ومنها القرطبى وابن كثير.

(٢) رواه ابن ماجه وذكره ابن كثير فى سورة الغاشية ولم يضعفه، ومعناه صحيح.

«النَّـــار»

* هى دار العذاب التى أعدها الله للكافرين، وغيرهم، لعظم ذنوبهم، وكثرة إجرامهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) ﴾ [يونس].

* ولها أسماء كثيرة، منها: جهنم، والجحيم، والسعير، ولظى، وسقر، والهاوية، والحطمة.

* وهى درجات، بحسب أعمال أهلها، فمنهم من يقف على جمرة من نار يغلى منها دماغه(١)، وهو أدنى أهل النار عذابا، ومنهم من هو فى الدرك الأسفل منها، والعياذ بالله.

* وقد وصفها الله عز وجل فى كتابه ووصف أهلها بما يشيب منه الولدان، وكذلك فعل رسول الله ﷺ، بحيث لم تبق حجة لمتج، ولا عذر لمعتذر، ممن بلغه دين الله سبحانه.

* **من ذلك قوله تعالى:**

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ (٥٦) ﴾ [النساء].

* وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ(٢) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) ﴾ [التوبة].

* وقوله: ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧) ﴾ [إبراهيم].

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) أى لا يؤدون زكاتها المفروضة.

* وقوله: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ﴾ [الإسراء].

* وقوله: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) ﴾ [الحج].

وقوله: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤) ﴾ [الفرقان].

* وقوله: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا (٦٦) ﴾ [الأحزاب].

* وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧) ﴾ [فاطر].

* وقوله: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) ﴾ [الدخان].

* وقوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) ﴾ [الواقعة].

* وقوله: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) ﴾ [النبأ].

*** ومن الأحاديث الشريفة:**

*** قوله ﷺ** فى النار وأهلها:

تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسى معهم حيث أمسوا(١).

*** وقوله:**

« لا تزال جهنم تقول: «هل من مزيد» حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول قط قط وعزتك، ويُزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم ربك أحدا»(٢).

* *

*** بين أهل الجنة وأهل النار**

* أخبر الله سبحانه أن أهل الجنة والنار يرى بعضهم بعضا أحيانا، فيحمد أهل الجنة ربهم على ما هم فيه من خير ونعمة، ويتحسر أهل النار على ما هم فيه من شر ونقمة.

* وأحيانا ينادى بعضهم بعضا، ويتحدث بعضهم إلى بعض.

* من ذلك ما أخبر به الله عز وجل فى قوله تعالى:

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) ﴾ [الأعراف]. وهذا النداء من أهل الجنة على وجه التوبيخ والاستهزاء.

* وفى قوله سبحانه: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ

---

(١) من حديث البخارى رواه مسلم. (٢) رواه مسلم، وقط أى حسبى.

مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأعراف].

وفى قوله جل شأنه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر].

* *

* هل النار باقية أم فانية؟

* لم يختلف أحد من أهل الحق فى خلود الجنة وأهلها والحمد لله.

* لكن نُقل عنهم خلافٌ فى خلود النار.

* فذهب جمهور أهل السنة سلفا وخلفا، إلى أن النار باقية، دائمة، خالدة، لا تفنى ولا تبيد.

* وذهب بعضهم إلى أنها تفنى عندما يشاء الله.

* وقد جاء فى شرح العقيدة الطحاوية تفصيل لهذه المسألة بما يغنى، ذكر الشارح رحمه الله(١) ستة أقوال لأهل الباطل فى الجنة والنار، ثم ذكر قولين لأهل الحق هما:

الأول: إن الله يخرج منها من يشاء، كما ورد فى السنة، ثم يبقيها ما يشاء ثم يفنيها، فإنه جعل لها حداً تنتهى إليه.

الثانى: إن الله تعالى يخرج منها من يشاء كما ورد فى السنة، ويبقى فيها الكفار بقاء لا انقضاء له، ثم قال:

---

(١) عند كلامه عن الجنة والنار.

وهذان القولان لأهل السنة ينظر فى دليلهما.

* فمن أدلة القول الأول منهما.

قوله تعالى: ﴿ **قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** (١٢٨) ﴾ [**الأنعام**].

وقوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ** (١٠٦) **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** (١٠٧) ﴾ [هود].

ولم يأت بعد هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة، وهو قوله «عطاء غير مجذوذ».

* وقوله تعالى: ﴿ **لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا** (٢٣) ﴾ [النبأ].

* **وهذا القول أعنى** القول بفناء النار دون الجنة - منقول عن عمر بن الخطاب، وابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم.

* وقد روى عبد بن حميد فى تفسيره المشهور بسنده إلى عمر رضى الله عنه أنه قال: «لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج[1] لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه» ذكر ذلك فى تفسير قوله تعالى ﴿ **لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا** ﴾ والنار موجب غضبه، والجنة موجب رحمته، وقد قال ﷺ: «**لما قضى الله الخلق، كتب كتابا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي**»[2].

* قالوا: والله سبحانه يخبر عن العذاب أنه: ﴿ **عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** (١٥) ﴾ [**الأنعام**]. و: ﴿ **أَلِيمٍ** (٢٦) ﴾ [هود]. و: ﴿ **عَقِيمٍ** (٥٥) ﴾ [الحج]. ولم يخبر ولا فى موضع واحد عن النعيم أنه نعيم يوم، وقد قال تعالى: ﴿ **قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** (١٥٦) ﴾ [**الأعراف**]. وقال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿ **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ**

---

(١) عالج اسم مكان به رمل كثير.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴿٧﴾ [غافر]. فلابد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوافى العذاب لا إلى غاية لم تسعهم رحمته، وقد ثبت فى الصحيح تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنه، والمعذبون فيها متفاوتون فى مدة لبثهم فى العذاب بحسب جرائمهم، وليس فى حكمة أحكم الحاكمين، ورحمة أرحم الراحمين، أن يخلق خلقا يعذبهم أبد الآباد، عذابًا سَرْمَدًا[1] لا نهاية له، وأما أن يخلق خلقا ينعم عليهم، ويحسن إليهم نعيما سَرْمَدًا، فمن مقتضى الحكمة، والإحسان مُرَادٌ لذاته، والانتقام مراد بالعرض.

* قالوا: وما ورد من الخلود فيها، والتأبيد، وعدم الخروج، وأن عذابها مقيم، وأنه غرام، كله حق مسلم، لانزاع فيه، وذلك يقتضى الخلود فى دار العذاب ما دامت باقية، وإنما يخرج منها فى حال بقائها أهل التوحيد، ففرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله، وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

* *

* ومن أدلة القائلين ببقائها وعدم فنائها.

* و قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المائدة].

* وقوله: ﴿ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٥]، ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النبأ: ٣٠].

* وقوله: ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٧].

* وقوله: ﴿ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٠]، وقوله: ﴿ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴿٣٦﴾ ﴾ [فاطر: ٣٦]، وقوله: ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٥]. أى مقيما لازما، وغير ذلك من الآيات.

---

(١) أى دائما.

* وقد دلت السنة المستفيضة، أنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وأحاديث الشفاعة صريحة فى خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان، وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله لهما. ا هـ.

* *

* **هذان قولان لأهل السنة والجماعة.**

* **فالذين قالوا ببقاء النار هم جمهور السلف والخلف كما ذكرنا، وأدلتهم قوية وظاهرة.**

* **والذين قالوا بفنائها هم القلة القليلة، لكن فى أدلتهم وآرائهم ما يستحق التأمل.**

والله أعلم

* *

* من آثار الإيمان باليوم الآخر

* إن الإيمان بالله عز وجل، والإيمان باليوم الآخر، هما محور العقيدة فى الإسلام.

* **فالإيمان بالله**، إيمان بمصدر هذا الوجود خالقه ومدبره رب العالمين، وأحكم الحاكمين.

* **والإيمان باليوم الآخر**، إيمان بغاية هذا الوجود ونهايته ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (٤٢) ﴾ [النجم].

* وبهذين الاعتقادين تصح نظرة الإنسان للحياة، وينضبط سلوكه، ويستقيم خلقه، وتحسن صلته بالله وبالناس، فينال السعادة فى الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢) ﴾ [النساء].

* ثم إن للإيمان باليوم الآخر ثمارا عملية ونفيسة جليلة، منها:

* أنه راحة لنفس المجهود إذا أكدى وفاته حظه من الدنيا، فإيمانه بأن ما عند الله خير وأبقى، يمنعه من أن يحقد أو يَتَسَخَّط، أو يغتم، ثقة منه بأن متاع الدنيا قليل، وأن الآخرة خير لمن اتقى، وأن العاقبة للصابرين.

* وهو راحة للمظلوم، يُهَوِّن عليه ما وقع به من حَيف، فلا يندفع وراء شهوة الانتقام ثقة بأن الله لن يضيع حقه: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ** (٧٨) ﴾ [**النمل**:٧٨].

﴿ **الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** (١٧) ﴾ [**غافر**].

* وهو ردع للظالم، وعلاج له، فقد يمنعه من غلوائه، ويرده عن ظلمه إيمانًا بأنه مأخوذ به، وأنه لن يفلت من عذاب ربه وانتقامه: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِته**»(١).

* وهو عون على الثبات في الحق، وعلى ما يصيب المرء في سبيله، ثقة بما أعد الله لأوليائه؛ ويبدو ذلك في قول المؤمنين لفرعون ﴿ **فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** (٧٢) **إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ**(٧٣) ﴾ [**طه**].

* وهو دعوة للإحسان، والاستزادة منه، والتسارع إليه، مهما لقي صاحبه من جحود ونكران، فحسبه ربه، وما يكرمه به في الدنيا والآخرة ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** (٢) **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** (٣) ﴾ [**الطلاق**].

* وهو ترغيب في كل خير، وترهيب من كل شر، وحماية للمجتمع من أسباب الشقاء والقلق والاضطراب.

* فأى أثر أجمل لعقيدة، وأبقى لمبدأ، وأجدى على البشرية، من مثل هذا الأثر للإيمان

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

بالله واليوم الآخر؟ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠) ﴾ [يونس: ٩، ١٠] .

* *

(٦) الإيمان «بالقدر»

* **الإيمان بالقدر**، ركن من أركان الإيمان ، يكفر من أنكره وكذب به، قال تعالى :﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** (٤٩) ﴾ [القمر] . وقال النبى ﷺ فى حديث جبريل : «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**»[١].

* *

* **وقبل الحديث عن القدر أقول «كلمة لابد منها»**.

* من خصائص الدين الإسلامى ، أنه دين سهل، واضح، لا غموض فيه، ولا تعقيد، فقد يسره الله عز وجل على أتباعه غاية التيسير، قال سبحانه :﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** (١٧) ﴾ [القمر] .

* وتبدو هذه الحقيقة واضحة، فى أن كل مسلم رجلاً كان أو امرأة ، عالما أو جاهلاً، يعرف – فى الغالب – من أمور دينه ما تجب الحاجة إليه، ومن يؤديها منهم، يؤديها فى سهولة ويسر.

* **وعقيدة القدر من أصول هذا الدين**، ولذلك فهى سهلة يسيرة، حتى إنك لتجد المسلم العادى ، يُسَلِّم بأن كل شئ من الله وإليه، ثم هو مع ذلك، يؤمن، بأنه مسئول عما يصدر منه، إنْ خَيرا فَخيرٌ، وإن شرا فشر، وتلك هى عقيدة القضاء والقدر فى أبسط صورها، ويتحقق بها – إن شاء الله – المقصود من الإيمان بهذه العقيدة.

* ولم يُصَعِّب أمر القدر، إلا من أكثروا الكلام فيه، وخرجوا عن فهم السلف الصالح، فضلوا وأضلوا.

* روى مسلم فى صحيحه أن رجلاً قال لابن عمر: إنه ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن، ويتعمقون في العلم[٢] يزعمون ألاَّ قَدَرَ وَأَنَّ الأَمَرَ أُنُفٌ[٣]، فقال له : إذا لقيت هولاء

---

(١) رواه مسلم

(٢) التعمق: البحث عن الغامض من العلم، وطلب الخفى منه.

(٣) يعنى مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه (شرح النووي).

فأخبرهم أنى برئ منهم، وأنهم بُرَءَاءُ منى، والذى يحلف به ابن عمر، لو كان لأحدهم مثل أُحُدٍ ذهبا، فأنفقه فى سبيل الله، ما قبل الله ذلك منه حتى يؤمن بالقدر»، وهؤلاء يُسَمَّوْن بالقَدَرية.

* *

* **ولن أتعرض** كثيرا لما قاله نفاة القدر وغيرهم، فأكثروا على الناس، بما لافائدة منه، وأوقعوا كثيرا منهم في حيرة واضطراب، وَعَسَّروا ما يسره الله تعالى.

* **وحسبى** أن أقدم للقارئ الكريم خلاصة ماقاله أهل الحق في هذا الموضوع، كما هو فى سهولته ويسره، **وسأكتفى** فى هذا المقام ببضعة مراجع معتبرة، أنقل منها بتصرف(١) ما تدعو الحاجة إليه، فأقول وبالله التوفيق:

* القـــدر

* القدر أصله من التقدير والضبط، وجعل الشئ الذى يجرى على مقتضى علم وتدبير ونظام وحكمة، قال تعالى: ﴿ **إنا كل شئ خلقناه بقدر**﴾ أى بتدبير سابق منا.

وقال سبحانه: ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)** ﴾ [يس].

* *

* **والإيمان بالقدر**: هو الاعتقاد الجازم ، بأن كل مايقع فى هذا الوجود، يجرى بتقدير العزيز العليم، وفق حكمة قضاها الله تعالى، مع علمه جل شأنه ، أنه سيقع بصورة مطابقة لما سبق به علمه قديما، ولما جرى به تقديره أزلاً، دون إجبار منه لأحد بفعل أو بترك، قال تعالى: ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)** ﴾ [الحديد] ، وهذا العلم من الله تعالي عِلْمُ انكشاف لا علم تأثير، بمعنى: أن الله ينكشف له ما يقع من الخلائق دون أن يؤثر فيه سبحانه

(١) وقد أضيف إليه ما أراه مناسبا فى إطار المنهج الحق.

بفعل أو ترك، بل العبد هو الذى يفعل ويترك بمحض اختياره، كما سيأتى بيانه:

* **والقضاء والقدر بمعنى واحد**، وقيل: إن القضاء هو علم الله بالأشياء قديما، والقدر: إيجاد هذه الأشياء وفق ما أراده الله وعلمه، وهو بهذا المعنى لايخرج عن التعريف السابق.

* *

*أقوال بعض الأئمة فى القضاء والقدر.

* **إنَّ المعنى الذى ذكرناه للقضاء والقدر صَرّح به علماء الأمة رحمهم الله.**

* **قال** النووى: «القدر معناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء فى القدم، وعلم سبحانه وتعالى، أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهى تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى»(١).

* وقال الخطابى: «قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر هو إجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على قدره وقضائه، وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه: «الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما سيكون من اكتسابات العبد، وصدورها عن تقدير منه سبحانه»(٢).

* وقال ابن تيمية: «ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، مع إيمانهم بالقضاء والقدر، أن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الله يضل من يشاء، ويهدى من يشاء، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه مع قولهم: إن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله(٣).

* وعلى هذا المعنى للقضاء والقدر، اتفق الراسخون فى العلم من علماء الأمة الإسلامية من أئمة أهل السنة والجماعة الذين بشر بهم النبى ﷺ.

* ومن أحسن ما قرأت فى هذا المقام، ما قاله الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى أثابه

(١، ٢) صحيح مسلم بشرح النووى.

(٣) مجموع الفتاوى.

الله، وفيه توضيح لكل ما سبق قال: «إن العبد إذا صلى وصام وفعل الخير، أو عمل شيئًا من المعاصى، كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح أو ذلك العمل السيء، وفِعْلُه المذكور قد وقع بلا ريب باختياره، وهو يَحُسُّ ضرورةً أنه غيرُ مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل، وهذا هو الواقع، فهو الذى نص الله عليه فى كتابه، ونص عليه رسوله، حيث أضاف الأعمال صالحها وسيئها إلى العباد، وأخبر أنهم الفاعلون لها، وأنهم ممدوحون عليها إن كانت صالحة ومُثابون، وملومون عليها إن كانت سيئة ومعاقبون عليها.

فقد تبين واتضح بلا ريب أنها واقعة منهم باختيارهم، وأنهم إذا شاءوا فعلوا، وإذا شاءوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلاً وحِسًّا، وشرعًا ومشاهدة.

* ومع ذلك إذا أردت أن تعرف أنها، وإن كانت كذلك واقعة منهم كيف تكون داخلة فى القدر، وكيف تشملها المشيئة؟ فيقال: بأى شىء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها؟ فيقال: بقدرتهم وإرادتهم، هذا يعترف كل أحد، فيقال: ومن خلق قدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم؟ فالجواب الذى يعترف به كل أحد، أن الله هو الذى خلق قدرتهم وإرادتهم، والذى خلق ما تقع به الأفعال هو الخالق للأفعال، فهذا هو الذى يحل الإشكال، ويُمَكِّن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار، ومع ذلك فهو تعالى أَمَدَّ المؤمنين بأسبابٍ وألطافٍ وإعاناتٍ متنوعة، وصرف عنهم الموانع، كما قال ﷺ: «أمَّا من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة»، وكذلك خذل الفاسقين، ووكلهم إلى أنفسهم، لأنهم لم يؤمنوا به، ولم يتوكلوا عليه، فولاهم ما تولوا لأنفسهم»[1]. ا هـ.

* *

* وكان من الممكن أن نكتفى بهذا القول الجامع المانع، لكن جاء فى كتاب التوحيد[2] كلام مفصل عن القدر، رأيته جديرا بالنظر والنقل والتحرير[3]، وفيه من الفوائد ما

---

(١) من كتاب شرح العقيدة الواسطية.

(٢) للشيخ عبد المعز عبد الستار وهو شبيه بما جاء فى العقائد الإسلامية للشيخ سيد سابق.

(٣) مع التصرف أحيانا زيادة أو نقصانا.

يحتاجها كل مسلم ومسلمة وبالله التوفيق.

* *

* الكمال الإلهى وعقيدة القدر

* إن القدر بالمعنى الذى ذكرناه، وما يحمله من علمٍ سابقٍ لما يجرى فى الكون والخلق، هو من مقتضى الكمال الإلهى، ومن لوازمه، فإنه الفارق بين كمال الخالق، ونقص المخلوق.

* فنحن المخلوقين، لا نعلم الأشياء على حقيقتها، ولا نقدرها حق قدرها، إلا بعد وقوعها وتحققها.

* وربما كان لنا استدلال بشىء واقع على شىء لم يقع، وقد يصدق، وقد لا يصدق، كأن نرى سحابًا فى السماء فنقول: سينزل المطر، وربما ينزل أو لا ينزل، أو نرى فتى نابهًا ذكيا، فنقول: سيكون له شأن عظيم، وقد يكون أو لا يكون.

* أما الله عز وجل فعلمه بالأشياء قبل وقوعها، كعلمه بها بعد وقوعها، لا يطرأ عليه بعد الوقوع علم لم يكن عنده، فعلمه تعالى بالأشياء سواء، تستوى عنده الأزمنة جميعا، ما كان وما سيكون، وما هو كائن، كل ذلك قد أحاط به علمًا وتسجيلاً.

﴿**عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** (٣)﴾ [سبأ].

* فلذلك كان الإيمان بالقدر من تمام الإيمان بالله، فإنه إقرار حَتْمٌ، واعتراف لازم بكمال الخالق، ونقص المخلوق، ﴿**أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ** (١٧)﴾ [النحل].

* *

* أقدار الله الجارية

* إن الأقدار التى جرى بها القلم، وسبق بها الكتاب، وما قضاه الله فى خلقه، وقدره لعباده، تنقسم إلى قسمين:

* **الأول**: أمور تجرى على الإنسان بتقدير من الله وحده، دون أن يكون للإنسان فيها إرادة أو عمل أو اختيار كالطول والقصر، والجمال والقبح، والحياة والموت، والخصب والجدب، وَجَرْيِ السحاب، ومواقع المطر، وإنبات النبات، وحصول الآفات، وسائر ما يجرى على الإنسان مما لا دخل له فيه، ولا حيلة له به.

* وهذه الأمور لا يسأل عنها العبد، ولسنا مكلفين فيها إلا بالإيمان بأنها تجرى بتقدير سابق وعلى مقتضى علم وقانون، وحكمة أحاط الله بها، قد تظهر لنا، وقد تخفى علينا، لكنها آية من آيات الله، دالة على علو سلطانه، وسمو شانه، ونفوذ قدرته، وبالغ عظمته، قال تعالى: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)**﴾ [الشورى].

* **الثانى**: أمور تجرى على الإنسان بتقدير من الله سبق، على مقتضى حكمته، وما وضعه من قوانين لهذا الوجود، لكن للإنسان فيها دخل وتسبب وكسب وعمل.

* مثال ذلك: **الحريق**، فقد جعل الله فى الخشب والحطب، والبترول ونحوه قابلية الاشتعال والاحتراق بشروط، منها اتصال النار والهواء، وانتفاء المانع.

* فإذا جاء إنسان فوصل النار، وأحدث الحريق، كان هذا الحريق واقعا بتقدير الله، جاريا على مقتضى قانونه فى خلقه، وكان هذا الإنسان عاملاً ومتسببا فى هذا الحريق، مسئولاً عن حدوثه.

* فهناك فرق واضح بين الأمرين، ظاهر من كلا القسمين.

* *

* الخطأ فى إدراك هذا الفرق يوقع فى الجبر كما يوقع فى نفى القدر

* كثير من الناس يخطئون فهم القدر فيجعلون القسمين شيئًا واحدًا، ومن هنا يقعون فى واحد من خطأين عظيمين.

* **إحداهما**: اعتقاد أن الإنسان مجبر، فى كل ما يقع منه من خير وشر، ومن ثم فلا

مسئولية عليه! وهؤلاء هم الجبرية.

* **الثاني**: اعتقاد أن القدر ظلم ينافى المسئولية، ومن ثم ينكرونه، وينسبون كل شيء للإنسان وهؤلاء هم القدرية، أو نفاة القدر.

* وسنوضح خطأ الأمرين، وما تفرع عنهما من اعتقادات باطلة.

* *

* بطلان عقيدة الجبرية

* يظن كثير من الناس، أنه ما دام كل شيء بقضاء سابق، وقدر محتوم، فمعنى ذلك أن الإنسان فى كل ما يصدر عنه مجبر غير مختار، وأنه مجرد محل لهذه الأعمال الصادرة عنه، والمقدَّرة عليه، تجرى عليه رغم أنفه، وهؤلاء يسمون بالجبرية،

وقد استدلوا على ذلك بأمور **أهمها**:

(١) أن ذلك مقتضى معنى القدر وحقيقته.

(٢) أن الواقع يثبت ذلك، فإن الإنسان يجهد جهده، ثم تكون النتيجة ضده.

(٣) أن النصوص تثبت هذا الجبر، وتؤكد أن الإنسان لا مشيئة له، وأن المشيئة لله وحده.

كقوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ** (٨) ﴾ [فاطر].

وقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** (٩٦) ﴾ [الصافات].

.. وهذه شبهات باطلة

(١) **لأن** إدعاء أن الجبر، مقتضى معنى القدر ولازم له، إدعاء باطل، ويناقض المعنى الصحيح للقدر، فإن معنى القدر - كما تقدم - التقدير والتدبير، وترتيب شيء على شيء، وتسجيله على مقتضى علم الله وإرادته وحكمته، وهذا كما قال الخطابى: «لا يعنى إجبار الله تعالى العبد على فعل قدره، بل يعنى الإخبار بتقدم علم الله تعالى بما

سيكون من العبد دون أن يكون عليه قهر أو جبر».

*فهذه أمور ثلاثة في القدر: **علم سابق، وإرادة، وتسجيل فى لوح محفوظ.**

* **فأما العلم**، فهو صفة كشف لا صفة تأثير.

* **وأما الإرادة**، فالله تعالى – ولا مُكْرَهَ له – شاء أن يخلق خلقا يمنحه القدرة والحرية والاختيار، وأن يمتحنه بالتكاليف ليجزيه، إن خيرا فخر، وإن شرا فشر، فهل يقال عن ذلك إجبار؟!

* **وأما التسجيل**: فهو مطابقة للأصل، كما تسجل المرآة الصافية صورة المرئى، لا دخل لها فى جماله أو قبحه، أو استوائه أو ميله، فأين الإجبار فى هذا كله، وأين محل هذه الدعوى منه؟

(٢) **وإدعاء أن الواقع** يثبت الجبر، مكابرة ومخالفة لِلبَدَاهة والحسّ، فإن الإنسان يحس ويعلم علما ضروريا بأن هناك أعمالاً تصدر عنه قهراً بغير إرادة منه، أو اختيار له، كَزلة القدم، أو رعشة البرد، أو نبضة القلب، وأن هناك أعمالاً أخرى تصدر عنه بكامل حريته، وتمام اختياره، كالكلام والسكوت، والمشى والجلوس، والذهاب والمجىء، والأخذ والعطاء، ونحو ذلك، مما لا سبيل إلى إنكاره.

* فهو فى الأولى مجبر، وفى الثانية مخير، ما يجادل فى ذلك عاقل.

(٣) **وادعاء أن النصوص** تثبت هذا الجبر زعم باطل، وآيات المشيئة المطلقة التى يستدلون بها، لا تتعارض مع الاختيار، ولا تثبت بها دعوى الجبر، وقول الله حق لا يتناقض.

* **مثال ذلك:**

* قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّ اللهَ يُضِلُ مَنَ يشاء حق** ﴾ ولكن كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ** (٢٦) **الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ** (٢٧) ﴾ [البقرة].

* وقوله تعالى: ﴿ **وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ** (٢٥) ﴾ [يونس]. حق، ولكن كما قال تعالى: ﴿ **وَيَهْدِي**

إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧) الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ (٢٨) ﴾ [الرعد].

* **فالإضلال** لا يُفْرَض والهداية لا تُمنح بلا أسباب، ولكنهما جزاء لعمل، ونتيجة لمقدمة، فهى ماضية على تقدير الله وحكمته، وعدله، ﴿ **قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)** ﴾ [الأنعام].

* أى لو شاء أن يفرض عليكم الهداية بخلق أسبابها لفعل، لكنه ترك لكم حريتكم فى الفعل والترك(١).

* وقوله تعالى: ﴿ **وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ** ﴾ [النساء].

* والمراد بالحسنة هنا: النعمة، وبالسيئة: البلية، فى أصح الأقوال وقيل الحسنة: الطاعة، والسيئة: المعصية، وكلها من عند الله خلقًا وتقديرًا، لا إجبارا على فعلٍ أو ترك، كما سبق بيانه.

* وقيل فى قوله: ﴿ **قل كل من عند الله** ﴾ هو: الخصب والجدب، والنصر والهزيمة إلخ، وفى قوله: ﴿ **فمن نفسك** ﴾، أى ما أصابك من سيئة فهى من الله بسبب عقوبة لك بذنبك(٢)، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦)** ﴾ [الروم].

* وقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)** ﴾ [الصافات] لا دليل فيه على الجبر، ونفى العمل، لأن معناه، إما أن يكون: خَلَقَكُمْ وخلق الأصنام والأحجار التى تعملون منها آلهة وتعبدونها من دون الله، وإما أن يكون: خلقكم وخلق الأعمال التى تعملونها، وقد تبين أن الله تعالى، وإن كان خالق كل شئ، إلا أنه لا يجبر أحدا على فعل شئ، أو تركه.

---

(١) هذا معنى من المعانى الكثيرة للآية.

(٢) ابن كثير، والعقيدة الطحاوية.

* إن النتيجة التى آلت إليها عقيدة الجبر وهى أنه « لا تَضُرُّ مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة » تحمل بطلان عقيدتهم وزيفها، فإذا كان الإنسان فى زعمهم لا إرادة له ولا اختيار، فإن الكافر والمؤمن سواء لأن الكافر لم يختر الكفر ولم يُرده بل على مذهبهم، – أراده الله له، فكيف يحاسبه الله ويعاقبه.

* *

* بطلان عقيدة القدرية

* **القدرية**، هم نفاة القدر، القائلون بأن أفعال العباد لم يسبق بها قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يلعمها بعد وقوعها، وإن مشيئة العباد مستقلة عن مشيئة الله! فهم يخلقون أفعالهم بأنفسهم، فالله – فى زعمهم – شاء الإيمان من الكافر، لكن الكافر شاء الكفر! وشاء الطاعة من العاصى، لكنه شاء المعصية!، وحاشا الله أن يعذب عبداً قدر عليه المعصية، أو يثيب عبداً قدر عليه الطاعة!

* قال الإمام الطحاوى: « فَرُّوا إلى هذا، لئلا يقولوا: شاء الكفر من الكافر وعذبه عليه، ولكن صاروا، كالمستجير من الرمضاء بالنار، فإنهم هربوا من شئ فوقعوا فيما هو شر منه، فإن يلزمهم أن: مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى، فإن الله قد شاء الإيمان منه على قولهم، والكافر شاء الكفر، فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله، وهذا من أقبح الاعتقاد، وهو قول لا دليل عليه بل هو مخالف للدليل به(١).

* *

* القدر والمسئولية

* لقد تقرر أن القدر لا يعنى الجبر، ولا ينفى الاختيار.

* وأن هناك فرقًا بين الأعمال الاضطرارية والاختيارية للإنسان.

* وأن مشيئة الله المطلقة تجرى على مقتضى حكمته وتقديره لقوانين الوجود دون قهر أو أو جبر.

---

(١) الطحاوية.

* وأن الإنسان مختار لعمله ومسئول عنه.

* وأن الاعتذار بالقدر لا ينفعه فى التهرب من قول أو فعل،، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [الإسراء]، وقال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحج].

* *

* المسئولية جزء من القدر

* إن المسئولية جنائية كانت أو أدبية، يمكن أن تنحصر فى أمور ثلاثة:

١ - تَحَقُّقُ الفعلِ المسئول عنه، وهو يقتضى القدرة عليه.

٢ - تَحَقُّق القصد والعمد، وهو يقتضى النية فيه، «أو الآلة المستعملة فى الفعل»[١].

٣ - تحقق الاختيار، وهو يقتضى عدم الإكراه.

* فإذا تحققت هذه الأمور فى عمل مَّا، كان صاحبه مسئولاً عنه، مَجْزِيًا بِهِ، وإذا انتفت فلا مسئولية، وذلك من عدل الله، وقانون القدر.

* فإذا انتفت القدرة فلا مسئولية، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

* وإذا انتفى القصد فلا مسئولية، قال تعالى ﴿ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥].

* وإذا انتفى الاختيار فلا مسئولية، قال تعالى ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ [النحل: ١٠٦].

* فإذا وجد الفعل، وتحققت فيه عناصر المسئولية، كان صاحبه مسئولاً عنه بمقتضى قانون الله، وتقديره وعدله فى خلقه.

---

(١) هذه الإضافة ليست في المرجع المذكور، لكنها لازمة لأن من قتل قتيلا بما يقتل كأن ذبحه بسكين، أو أطلق عليه ناراً، أو أشعلها فيه حتى مات، لا يمكن النظر فى نيته بل فى فعله، ويعاقب على أساسه، وأمره إلى الله.

* فلا معنى لأن يتعلل - بالقدر - إنسانٌ مسئولٌ، ويقول: إنه معذور إذا ارتكب مخالفة، لأن ذلك شئ مكتوب عليه! فذلك قَوْلٌ بالجبر، وقد سبق بطلانه، وتهرب من المسئولية وقد لزمته.

* ولا معنى إذًا للتَّعَلُّلِ بالقدر، فإن القدر غيب لا نعلمه إلا بوحى، قال تعالى: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾ [الجن]. فلا يجوز الاحتجاج بمجهول لا يعلمه إلا الله.

* والقدر كذلك، نظام الله فى عباده، وهبهم به القدرة، ومنحهم الاختيار، وهداهم النجدين، وربط به بين الأسباب والمسببات دون قهر لهم أو جبر، فهو يقتضى المسئولية بشروطها السابقة، ويستلزمها، ولا يتنافى معها، فكيف يقال أو يُظن أن المسئولية تتنافى مع سبق القدر؟

* ولو صَحَّ هذا رأيًا، وتعامل به الناس، لبطلت القوانين، وسقطت المسئوليات، وسادت الفوضى، وأصبح كل إنسان معذور فيما يفعل ويترك، وغير مأخوذ بذنب، ولا مسئول عن شئ، حتى ولو سفك دمًا، أو انتهك حرمة، أو سلب مالاً، وحينئذ تكون الكلمة العليا للظالمين والمجرمين، وما من أحدٍ من الناس، يرضى بهذا، فكيف لا يرضونه فيما بينهم، ويجعلونه مذهبيًا بينهم وبين ربهم؟!

* *

والضرب هو الحل

* كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لا جواب لمن حاول التنصل من المسئولية، واعتذر بسبق القدر، إلا الصفع والضرب، فإنه البرهان الصحيح على كذب دعواه، فإنه لن يسلم بأن الضرب مقدور، والضارب معذور».

* *

* **ليس القدر ظلماً، ولا ينافى المسئولية والعدل:**

لقد أوقعت الغفلة ناسًا فى هذه الشبهات، فأخطأوا الحق، وجحدوا القدر.

* فزعم بعضهم أن القدر يستلزم الجبر، ويتنافى مع المسئولية والعدل.

* وزعم البعض الآخر أن إثبات القدر ظلم يتنافى مع العدل الإلهى، وينسب النقص لله وهو محال. وبناءً عليه جحدوا القدر، وأنكروا أن يكون الله قدر على خلقه شيئًا فى الأزل.

* **والرد على ذلك:**

* إن القدر لا يعنى الجبر، وإنما هو نظام يجرى على مقتضى قانونٍ وحكمة، وإن الفرق بين الأعمال الاختيارية والاضطرارية ثابت بالبداهة والحس والواقع.

* وإن المسئولية وشروطها حق وعدل فى نظام الله والقدر، ومما اتفق عليه عقلاء البشر.

* وإن الله لا يحاسب العباد على ما علمه منهم، وسجله عليهم، وإنما على ما عملوه هم باختيارهم.

* وإن القدر مقتضى كمال الله عز وجل لا نقص فى إثباته له.

* فالذين ينكرون القدر مخافة أن ينسبوا الظلم إلى الله تعالى واهمون ضالون، فإنهم بذلك ينسبون إليه الجهل والنقص وهم لا يشعرون، وتعالى الله العليم القدير ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** (١٤)﴾ [الملك].

* *

* القدر والأخذ بالأسباب

* يظن بعض من لا نصيب لهم فى الفهم الصحيح، أن الإيمان بالقدر يقتضى ترك الأسباب والعمل وشبهتهم فى ذلك، أنه ما مادامت الأمور قد جرى بها القدر، وجف بها القلم، وسجلت فى كتاب منذ الأزل، فهى واقعة حتمًا على ما قدرت عليه، سواء أردنا أم لم نرد، عملنا أم لم نعمل، وإذن فلا فائدة من تعاطى الأسباب، أو معاناة العمل!

* **والجواب** على هذه الشبة من وجوه:

* **الأول**، إن هذا خطأ فى تصور معنى القدر، فإن الأسباب جزء منه، لا تتعارض معه. **فعن كعب بن مالك رضى الله عنه، أنه قال لرسول الله ﷺ، يا رسول الله، أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقى بها وأشياء نفعلها، هل ترد من قدر الله؟ قال ﷺ: «هى من قدر الله»**(١).

* إن الغفلة عن هذه الحقيقة، أوقعت الغافلين فى الجبر، فجحدوا المسئولية وأنكروا فائدة العمل، كأن القدر فى مفهومهم شئ يقع على الناس من فوقهم، وقد بينا أن القدر نظام الله فى خلقه، كما أنه آية على حكمته وعلمه، وعلو سلطانه وقهره.

* **الثانى**: إن الدين الذى أوجب الإيمان بالقدر، هو الدين الذى أوجب العمل، وقرر السعى، ورتب الجزاء عليه، وأعلن التفاوت فيه، قال تعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا**﴾ [التوبة: ١٠٥] وقال سبحانه: ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا**﴾ [الأنعام: ١٣٢] وقال: ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾**﴾ [النحل] فما بالهم يريدون أن يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعض؟

الثالث: إن هذا المقدر مجهول، وإن العمل هو دليل ما خطَّ القدر، فإنا لا ندرى ماذا سجل الله فى الكتاب، فمن الجهل والضلال والعجز أن يترك إنسان العمل وهو الطريق الموصل إلى ما يريد، اعتماداً على أن (ما كان له سوف يأتيه)!! هذا جهل ومعاندة لقانون الحياة ونظام القدر، قال تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾**﴾ [هود: ١٥] فما كان لَهُ سوف يأتيه إن عمل له، ويضيع عليه إن قعد عنه.

* ذلك نظام الله، وقانون القدر الذى جعل الجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾**﴾ [الزلزلة]، وقال ﷺ **«يا عباد الله تداووا فإن الذى خلق الداء خلق الدواء»**(٢).

* *

(١) رواه ابن حبان وهو صحيح.

(٢) رواه البخارى.

* **شبهة قديمة عن العمل والقدر**

* وقد وقعت هذه الشبهة - إن العمل لا ينفع مع القدر - لبعض أصحاب رسول الله ﷺ، وسألوه فيها، فأجابهم بما أوحى الله به إليه.

فقد سأله شريح الكلابى، قال: يا رسول الله، العمل فى أمر مستأنف، أو فى أمر قد فرغ منه؟ قال ﷺ فى أمر قد فرغ منه، قال: ففيم العمل؟ قال ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»(١). وفى رواية ثم قرأ ﷺ ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝** ﴾ [الليل].

* وقد روى مثل هذا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه.

* ولما وقع الطاعون بالشام، وبلغ ذلك عمر رضى الله عنه وهو فى الطريق إليها، رجع إلى المدينة، فقال له أبو عبيدة بن الجراح، أتفر من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم أفر من قدر الله إلى قدر الله».

* وصدق عمر رضى الله عنه، فإ كل شىء خلقه الله بقدر، فإذا كان المرض من قدر الله فالصحة من قدر الله، وإذا كان الجوع من قدر الله، فالشبع، من قدر الله، وإذا كانت العدوى من قدر الله، فالوقاية من قدر الله وهكذا..

* فكل شىء بتقدير وكل شىء قائم على أسباب أحكم الله بها نظام هذا الوجود، وكل إنسان مطالب باتباعها وتعاطى أسبابها، وليس فى ذلك خروج على القدر، بل هو داخل فى نطاقه.

* فعلى المرء أن يعمل، وأن يتحرى الخير فى عمله، وأن يعلم أنه يؤدى ما أمر الله به، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝** ﴾ [النساء] فالله عدل فى قضائه وحكمه، لا يحابى أحداً فى قدره.

وحينما دعا أولو الألباب ربهم قائلين ﴿ **رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ**

---

(١) رواه الطبرانى.

الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٩٤، ١٩٥] أجابهم ربهم بقوله ﴿ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

* *

* المحو والإثبات

* قال الله تعالى: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) ﴾ [الرعد: ٣٩].

* من معانى هذه الآية الكريمة، عند بعض الراسخين فى العلم من السلف ما يمكن أن ترتفع به بعض إشكالات فى هذا الموضوع العظيم، وهى أقوال صحيحة لا شك فيها، وإن لم يجمع عليها أهل العلم، وإليك هذه الأقوال ملخصة من ابن كثير: اختلف المفسرون فى ذلك:

* **فقال ابن عباس**: يدبر أمر السنة فيمحوا الله ما يشاء إلا الشقاء والسعادة، والحياة والموت، وقال أيضاً: «يبدل ما يشاء فينسخه، ويثبت ما يشاء، فلا يبدله».

* **وقال مجاهد**: يمحو الله ما يشاء ويثبت، إلا الحياة والموت، والشقاء والسعادة، فإنهما لا يتغيران.

* **وقال الأعمش**: عن أبى وائل شقيق ابن سلمة، أنه كان كثيرا يدعو بهذا الدعاء: اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامحه، واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب فاجعله سعادة ومغفرة.

* وعن أبى قلابة عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان يدعو بهذا الدعاء أيضاً.

* قال ابن كثير: «ومعنى هذه الأقوال أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها، ويثبت منها ما يشاء، وقد يستأنس لهذا القول بحديث رسول الله ﷺ **«لا يرد القدر إلا بالدعاء، ولا يزيد فى العمر إلا البر»**(١) **وبما ثبت عنه ﷺ من أن «صلة الرحم تزيد فى العمر»**(٢) وفى حديث آخر: **«إن الدعاء والقضاء ليعتلجان**(٣) **بين السماء والأرض»**.

* والناسخ والمنسوخ، وما يبدل وما يثبت فى أم الكتاب عند الله سبحانه» ا.هـ.

---

(١) رواه أحمد والنسائى وابن ماجه. (٢) رواه البخارى.

(٣) يعتلجان: يتصارعان ويتدافعان.

* وجاء فى شرح الطحاوية «وقيل الزيادة والنقصان فى الصحف التى فى أيدى الملائكة، وحمل قوله تعالى: ﴿**لكل أجل كتاب**﴾ إلخ على أن المحو والإثبات من الصحف التى فى أيدى الملائكة، وأن قوله: ﴿**وعنده أم الكتاب**﴾ اللوح المحفوظ، ويدل على هذا الوجه، سياق الآية، وهو قوله ﴿**لكل أجل كتاب**﴾ ثم قال: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت**﴾ أى من ذلك الكتاب، وعنده أم الكتاب أى أصله، وهو اللوح المحفوظ.

* *

القدر والتوكل

* المؤمنون بالقدر متوكلون على الله تعالى، ونفاة القدر، وأهل الجبر متواكلوان،

* فالتوكل، هو الاعتماد على الله عز وجل فى بلوغ الهدف، مع بذل الجهد، وتقديم العمل، كما يفعل الفلاح المؤمن، إذ يهيئ الأرض، ويبذر الحب، ويرجو الثمار من الرب، وهذا التوكل ثمرة الإيمان الصحيح، قال تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** (٢٣)﴾ [المائدة].

* والتواكل هو زعم الاعتماد على الله، دون عمل، اتكالا على المنى، وما خطّ القدر!

* وهذا جهل، حذَّر الله منه فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** (٩٧)﴾ [النساء: ٩٧].

* وقال عمر رضى الله عنه: «لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقنى، فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة».

* *

* **هذا والفرق بين التوكل والتواكل** خطير وكبير.

* **فالتوكل**، حسن ظن بالله، الذى يجزى العاملين.

* **والتواكل**، سوء ظن بالله، الذى لا يسوى بين القاعدين والعاملين.

* **والتوكل**، قوة وعزة، **والتواكل**، عجز وذلة.

* **والتوكل**، عبادة وطاعة، **والتواكل**، معصية وإثم.

* **والتوكل**، انقياد لأمر الله وقانون القدر، **والتواكل**، معاندة لأمر الله ونظام القدر.

* **والتوكل**، ذو أثر عظيم فى سعادة الفرد والمجتمع، فهو قائم على عمل وجهد، وأخذ بالأسباب.

* **والتواكل**، ذو أثر خطير فى تدمير الفرد والأمة، لأنه قائم على العجز، والكسل والتخاذل.

* **والتوكل**، هداية من الله ونعمة، **والتواكل**، ضلال وشقوة، لا يثمر غير الحسرة والندامة.

* إن التوكل آية الإيمان الكامل، والنجاح المضمون، قال الله تعالى عن موسى وقومه: ﴿ **وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥)** ﴾ [يونس] وخرجوا معه مهاجرين، فأورثهم الله الأرض المباركة، وأتم عليهم نعمته، وأهلك أعداءهم، قال تعالى: ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)** ﴾ [الأعراف] وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)** ﴾ [الطلاق].

* *

ثمرة الإيمان بالقدر

* إن للإيمان بالقدر أعظم الأثر فى حياة المسلمين أفراداً وجماعات، فهى عقيدة تصحح نظرتهم للحياة وأحداثها، وتسدد سلوكهم فيها، ومواقفهم منها، وهى تملأ قلوبهم بالثقة فى الله والتوكل عليه، والجهاد فى سبيله، والراحة فى ذلك، حيث قد علموا أن كل شيءٍ عند الله بمقدار، وأنه يحب المتوكلين، ويوم أن سادت هذه العقيدة، نهض، المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها يجاهدون فى سبيل الله، ويبلغون رسالاته، ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا هو،ففازوا فوزاً عظيماً.

ولها غير ذلك من الآثار العظيمة فى حياة المسلمين.

* ويمكن أن نذكر منها ما يأتى:

* **عقيدة القدر** عقيدة مُريحة لقلوب أصحابها، فهى تجعلهم لا يأسون على ما فاتهم، ولا يفرحون بما آتاهم، ولا يطيلون البكاء على ما مضى، ثقة بأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، ولا يمكن تغيير ما جرى به القلم، ونفذ به القضاء، ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾ [**التوبة**: ٥١].

* **وهى عقيدة** تجعل المسلم وثَّابًا وَذَّا نظرة بعيدة، يفكر دائمًا فى المستقبل، ولا يُشْغَل كثيرا بالماضى، إلا بمقدار ما يكتسب العبرة، قال ﷺ: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا**، ولكن **قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»(١).

* **وهى عقيدة**، تبعث فى المؤمن الشجاعة والإقدام، وتحمله على الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال والكلمة، ثقة منه بأن كل شئ بقدر، وكل كبير وصغير مستطر، وأن الله تعالى فرغ من تقدير الآجال والأرزاق، فقال سبحانه: ﴿**وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا**

---

(١) رواه مسلم.

﴿يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١]، وأن أى مخلوق لا يمكن أن يضره أو ينفعه إلا بأمر الله قال ﷺ: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك بشئ إلا قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف**»(١).

* بهذه العقيدة، كان المسلم يجاهد بقوة، ويلاقى الموت فى سبيل الله غير عابئ به، ولسان حاله يقول:

أىَّ يَوْمَىَّ من الموت أفر؟ … يَوْمَ لا يُقْدَرُ أم يَوْمَ قُدِر؟

يَوْمَ لا يُقْدَرُ لا أَرْهَبُه … ومن المقدور لا ينجو الْحَذِر

* وهى عقيدة، تعود المؤمنين بها الصبر والاحتمال، ومواجهة متاعب الحياة بقلب قوى ونفس شجاعة، ثقة بقول الله عز وجل: **﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)﴾** [الحديد].

* ومن هنا تجد المؤمن بالقدر، قوىَّ القلب، طيب النفس، كريم الخلق، لا تبطره النعمة، ولا تضعفه المصيبة، بل يبقى راضيًا كريمًا، يعطى إذا وجد، ويصبر إذا فقد، ويطلب حاجته بعزة وكرامة، إيمانًا بقدر الله فيه، ومشيئته به، وبقول النبى ﷺ: «**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً لهُ، وأن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له**»(٢).

* *

* لقد عالجت عقيدة القدر عند المسلمين خصالاً أعيت الأمم، وحيرت الدنيا، ولن يجدوها إلا فى الإسلام.

* عالجت الحقد عند الفقر، والحسد عند الغنى، والجبن عند نصرة الحق، والجزع عن

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه مسلم.

المصيبة. والسخط على الدنيا مما يقع فيها من كوارث وآلام.

عالجت النفوس والقلوب والأبدان.

* فأى منهج فى الدنيا، أو مذهب فى الإصلاح، أو طريقة فى التربية، أجدت على الناس والحياة، بمثل ما أجدت عقيدة القدر ﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** (١٣٨) ﴾ [البقرة].

فالحمد لله على نعمة الإسلام

* *

أهم مراجع الكتاب

* جامع البيان فى تفسير القرآن – للإمام ابن جرير الطبرى.

* التفسير الكبير– للإمام فخر الدين الرازى.

* الجامع لأحكام القرآن– للإمام أبى عبد الله بن محمد القرطبى.

* تفسير القرآن العظيم – للحافظ أبى الفداء عماد الدين ابن كثير.

* أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن– للشيخ محمد الأمين الشنقيطى.

* تفسير كلام المنان – للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى.

* معجم ألفاظ القرآن الكريم – مجمع اللغة العربية.

* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – للأستاذ محمد فريد وجدى.

* *

صحيح مسلم بشرح النووى – للإمام يحيىٰ بن شرف الدين النووى.

* فتح البارى شرح صحيح البخارى – للإمام الحافظ أحمد بن علي ابن حجر.

* شعب الإيمان – للإمام أبى بكر بن أحمد الحسين البيقهى.

* كنز العمال – للعلامة علاء الدين الهندى.

* جامع العلوم والحكم – للعلامة ابن رجب الحنبلى.

* المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى – لمجموعة من المستشرقين.

* المختار من كنوز السنة – للشيخ محمد بن عبد الله دراز.

* اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان – للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى.

* مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام تقى الدين أبى العباس – ابن تيمية.

* العقيدة الواسطية لابن تيمية شرح الشيخ محمد خليل هراس.

* زاد المعاد فى هدى خير العباد – للإمام شمس الدين أبى عبد الله ابن القيم.

* إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان – للإمام شمس الدين أبى عبد الله ابن القيم.

* شفاء العليل – للإمام شمس الدين أبى عبد الله ابن القيم.

* شرح العقيدة الطحاوية – للإمام ابن أبى العز الحنفى.

* تلبيس إبليس – للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى.

* شروح كتاب التوحيد – للإمام محمد بن عبد الوهاب.

ومنها : فتح المجيد وقرة عيون الموحدين – للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

* معارج القبول بشرح سلم الوصول – للشيخ حافظ بن أحمد حكمى.

* العقيدة الصحيحة وما يضادها – للمفتى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

* التفويض والإثبات – للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

* تحكيم القوانين – للمفتى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

* هذه دعوتنا – للشيخ عبد اللطيف مشتهرى إصدار الجمعية الشرعية بمصر.

* سعادة الأمة فى العمل بالكتاب والسنة – لمجموعة من العلماء إصدار الجمعية الشرعية بمصر.

* عقيدة المؤمن – للشيخ أبى بكر الجزائرى.

* العقائد الإسلامية – للشيخ سيد سابق.

* إسلامنا – للشيخ سيد سابق.

* أصول الدعوة – للدكتور عبد الكريم زيدان.

* عالم الجن والشياطين – للدكتور عمر سليمان الأشقر.

* الولاء والبراء فى الإسلام – للشيخ محمد بن سعيد القحطانى .

* العلمانية – للشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالى .

* صحيح الكلم الطيب – لابن تيمية تحقيق العلامة ناصر الدين الألبانى .

* مختار الصحاح – للعلامة محمد أبى بكر الرازى .

* القاموس المحيط – للعلامة الفيروزآبادى .

* فتاوى دار الإفتاء المصرية .

* فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية .

* بيان للناس من الأزهر الشريف .

* مجموعة من مجلدات مجلة التوحيد، إصدار جماعة أنصار السنة .

* مجموعة من مجلدات مجلة البحوث الإسلامية بالسعودية .

* مجموعة من مجلدات مجلة التوعية الإسلامية بمكة المكرمة .

* *

نسأل الله لعلماء الأمة العاملين عظيم الثواب وجزيل الأجر

وأن يجمعنا بهم في مستقر رحمته، وفسيح جنته، إنه جَوَاد كريم .

وصلي اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

محتوى الكتاب



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ تلفاكس ٠ ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت ٤٠٣٨١٣٧٠ تلفاكس : ٤٠١٧٠٥٢

رقم الإيداع : ٤٤٤٤ / ١٩٩٦ م

الترقيم الدولي
I . S . B . N . 977 - 19 - 0595 - 3

عبد الرحمن يعقوب

التبيان

في أركان الإيمان

* أتيح لمؤلف هذا الكتاب أن يطوف بكثير من دول العالم مبعوثا للدعوة إلى الله ، وقد هاله ما رأى من خلافات في أصول الدين وفروعه : وإذا صح أن يختلف المسلمون في فروع الدين فلا يصح أن يختلفوا في أصوله .

* وبالقطع فإن هذه الخلافات لم تكن موجودة على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه .

* وبتوفيق من الله عز وجل ، وبعد بحث ودراسة واستماع من أهل العلم ، أيقن المؤلف أن العقيدة الصحيحة التي كان عليها السابقون الأولون هي العقيدة المسماة الآن بعقيدة السلف وهي التي يجب أن يكون عليها المسلمون في كل زمان ومكان .

* وعلى هذا الأساس كان هذا الكتاب ، الذي يتضمن الاعتقاد الصحيح في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

* كما يتضمن مبحثا عن الجن ، الذي يتحدث عنه الكثير بالحق وبالباطل .

إنه كتاب يحتاجه كل مسلم ومسلمة .

يطلب من
مكتبة التوعية الإسلامية
ت ٥٠٦٨٦٠٥٠